

النِّصْرَانِيَّةُ وَأَدَابُهَا بَيْنَ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ

لِلأَبِ لُؤَيْسِ بْنِ سِجْحَانَ السُّعَوِيِّ

مع فهارس بالمواد والمؤلفين وأعلام الرجال والنساء
وأسماء القبائل والأديان والبلدان والأمكنة والمفردات اللغوية

طبعة ثانية



دار المشرق شرمة

© جميع الحقوق محفوظة . طبعة ثانية ١٩٨٩

منشورات دار المشرق ش.م.م

ص.ب. ٩٤٦ . بيروت - لبنان

ISBN 2-7214-5975-9

توزيع المكتبة الشرقية

ص.ب. ١٩٨٦ . بيروت - لبنان

النَّصْرَانِيَّةُ وَآدَابُهَا بَيْنَ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ

القِسْمُ الْأَوَّلُ

في تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية



القِسْمُ الثَّانِي

في الآداب النصرانية في عهد الجاهلية

مقدمة الناشر

قضى الأب لويس شيخو اليسوعيّ سحابةَ عمره (١٨٥٩ - ١٩٢٧) يسعى جاهداً بعلمه وعمله ، وقوله وقلمه ، ليرز أهمية الدور الذي قام به المسيحيّون في بلاد العرب على جميع الصُّعد ، ولم يترك وجهاً من وجوه الحضارة العربيّة إلّا تلمّسه ، متقنياً آثار المسيحيّة فيه ومساهماتها في سطوع بهائه . ولقد خلف ، بعد سنين طويلة من العطاء الثرّ ، بضعة عشر مصنفاً ضخماً وما يربو على ألفي مقالة تمحورت جميعها من بعيد او قريب حول هدفه المنشود ، فعالجت سائر شؤون العرب من لغة وأدب وتاريخ وسياسة وفلسفة وأديان وعلوم على أنواعها . إلّا أنّ واسطة هذا العقد الفريد من المؤلّفات كان ، ولا شكّ ، كتابه الشهير الموسوم بـ « النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة » .

صدر هذا السفر الموسوعيّ على دفعات ، وهو عصارة جهود استمرّت نحو أربعين سنة ، فظهر أوّل أمره مقالاتٍ متتاليةً في مجلّة « المشرق » بدءاً من عام ١٩١٠ ، ثمّ جُمعت تلك الأبحاث وطُبعت قسمًا أوّلًا سنة ١٩١٢ ، قسمًا آخر صدر أوّل جزئيه بُعيد الحرب الكونيّة الأولى عام ١٩١٩ ، وثانيهما سنة ١٩٢٣ مزوّدًا بفهارس ضافية وجداول مفصّلة لموادّ الكتاب ، وأعلام الرجال والنساء ، والقبائل ، والبلدان والأمكنة ، والمفردات اللغويّة ، وأديان العرب ، وأخصّ الكتب الطبعيّة والخطيّة المعتمد عليها من عربيّة وأوروبيّة . وقد أودع شيخو كتابه مجموعةً نادرةً من الوثائق تحرّرها في بطون عشرات المطبوعات والمخطوطات ممّا لا يَهتدي إليه إلّا كبار الباحثين والمنقّبين : فلجأ الى تواريخ اليونانيّين واللاتينيّين والسريان والعرب ، واستعان بسائر ما ورد في الكتب المقدّسة العبريّة والمسيحيّة والإسلاميّة ، ومحصّ أقوال الشعراء والأمثال السائرة ، وحلّل معاني الأسماء

والمفردات ، واستند إلى آخر ما أبرزته إلى النور علوم الآثار والمسكوكات ، فضلاً عما ساد من عوائد القبائل وأعرافها . وخلص من كل ذلك إلى القول بأهمية الوجود المسيحي وأثره في الجزيرة العربية من جنوبها اليمني إلى شمالها حتى ديار بكر . ومن غربها في ربوع غسان إلى أقصى شرقها حتى حدود فارس .

ولئن ذهبت الحماسة بشيخو إلى المغالاة في بعض نواحي بحثه ، وعلى وجه التحديد في أواخر مصنفه حين أضفى صفة النصرانية على عدد من الشعراء دون الإثبات الجازم اللازم ، فإنه على الرغم من الهنات تلك ، قد أسدى إلى التاريخ خدمة جلّى إذ سلّط الأضواء على ظاهرة طالما أهملت قبله وبعده ، وهي مساهمة المسيحيين الفعالة في تشييد صروح الحضارة العربية منذ بداياتها .

وعليه ، فإنّ « دار المشرق » لسعيدة بإعادة طبع كتاب « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » لنفاده منذ أمد بعيد ، ولوفرة في موادّه ومستنداته فريدة من نوعها لم يسبقه إليها أحد ، ولم يؤتَ حتى الآن بما يتجاوزها جدّةً ، ممّا يجعله أداة بحث وتثقيف تفتخر بها الآداب العربية وتباهي .

النصرانية وآدابها مقدمة المؤلف عرب الجاهلية

لما باشرنا قبل عشرين سنة بذمير تأليفنا الموسوم بشعراء النصرانية كان قصدنا ان نقدم عليه فصلاً موسماً في النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . لكن الانسان في التفكير والله في التدبير فاضطررنا الاحوال قبل نجاز الكتاب الى السفر الى البلاد الاجنبية حيث قضينا خمس سنين منقطعين الى دروس اخرى شغلتنا عن الشرق وعن العلوم الشرقية ولما انكفأنا راجعين الى الوطن انشأت علينا الاشغال من كل وجه حتى انصرف فكرنا الى هم كل يوم بيومه وتسويق الوعد الى أجل غير مسمى على اننا لم نانس تماماً وعدنا بل كنّا في زيارتنا للمكاتب العمومية في اوربة وأبان دروسنا الخصوصية ندون ما يحضرنا من ذلك ونعدّ المواد لهذا البناء املاً بتشيدِهِ قريباً لابل كنّا اذا ما سنحت الفرصة نسلف القراء من تعليقاتنا قطعاً تجدها في بعض مقالاتنا في المشرق كنصرانية غسان (١: ٥١٩ و ٥٥٤) ودين امرئ القيس الشاعر الجاهلي (٨: ٨٨٦ و ٩٤٩) وغير ذلك ثما جعلناه كتمهيد لمقال اطول

وزد على ذلك ان التشديد الزائد في مراقبة المطبوعات كان يمنعنا عن ايضاح افكارنا كما كنّا نود فكان الامر يحمد همّتنا ويثبط عزمنا

فاليوم والحمد لله قد توتر الطريق وتسهلت الامور فيجوز لنا ان نستوفي هذا البحث على قدر الامكان . ولنا على كتابه وسائل جديدة في ما سطره اصحاب الرحل الحديثة الى بلاد العرب وما نقلوه عن الآثار القديمة كالكتابات الحميرية والنبطية والصفوية واليونانية وكالتصاوير والمائيل التي وجدت في اطراف جزيرة العرب مع ما نشر في هذه السنين الاخيرة من التأليف المفقودة في السريانية واليونانية والعربية وما كتبه المستشرقون في هذه الاكتشافات فراجعنا كل ذلك لنقتبس منه انواراً نستضيء بها في بُنيّات طريقنا

على ان البحث في النصرانية وآدابها يقتضي نظراً سابقاً في جزيرة العرب واقسامها

واهلها يليه بحث ملخص في اديان العرب القدماء قبل ظهور الدين النصراني وانتشاره في احياء العرب

١ جزيرة العرب : موقعها واقسامها واهلها

خص الله جزيرة العرب بموقع عجيب كان سبب غناها وجعل لها حصناً طبيعياً يصونها من سيطرة الامم الفاتحة بما بسط فيها من المفاوز والصحارى القحلة . فتراها متوسطة بين آسية وافريقية ترتفع على سواحل بحر العجم والهند والقازم من ثلث جهات وتراحم من الشمال الشرقي الى الشمال الغربي بلاد العراق وما بين النهرين والشام ومصر . فكانت مجاورة لمهد البشر الاول تنظر الى غوهم وترقيهم وفتوحاتهم وربما كانت وصلة بينهم ومستودعاً لتجارتها الا انها لم تدعهم يزحفون عليها ليضربوا فيها اطنابهم وان فعلوا على رغم منها كان دخولهم في براريها كسحابة صيف لم تلبث ان تنتشع فيعود اهلها الى استقلالهم

جزيرة العرب مربع مستطيل يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وهو في جنوبه اعرض منه في الشمال ويبلغ سطره نحو ٦٠٠,٠٠٠ كيالومتر مربع قسمها اليونان ثم الرومان من بعدهم الى ثلاثة اقسام : العربية الصخرية وكانت قاعدتها سلع (Petra) المسماة پترا تمتد خصوصاً في شبه جزيرة سيناء . ثم العربية القفرة غير المأهولة اخضاها المفازات الواقعة في واسط العرب في نجد وتهامة واليامة الى جهات عمان والمهرة . ثم العربية السعيدة وهي اليمن خصبها

اما العرب فلم يعرفوا هذا التقسيم وانما قسموا بلادهم الى عدة انحاء اخضاها صحارى نجد في واسطها يليها الحجاز مشرقاً على البحر الاحمر بينهما تهامة . وفي الجنوب الشرقي اليمن وحضرموت ومهرة في شمالها البحرين وعمان على سواحل بحر الهند وفي شمالها الغربي الجوف واليامة . ثم هجر او الاحساء على سواحل خليج فارس ثم العراق العربي وبوادي الجزيرة الى بادية الشام شرقي دمشق حيث حوران واللجاء والصفاء والبلقاء وجولان الى برية طور سيناء

اما سكان جزيرة العرب فقد قاهوا اليها من الشمال واستوطنوها وكانت زحفات القادمين تتوالى فتدفع القبائل الجديدة امامها العشائر السابقة الى ان وجد هؤلاء البحر في وجههم وربما تجاوزوه اذا وجدوا فرصة تمكنهم من قطعه كما فعلوا في الحبشة

وفي مصر في عهد السُلالة المعروفة بالرعاة (الهكسوس) . وهذه القبائل لم تكن كلها من اصل واحد فكان بينها قوم من ابناء كوش المنتمين الى كنعان بن حام فسكنوا خصوصاً بعض جهات اليمن . ألا ان معظمهم ينتسبون الى يقطان او قحطان من ذرية سام . وقد فرق الكتاب الكريم بينهم (مزامير ٧١ : ١٢) فدعا الاولين سبا (٨٥٥) والاخرين شبا (٨٥٣) . ويضاف الى الساميين منهم ابناء اسماعيل بن ابراهيم اخصهم النبطيون والقيداريون وابناء قطورة سرية ابراهيم ومنهم المديثيون وكانت سُكنى هؤلاء في بادية الشام وشرقي بحر لوط وفي شبه جزيرة سيناء وقسم من الحجاز

٢ اديان العرب قبل النصرانية

ليس بحث أغمض من تعريف اديان العرب في الجاهلية . وان استقتينا كتبة الاسلام في ذلك وجعنا كل ما اثبتوه في تأليفهم التي نجت من مخالب الزمان لما زاد مجموعها على اسطر قليلة . وكان ابن الكلبي ألف كتاباً في اصنام العرب ألا ان كتابه قد ضاع ولحسن الطالع قد نجا معظمه بما نقله عنه اصحاب معاجم اللغة وياقوت في معجم البلدان . وكذلك روى الحاج خليفة في كشف الظنون (٤٤ : ٥) كتاباً آخر في الاصنام للمجاط وهو ايضاً مفقود وقد جمع بعض المستشرقين كلودلف كراهل (L. Krehl : Ueber die Religion der vorislamischen Araber) والعلامة فلهوسن (Wellhausen : Reste arabischen Heidentums) ما عثروا عليه من ذلك . على ان هذه المنقولات لا تشفي غليلاً وكثيراً ما تجدناها مضطربة متناقضة فلا تعرف الغث بينها من السمين . ولعل اوسع ما جاء في ذلك ما كتبه الشهرستاني في الملل والنحل واحمد بن واضح المعروف باليعقوبي وهذا نصه (طبعة ليدن ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٦) :

« وكانت اديان العرب مختلفة بالمجاورات لاهل الملل والانتقال الى البلدان والاتجاهات فكانت قريش وعامة ولد معد بن عدنان على بعض دين ابراهيم يحجّون البيت ويقسمون المناسك ويقرون الضيف ويعظمون الاشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والنظام ويعاقبون على الجرائم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاه وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معد ثعلبة بن ابياد بن تزار بن معد . فلما خرجت ابياد وابت خراة حجابة البيت فقبروا ما كان عليه الامر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد ان نطلع الشمس . وخرج عمرو بن لُحَيّ واسم لُحَيّ ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الى ارض الشام وجها قوم من العالقة يعبدون الاصنام فقال لهم : ما هذه الاوثان التي اراكم تعبدون . قالوا :

عذراء اصنام نعبدها نستنصرها فننصر ونستقي بها فنسقي . فقال . ألا تعطوني منها صنماً فاسير به الى ارض العرب عند بيت الله الذي تفد اليه العرب . فاعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة فكان اول صنم وضع بمكة ثم وضعوا به اساف وثلاثة كل واحد منها على ركن من اركان البيت . فكان الطائف اذا طاف بدأ باساف فقبله وختم به ونصبوا على الصفا صنماً يقال له « مجاور الريح » وعلى المروة صنماً يقال له « مطعم الطير » فكانت العرب اذا حجبت البيت فرأت تلك الاصنام سألت قريشاً وخزاعة فيقولون : نعبدها لتقربنا الى الله زلفى . فلما رأت العرب ذلك اتخذت اصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلون له تقرباً الى الله فيما يقولون . فكان لكلب بن وبرة واحياء قضاة ود منصوباً بدومة الجندل بجرش . وكان الحمبر وعمدان نسر منصوباً بصنماء وكان لكذابة سواع . وكان لطفان العزى وكان لهند وبجيلة وخشم ذو الخلصة . وكان لطىء الفأس منصوباً بالحبس . وكان لربيعة واياذ ذو الكعبات بسنداد من ارض العراق . وكان لتقيف اللات منصوباً بالطائف . وكان للاوس والخزرج مائة منصوباً بفدك ممّا يلي ساحل البحر . وكان لدوس صنم يقال له سعد . وكان لقوم من عذرة صنم يقال له شمس . وكان للزد صنم يقال له رثام »

واذا اضفت الى الاصنام المذكورة في هذه النبذة اسماء آلهة اخرى ورد ذكرها في المعاجم وفي بعض التواريخ والشروح كرضا ومناف وجلسد وسعير والقصير بلغ بك العذ الى نحو ثلاثين صنماً . واذا بحثت عنها وعن صفاتها وخواصها والامكنة التي شاعت فيها عبادتها وطرائق مناسكها وجدت الكتب يتباينون ويتناقضون فلا يكاد يعول على كلامهم . ولعل كثيراً من هذه الاصنام لم تُعبد في جزيرة العرب كودّ وسواع ويعوث ويعوق وأنسر الذين يقال عنهم أنهم من آلهة قوم نوح (اطلب سورة نوح ع ٢٢-٢٣) . فاين هذا وما زعم ابن اسحاق وابن هشام ان في الكعبة كان عدد الاصنام ٣٦٠ على عدد أيام السنة

وقد سعى المستشرقون ان يسدوا هذا الحلل فاستخرجوا اسماء لاصنام أخر عربية من اعلام الرجال المسبوقة باسم عبد كعبد الاسد وعبد تيم وعبد الحارث وعبد الدار وعبد عمرو وعبد المدان وعبد المطلب وعبد الملك وزعموا ان المضاف الى عبد مدلوله صنم من الاصنام . وكذلك الاسماء المسبوقة بامرء كامرئ القيس وامرئ اللات او المختومة باسم ايل كشراحيل وخيليل وشهيل وقسميل . ومنها اعلام عربية وردت في التواريخ اليونانية او الاسفار المقدسة او الكتابات النبطية مركبة من الفاظ دالة على الاله مثل Zaβδηνλ و Αραμηλος و θεωμολ و θεωμολ وغير ذلك

فهذه الأعلام وغيرها أيضاً مما يمكن جمعها من المعجمات والآثار ولو ثبت أنها دالة

على أصنام العرب ومعبودات القبائل ألا أنها لا تفيدنا فتيلاً لمعرفة خواصها وسدفتها والامكنة والازمنة التي شاعت فيها عبادتها وطرائق اكرامها والمناسك الخاصة بها . وفي بعض رواياتهم عنها ما لا يقبله العقل السليم ويردّه النقد الصحيح كقول مؤرخي العرب عموماً بأن أول من اتى بالأصنام من بلاد الشام وجعلها في الكعبة أنما هو عمرو ابن لحي رئيس بني خزاعة لما طرد بني جرهم منها وتولّى مع قومه تديرها . فلدينا كما ستري شواهد تبطل هذا القول . ومثله مزاعم أخرى لا بد أن تُعرض على محك الانتقاد فلا تُقبل إلا بالبرهان لأن مؤرخي العرب لم يدوّنوا رواياتهم إلا بعد الاسلام بزمن طويل فكتبوا ما تناقلته الالسن شفاهاً فتضاربت رواياته واختلفت صورته

فهلهم نروي خلاصة ما ورد عن ديانة العرب في اقدم الآثار الحجرية او في التواريخ القديمة مستندين في ذلك الى ما كتبه اوثق الكتبة مع ما جمعناه في مطالعاتنا العديدة . وهذا اخص التأليف الحديثة في هذا الصدد :

- ١ جزيرة العرب قبل محمد في الانار للعلامة ف . برجه Berger (Ph.) : *L'Arabie avant Mahomet d'après les Inscriptions.*
- ٢ اديان العرب في الجاهلية لبرغمان Bergmann : *De Religione Arabum anteislamica.*
- ٣ العرب في الشام قبل الهجرة للعلامة دوسو Dussaud (R.) : *Les Arabes avant l'Islam en Syrie.*
- ٤ سواع والعزى والكتابات اليمنية Glaser (E.) : *Suwâ' und al - 'Uzza.*
- ٥ مقدمة كريمة على تاريخ محمد Grimme (H.) : *Mohammad.*
- ٦ ابحاث عن الشرق الاسلامي لهرتمان Hartmann (M.) : *Der islamische Orient, II, Be-richte und Forschungen.*
- ٧ ديانة عرب الجاهلية للاماني كراهل Krehl (L.) : *Ueber die Religion der vorislamischen Araber.*
- ٨ تاريخ الشرق القديم لفرنسوا لونرمان وبلابلون Lenormant (Fr.) et Babelon : *Histoire ancienne de l'Orient, 9^e éd.*
- ٩ العرب القدماء للعلامة نولدك Noeldeke (Th.) : *Arabs (ancients) dans « ENCYCLOPÆDIA OF RELIGION AND ETHICS »*
- ١٠ تاريخ العرب لكوسان دي برسفال Perceval (C. de) : *Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islamisme.*
- ١١ نولحم في الحيرة لروتشتين Rothstein (G.) : *Die Dynastic der Lahmidien in al-Hira.*

١٢ بقايا الوثنية بين قدماء العرب للمستشرق فلهوسن (J.) : *Reste arabischen Heidentums*, 2° éd.

هذا الى مقالات متعددة ظهرت في المجلات الاسيوية الفرنسية والالمانية والنمساوية وفي نشرات اخرى شرقية كالنشرة السامية وغير ذلك

*

كان زعم رينان زعماً غريباً واراد ان يثبت بالادلة الوضعية لولا ان الاكتشافات الحديثة جاءت كلها مزيفة لزعمه . ذهب المذكور الى ان الشعوب السامية عموماً والعربية خصوصاً كانت تقول بالتوحيد لا عن وحي خاص بل عن غريزة لأن عقل الساميين على زعمه مطبوع من اصله على البساطة فيوافق توحيد الله بساطة عقله . وكانت غايته من ذلك ان ينكر الوحي بالاله الواحد الى بني اسرائيل

فالآثار العربية قد كذبت هذا المزعم كما كذبت اكتشافات بقية البلاد السامية . فان العرب في الجاهلية عاشوا في الشرك مدة قرون عديدة . اما شركهم فكان تأليه قوى الطبيعة اجمالاً والانوار العلوية خصوصاً . ولا عجب فان قوماً كانت عيونهم ليلاً مع نهار تشخص الى الاجرام النيرة لم يلبثوا ان عظموها حتى تحول تعظيمها الى اكرام وسجود لظنهم ان فيها قوى فائقة الطبيعة . ثم ان العرب قبل توغلهم في الجزيرة كانوا جاوروا الكلدان واخذوا منهم عبادة النجوم . وما لاشك فيه ان عرب اليمن كانوا على ديانة الصابئين يعبدون الكواكب والسيارات السبع . قال الشهرستاني في الملل والنحل (طبعة لندن ١٩٣١) : « اما بيوت الاصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المبنية على السبع الكواكب » يريد بالعرب اهل اليمن خصوصاً **الشمس** * بل عمت عبادة الكواكب كل انحاء العرب فكانوا يعبدونها في شمالي الجزيرة وفي غربها وجنوبها الغربي على صور شتى وتحت اسماء مختلفة . ولما كانت الشمس هي النير العظيم فان عبادتها بين العرب فاقت على سواها (١) تارة يؤثونها وتارة يذكرونها ولدنيا على صحته شواهد راقية الى القرن السابع قبل المسيح فان بين الكتابات التي وجدت في بابل كتابة لتغلثلاسر يذكر فيها انتصاره على مدينة دومة الجندل وظفره بملكها التي كانت كاهنة للاله « شمس » : (A. Layard: *Inscriptions*, p. 72).

(١) وفي المعاجم العربية وبعض التواريخ « ان شمساً كان صنماً لبني تميم ولعذرة وكان له بيت وكانت تعبده بنو ادكلها وكانت سدانة في بني اوس » . الا انهم لم يصبوا بحصر عبادتها

ومن الشواهد القديمة السابقة لعهد المسيح شهادة هيرودوتس الذي يصرّح في تاريخه (ك ٣ ف ٨) بأنّ العرب كانوا يعبدون اوروتال (Οὐροταλ) وهي لفظة مركّبة في اللّغات الاراميّة من (٦٨٤) اي نور و(٦٨٥) كالعربية تعالى من فعل (٦٨٦) اي علا والمعنى النور المتعالي وارادوا به الشمس . والندليل عليه انّ هيرودوتس بعد ذكره اوروتال اردف بقوله « وهو ديونيسوس او نجوس » الذي كان عند اليونان اله الشمس . وكرّر ذلك الجغرافي استرابون (Strabon, XVI, 741) والمؤرخ اريان (Arrien, VII, 20) ومثلهم اوريجانوس في القرن الثالث للمسيح في ردّه على كلسوس (Origenes : con- tra Celsum, V, 37) . وكان النبطيون يعبدون الشمس عبادة خاصّة وكان لهم في عاصمتهم سلّع (Petra) معبد كبير لاكرامها . وانما كانوا يدعونها باسم آخر وهو ذو الشّرى (Δουσαρης) اي الاله المنير وقد ورد اسمه مراراً في كتابات عيون موسى ومدائن صالح وطور سينا (١) . اما كون ذي الشّرى يراد به الشمس فالامر واضح من قول استرابون الذي يؤكّد انّ النبطيين يعبدون الشمس (Ἡλιος) . وكانوا جعلوا عيدها في ٢٥ ك ١ كما افادنا القديس ابيفانيوس في كتابه عن الهرطقات (Epiphanius, Hæres, ٢١) . وزاد مكسيموس الصوري انّ النبطيين كانوا اتّخذوا صنماً لذي الشّرى وهو حجر اسود . كعَبّ علوه اربعة اقدام وعرضه قدمان (Maximus Tyr., c.38) . ومن الاسماء التي شاع بها اسم الشمس في جهات العرب واكرموها على منطوقه « ذو الشارق » و « المحرق » . وكانوا يصرّحون عن اكرامهم لها بان يتسمّوا باسمائها اذ وجدوا بين اسماء العرب من دُعوا باسم عبد الشمس وامرئ الشمس وعبد المحرق وعبد الشارق . ومن اصنام جنوبي العرب « الذريخ » ارادوا به ايضاً الشمس الطالعة

❖ القمر ❖ ليس لدينا نص صريح ينوّه بعبادة العرب للقمر الا ما يقال عن عبادة بني كنانة (Bergmann, 4) وكذلك قد عبده الحميريون وبقية الصابئين . مع السيارات السبع . بل زجج انّ عبادته شاعت في غير النحاء من الجزيرة ورُبّما جمعوا بينه وبين الشمس فعبدوهما معاً

❖ العزى ❖ ومن اشهر معبودات العرب التي شهد لها قدماء الكتبة من يونان ورومان وغيرهم اللات يقول كتبة العرب (اطلب معجم البلدان لياقوت ٤ : ٣٣٦-٣٣٧) انّها كانت

صخرة بيضاء مربعة تعبدتها ثقيف في الطائف وكانوا اتخذوا له بيتاً فطافوا به وجعلوا له سدةً. واليوم قد اجمع الاثريون على ان اللات هي الزهرة. ولنا على ذلك شهادة هيرودوتس المؤرخ قال في تاريخه (ك ١ ف ١٣١): ان العرب يعبدون الزهرة السماوية *Ἀπροδίτη Οὐράνια* وهم يدعونها أليتا (*Ἀλιττα*) وقد اصلح اسمها في محل آخر (ك ٣ ف ٣) فدعاها الإلات (*Ἀλιλάτ*) وهو اختصار الالهة كما اختصروا الاسم الكريم الاله فقالوا الله. ثم اختصروا الالات فقالوا: اللات. وكانت اللات معبرة في كثير من جهات الجزيرة ليس الطائف فقط كما زعم كتبة العرب فإن الاثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر اللات ولا سيما في بلاد النبط في حجر صلخد والبصرى حيث كان لها هيكل وفي النخاء حوران وحتى في تدمر. وتدعى هناك بالقاب تدل على مقامها كاللات العظمى وأم الآلهة. وكانوا يضيفون الى اسمها اسم المكان الذي تكرم فيه فيقولون «لات صلخد» و«لات حبران» النخ

ودخل اكرامها بين اهل المدر وبين سكنى حوران المتكلمين باليونانية فنقلوا اسمها الى اليونانية على صورة «ايني» (*Ἀθηνᾶ*) وهي عند اليونان إلهة الحكمة (*Mi-nerve*) لكن صورها ووصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزهرة (*Vé-nus*) وتما يدل على انتشار عبادتها بين العرب كثرة الاسماء المركبة من اسمها كوهلات وتيم اللات وعمرو اللات وزيد اللات وغيرها ايضاً مما وجد في الآثار والاعلام القديمة

وعرفت الزهرة باسماء اخرى على مقتضى احوال ظهورها مساءً بعد غيوب الشمس او صباحاً قبل طلوعها فيدعون نجمة المساء عتر وهي ايضاً استار او عشتار (*Astarté*) او عترغت (*Atargatis*) اما نجمة الصبح فشاع اسمها العزى اي الإلهة السامية. وجاء ذكرها باسم كوكب الحسن في ميامر اسحق الانطاكي (ص ٢٤٧: ١) من كتبة اوائل القرن السادس وصرح بأنها هي الزهرة. واخبر پروكوبيوس المؤرخ في القرن السادس ان المنذر صاحب الحيرة ضحى للعزى ابن عدو الحارث ملك غسان وكان في يده كأسير. وذكر العزى قبله القديس افرام السرياني والقديس ايرونيوس. ثم روى القديس نيلوس من اشرف القسطنطينية خبر ابنه الذي اسره عرب البادية وارادوا تضحيته لاهتهم العزى اي الزهرة عند طلوعها صباحاً لولا ان النوم تشاغل

عليهم فنجوا الولد وذلك نحو السنة ٤١٠ للمسيح . وفي تواريخ السريان ان احد ملوك الحيرة ضحى للعزى عدداً من البتولات المسيحيات . وكان كثير من العرب يتسمون باسمها فيُدعون « عبد العزى » . ويظن العلامة نولدك ان الغريين او الطربالين اللذين كان المنذر في يوم شؤمهم يصب عليهما دم اول وافد اليه انما كانا رمزاً الى العزى (١) ومن اسماء العزى ايضاً المناة كانهم دعوها بذلك لسطوتها (٢) . وعلى رأي ياقوت (٤: ٦٥٢) انها كانت من الاصنام التي اتى بها عمرو بن لحي وانها اقدمها . وقال في محل آخر (٤: ٣٣٧) ان اللات اخذت من مناة . وروى عن ابن الكلبي (٤: ٦٥٢) ان مناة كانت صخرة وهذا كله ينطبق على صورة العزى واللات السابق ذكرهما وكما دعو عبد العزى سموا ايضاً عبد مناة وكان اخص اكرام مناة في هذيل قريباً من مكة وفي يثرب . وكانت قبائل الازد وغسان قبل تنصرتها تعبدها (ياقوت ٤: ٦٥٢)

ومن اسماء الزهرة ايضاً « كبر » ذكره افثيموس الكاتب اليوناني (Pocock, 21) وقال انها من معبودات العرب وان كبر (χαβρα) هي الزهرة او نجمة الصبح . ودعاها قدرينوس المؤرخ كبر (χουβρα) (٣)

وكان اهل الجاهلية عموماً ولا يستثنى منهم العرب يجعلون الآلهة ازواجاً لكل ذكر انشاء فكان لآلهة الشمس تربيها وهو البعل من اصنام العرب ايضاً كان مكرماً في شبه جزيرة سيناء وتسمى به العرب عبد البعل واوس البعل وربما اشاروا به الى الشمس . وكان ذكر العزى الاله « عزيز » الذي وجد اسمه في عدة كتابات في جهات الرها وحوران . وكان ذكر اللات « اللاه » وجدوا اسمه في آثار كتابية . وكان لعزى زوجها وهو الاله « مونيموس » الذي يذكر مع « عزيز »

ومما يلحق بعبادة الكواكب والنيرات العظمى عند عرب الجاهلية اكرامهم لزحل

(١) وافاد الشهرستاني في الملل والنحل (ص ٤٣١) بان قصر غمدان الشهير الذي كان في صنعاء انما كان بيتاً على اسم الزهرة

(٢) اطلب دوسو « العرب في الشام قبل الاسلام » (ص ٢٢١)

(٣) اطلب ايضاً تاريخ نيقيتا (Nicetas) في مجموع اعمال آباء اليونان (Migne, PP.

GG. t. 140, col. 105-132) ويزعم بلوشه (Blochet) ان (χαβρα) تصحيف لفظة

كعبة . اطلب كتابه (Blochet : La culte d'Aphrodite Anabita chez les Arabes du

Paganisme, Paris, 1902)

والشعري والدبران والجوزاء أو الجبار والثريا يُستدلّ عليه من بعض اقوالهم أو من أعلامهم كعبد الثريا وعبد نجم وعبد الجبار. وكذلك تعظيمهم لبعض المظاهر الجوية كتعظيم الاله قزح الذي كان يُكرّم قريباً من مكة. وقد افادنا يوسيفوس الكاتب في كتابه العاديّات اليهوديّة (Ant. XV, 255) ان عرب آدوم كانوا يكرمون الها يدعونه (Kozē) ورأي العلماء انه قزح المذكور واليه نسبوا قوس الغمام

وكانوا يدلّون على آلهتهم بنعوت شتى فان اصحاب الاسفار الحديثة في اليمن وفي جهات الصفا كغلارز (Glaser) ودوسو (Dussaud) وجدوا في الكتابات الحميرية والنبطيّة ذكر تقادم لآلهتهم فمنها للاله مالك والاله رحمان والاله رحيم والاله عزيز السابق ذكره. وربما نسبوا آلهتهم الى بعض الامكنة التي كانوا يُكرّمون فيها مثاله ذو الشرى وذو خلصة وذات السلام

ومن الاصنام المذكورة في الكتابات الحجرية وفي بعض الآثار القديمة والاعلام التاريخية موصوفات شتى تدلّ على اسماء معاني كالخصب والسعادة والغنى والعزّ منها الاله جدّ والاله سعد والاله رضا والاله كثرى والاله ودّ والاله مناف فهذه كلها كان العرب يكرمونها ويتفاءلون بها وينتسبون الى عبادتها فدعوا باسمائها عبد الجدّ وعبد الرضا وعبد ودّ وعبد مناف. وجاءت اسماؤها جميعاً في الكتابات المكتشفة حديثاً. ويقول الكتبة المسلمون ان اهل دومة الجندل كانوا يكرمون صنماً على اسم ودّ (ياقوت ٤ : ٩١٣)

وللعرب صنف آخر من الشرك شاع عند أمم كثيرة وهو تكريمهم لمواليد الطبيعة (fétichisme) من جماد ونبات وحيوان. فمن آثار تعظيمهم للجماد اكرامهم لحجارة بيضاء أو سوداء كانوا يوقعونها موقع التجليّ للقوات العلوية كانت تُكرّم في بعض جهات اليمن والحجاز وبلاد النبط. وكان ذلك شائعاً عند غيرهم من اهل الشرق. فان هيكّل الشمس في حمص كان محتويّاً على حجر اسود يمثل اله الشمس وكان هليوغبل سادناً له قبل ان يتولى التدبير كقيصر رومانيّ. وكان ذو خلصة مروءة بيضاء

ومن آثار اكرامهم للجماد الانصاب وهي حجارة كانوا ينصبونها في انحاء بلادهم ذكراً لآلهتهم ويصبّون عليها الزيت أو الأقط أو السمن أو يطلونها بدم الذبائح. ولعلمهم

اقاموها في بعض المواطن كتمذكار لحادث جليل ارادوا تخليده بينهم فأكرمها الأكلاف وعظّموها

وكذلك كانوا يقيمون المناسك لبعض الاشجار كالنخل . وقد روى الكتبة كياقوت وابن خلدون ان العزى كانت تكرم في نجران على صورة النخلة . وكذلك في نخلة اليمانية مكان قرب مكة (ياقوت ٤ : ٧٧٠) . ومنها ذات انواط قال ياقوت (١ : ٣٩٣) : « انها شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهلية تأتيها كل سنة لها فتعلق عليها اسلحتهم وتذبح عندها وكانت في جوار مكة » . وقد بقي شيء من هذا الاكرام للاشجار حتى يومنا في امكنة حيث يعلق بعض جهال العرب وغيرهم اخلاقاً واسماً لا من الخرق في اغصان بعض الاشجار لينجوا من الحميات (١)

وكما عبد اهل الجاهلية الجهاد والنبات عبدوا ايضاً بعض الحيوانات والطيور منها النسر الوارد ذكره في القرآن (٢٣ : ٧١) مع ودّ وسواع ويغوث . ومن شهد على كون نسر من معبودات العرب كتاب التلموذ لليهود (في فصل عبوده زارا) وكتاب تعليم الرسول عدي في القرن الثالث للمسيح وكلاهما يدعوه باسمه الآرامي « نَسْرًا » (ههنا) وقد امتدت عبادة النسر بين الآراميين . ومنها « عَوْف » وهو اسم طائر صياد واحد اسماء الاسد ورد ذكره كاله في الاعلام فقالوا عبد عوف . وزعم البعض ان اسماء القبائل كاسد وفر وكلب كانت تدلّ سابقاً على بعض عبادة يقدمها اصحاب القبائل لهذه الحيوانات . وقد بقي ايضاً اثر هذه العبادة في خدمة بعض الطيور والاسماك في انحاء الشرق كالرها وحلب وطرابلس فأتينا ذلك بالبيان

هذا نظر اجمالي في آلهة العرب ومعبوداتهم . ويلحق به عدّة اجاث يازمنا الكلام عنها

(المقامات الدينية) العرب أمّا اهل وبرو أمّا اهل مدّر فكان يصعب على القسم المتبدّي منهم ان يتخذوا امكنة ثابتة لاقامة عباداتهم ومن ثم كانت الفرائض عندهم بسيطة يقيمونها حيثما حلّوا أمّا بتوجيه نظرهم الى الاجرام الفلكية مع ذكر آلهتهم وأمّا ببعض اعمال تقوية من سجود ودعاء وتقادم لاسيا في بعض اطوار حياتهم المهمة كولد بنيتهم وتزويجهم ودفن موتاهم وفي بعض امكنة عالية يدعونها المشارف . وكان اكرامهم

(١) اطلب رحلة الاب جوسن الدومنيكي الى بلاد موآب (Jaussen : Coutumes des Arabes au pays de Moab. p. 330-337)

لواليد الطبيعة يوافق أيضاً حالتهم البدوية فيجدون منها شيئاً أينما ساروا كالانصاب وبعض الأشجار والطيور التي يعيّفونها ويخرجونها على مقتضى حركاتها عينا أو شمالاً. وكذلك يقيمون بالصيد السانح ويتشاءمون بالبارح. وكان الأب في عائلته والشيخ في قبيلته يقومان مقام الكهنة ويتوليان اجراء المشاعر الدينية باسم ذويهم

أما أهل المدّر وبالأخصّ الذين بلغوا منهم درجة راقية من التمدّن كالحميريين والنبطيين ودول الحيرة وكندة وغسان فما كانوا ليكتفوا بهذه العبادة البسيطة وإنما خصّصوا لديانتهم امكنة كانوا يفرّدونها لذلك أمّا بمضارب يزنيونها باصناف الجلود والاقشة على شكل قبة العهد في بني اسرائيل وأمّا بتشييد بعض الابنية لهذه الغاية وكان بعضها فخيماً أثراً كعمدان وبعض هياكل النبط ممّا ظهرت آثاره في هذه السنين الاخيرة في مدينة سلع وجوارها . وقد نقل الكاتب اليوناني ديودورس الصقليّ (Diod. III, 45) عن السائح الاقريطشي اغاثرشيدس في القرن الثاني قبل الميلاد وصفاً لثلاثة هياكل زارها في جزيرة العرب قريباً من سواحل البحر . وربما دعوا هذه الهياكل بالمساجد فان لفظة المسجد قديمة وردت في كتابات النبط المكتشفة حديثاً ومن مقاماتهم الدينية (الكعبات) وهي بيوت مرّبعة مرتفعة على اشكال الكعاب كانوا يفرّزونها لدينيّاتهم منها ذو الكعبات في شمالي الجزيرة لبني اباد ومنها كعبة نجران والكعبة اليمانية حيث كان بنو خثعم يعبدون صنهم المسمّى ذا الخلصة مع غيره من الاصنام . واشهر منها الكعبة الحجازية في مكّة وأوّل من ذكرها في التاريخ ديودورس الصقلي في القرن الأوّل قبل المسيح حيث قال (ك ٣ ص ٢١١) : « انّ في جهات العرب المجاورة لبحر القلزم هيكل يبالغ في اكرامه كل العرب » : وربما سمّوا كعباتهم بالبيوت لانها كانت مكعّبة . وكثر عدد هذه الهياكل في بعض الامكنة حتّى ان بلينيوس الطبيعي في القرن الثاني للمسيح عدّها منها ستين في مدينة سبا حاضرة اليمن و٦٥ في ثمة مدينة بني غطفان

وكانوا يتخذون لهذه المقامات (حرماً) اي يجعلون لها دائرة تحفظ حرمتها ولا يجوز لاحد انتهاكها وكان حرّم مكة اشهرها . وكذلك كان يخدم هذه المقامات رجالٌ يدعونهم كهنة او كهّاناً ويريدون بهم الخبيرين بالاحوال الماضية والعرافين . وربما دعوهم

سَدَنَة اي خَدَمًا لِلْمَقْدَس لقيامهم بِحاجاته وحاجات زوّاره . ومنهم من لَسَمَى باسم هذه الامكنة كعبد الكعبة وعبد الدار

وكانوا يزيتون تلك الهياكل بالتصاوير المنقوشة على جدرانها او ينصبون فيها التائيل للاصنام على هيئات شتى . منها حجارة منجوتة بيضاء او سوداء . ومنها صخور من العقيق وبعض الحجارة الكريمة او الصخور العادية كسعد معبود بني كنانة الذي فيه يقول الشاعر :

اتينا الى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّتَنَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ
وَهَلْ سَعْدٌ اِلَّا صَخْرَةٌ بَنُوْفَةٍ مِنْ الْاَرْضِ لَا تَدْعُو لِنَفِيٍّ وَلَا رُشْدٍ

ومن الاصنام ما كان يُمَثَّل اشخاصاً بعينهم يجعلون في ايديهم شارات او امتعة تدلّ على خواصهم الموهومة كودّ وهَبَل جعلوا في ايديهما اقواساً وازلاماً . وكالشمس اتخذوا لها صنماً يده جوهر على لون النار وجعلوا لها بيتاً حجّوا اليه وكذلك اتخذوا للقمر صنماً على شكل العجل وجعلوا في يده جوهره . ونصبوا ايضاً اصنامهم في خارج الهياكل بقربها او على مشارف ليراهها الناس كنانة واساف ومناف .

وكانوا يكرمون تلك الاصنام بمناسك مختلفة منها (حجّهم) اليها افراداً او زرافات . وكانوا اذا اغتسلوا او تَوَضَّأوا يطوفون حول الصنم دفعات معدودة ويستلمون الصنم او يقبلونه ويتقرّبون منه بتلبية معلومة قد دونَ منها الكتابة بعضها كتلبية ذي الكفّين صنم دوس رواها ابن حبيب : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ اَنْ جَرَهْمَا عِبَادُكَ . النَّاسُ طُرْفُ وَهْمٍ تِلَادُكَ . وَنَحْنُ اُولَى مِنْهُمْ بَوْلَانُكَ » . وروى تلبية كسر : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَانْنَا عبيد . وَكَلْنَا ميسرة وانت ربنا الحميد » . وتلبية شمس صنم تميم : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ مَا نَهَارُنَا نَجْرُهُ . اَزْلَامُهُ وَحَرُّهُ وَقَرُّهُ . لَا تَنْقِي شَيْئاً وَلَا نُضْرُهُ . حَجَّالْرَبِ مُسْتَقِيمِ بَرُّهُ » . ومن مناسكهم ايضاً انهم كانوا يسكبون (السَّكْب) من خمر او زيت او حليب لاصنامهم او يجعلون امامها طعاماً يأكله الطير وقد سمّوا لذلك بعض آلهتهم «مطعم الطير» وكانوا ايضاً يقصّون عند اوثانهم نواحي اولادهم او يحلقون شعورهم . او يرمون عندها الجمرات وهي الحَصَى كما اثبت ذلك احد كبار المستشرقين العلامة شوقين (١) . وكانت العذارى ايضاً يَرْقُصن حول الاصنام مسبلات ذيوهن كما قال امرؤ القيس :

(١) اطلب كتابه في ذلك . V. Chauvin: *Le jet des pierres au Pèler. de la Mecque*.

فمن لنا سربٌ كان نعاجه عذاري دُوار في مُلاء مُذيل

ومن اخص مناسك العرب الذبائح لاصنامهم وخصوصاً اللات والعزى ومناة: فانهم كانوا يرون في سفك الدماء وسيلة لاختاد غضب الآلهة وللتقرب منهم وطلب رضاهم وما كانوا يأنفون من تضحية البشر انفسهم كما سبق القول. ومُنَّ شهد على ذلك برفيريوس الفيلسوف الوثني (١) في القرن الثاني للمسيح قال « ان اهل دومة الجندل كانوا كل سنة يضخون لالههم رجلاً ثم يدفونه بقرب المذبح ». وروى پروكوبيوس اليوناني ومؤرخ سرياني قديم نشر اعماله لند (Land) ان المنذر ضحى للعزى ابن ملك غسان اسيره و٤٠٠ من الرواهب المتنسكات في بعض اديرة العراق. وقد اتسع نيلس من كتبة القرن الخامس بوصف غزوات اهل البادية لطور سينا وذكر قتلهم للرهبان الذين هناك وشرح خصوصاً ما حلّ بابنه تاودولس الفتى وكيف اسره اهل البادية من العرب فعولوا على تضحيته للعزى كوكب الصبح. وقد وصف الكاتب ما كان دارجاً عندهم من العادات في مثل هذه المناسك فنرويهِ هنا معرباً للدلالة على ديانتهم فقال يذكر تفاصيل ذبائحهم (٢):

« وليس لهؤلاء الصبح دين الا انهم يكرمون كوكب الصبح (العزى) ويمجّرون له ساجدين ويضخّون له اجود أسراهم الذين اخذوهم في الغزوات وهم يفضلون لذلك الشبان اذا كانوا في عز الشباب وصيحي الوجوه. ويمدّون لهذه الغاية مذبحاً من الحجارة والصخور التي يكونونها وينتظرون الفجر حتى اذا لاح كوكب الصبح يضربون الضحية بالسيوف ويشربون دماً. وعادتهم اذا لم يقع في يدهم احد من الاسرى ان يضخّوا ناقةً من العيس خالصة البياض فينخونها ويدورون حولها ثلاثاً ثم تقدّم كاهنهم او زعيمهم بكل رونق وهم يتغنّون باغانيم فيضرب بسيف اوداج الناقة ويلقى دماً فيشربه ثم يركض الباقيون ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة فيأكلونها نيئة ويسرعون في ذلك لئلا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس... »

ثم انتقل الكاتب الى وصف ما جرى لابنه وكان الفتى مترهباً معه في جبل الطور يعيش منفرداً في بعض انحائه اذ هجم عليه العربان واذا رأوه سيماً جميلاً استعدوا لتقريبه للعزى فقال نياس راوياً لما سمعه من ابنه بعد ان نجا من الاسر:

(١) اطلب كتابه في القناعة (Porphyrius: De abstinentia II, 56)

(٢) اطلب اعمال الاباء اليونان لابن (Migne, PP. GG. LXIX, 611)

« وكان هؤلاء الغزاة عزموا على تضحيتي لنجم الصبح فأعدوا كل شيء المذبححة في سحر اليوم التالي فاقاموا لذلك مذبحاً وهبأوا السيف والسكب والافداح والبخور وكنت انا ملقى على وجهي على الحضيض اماً نفسي فكانت مرتفعة الى الله ادعوا اليه بجرارة كي ينقذني من هذا الخطر العظيم . . . وكان البرابرة قضاوا قسماً كبيراً من لبهم اكلأ وشرباً وقصفاً حتى غلب عليهم النوم فهجوا الى الصباح ولم يستيقظوا الا والشمس قد طامت وفات وقت الضحىة . . . فلما رأوا ذلك اخذوني الى قرية تدعى « سوكا » وتحدثوا بقتلي امام اهله ان لم ينفذني احد منهم فرحمي احدهم ودفع فديتي واعتم بشأني اسقف المحل وما انا الان عائد الى والدي »

ومن دياناتهم اذا ضحوا الضحايا ان يصبوا دمها على الانصاب كما سبق ويطلوا به اجسامهم ويغمسوا به ايديهم عند حلفهم دلالة على صدق مواعيدهم ويدعون ذلك « اليمين الغموس »

٣ بقية اديان الجاهلية غير النصرانية

كان الشرك يعم كما ترى بلاد العرب في الجاهلية ولا يزيد ان نحدد هنا زمنه هل امتد الى مدة القرون التي سبقت الاسلام او هل شمل انحاء الجزيرة التي عرفت الاله الواحد الصمد فنضع الامر للفصول الآتية وانما نضيف الى قولنا السابق شيئاً عاماً عُرِف من الديانات الأخر في جزيرة العرب غير النصرانية بوجيز الكلام فنقول ان هذه الاديان كانت المجوسية والصابئية واليهودية وقد نوه بها في القرآن غير مرة

١ (المجوسية) ديانة قدماء الفرس الذين كانوا يعبدن النار ويرون فيها صورة اللاهوت ويقرنون بها عبادة النور . اخذوا هذا الدين من كيومرت احد اجدادهم وخصوصاً من زرادشت حكيمهم . فهل أثر هذا الدين في العرب فالامر ممكن بل هو محتمل لتقرب بلاد العرب شمالاً من الفرس ولخدمتهم للموكلهم في جهات العراق . وممن اشاروا الى دخول المجوسية بين العرب ابن قتيبة فزعم ان المجوسية كانت في تميم والله اعلم

٢ (الصابئية) اذا اريد بها عبادة النجوم والشمس والقمر والسيارات السبع فانها انتشرت خصوصاً في جنوبي جزيرة العرب . اما اذا اريد بها شيعة المندائين الذين لا يزال منهم بضعة الوف في العراق فان تأثيرها في العرب كان منحصرًا ومن اراد تاريخ

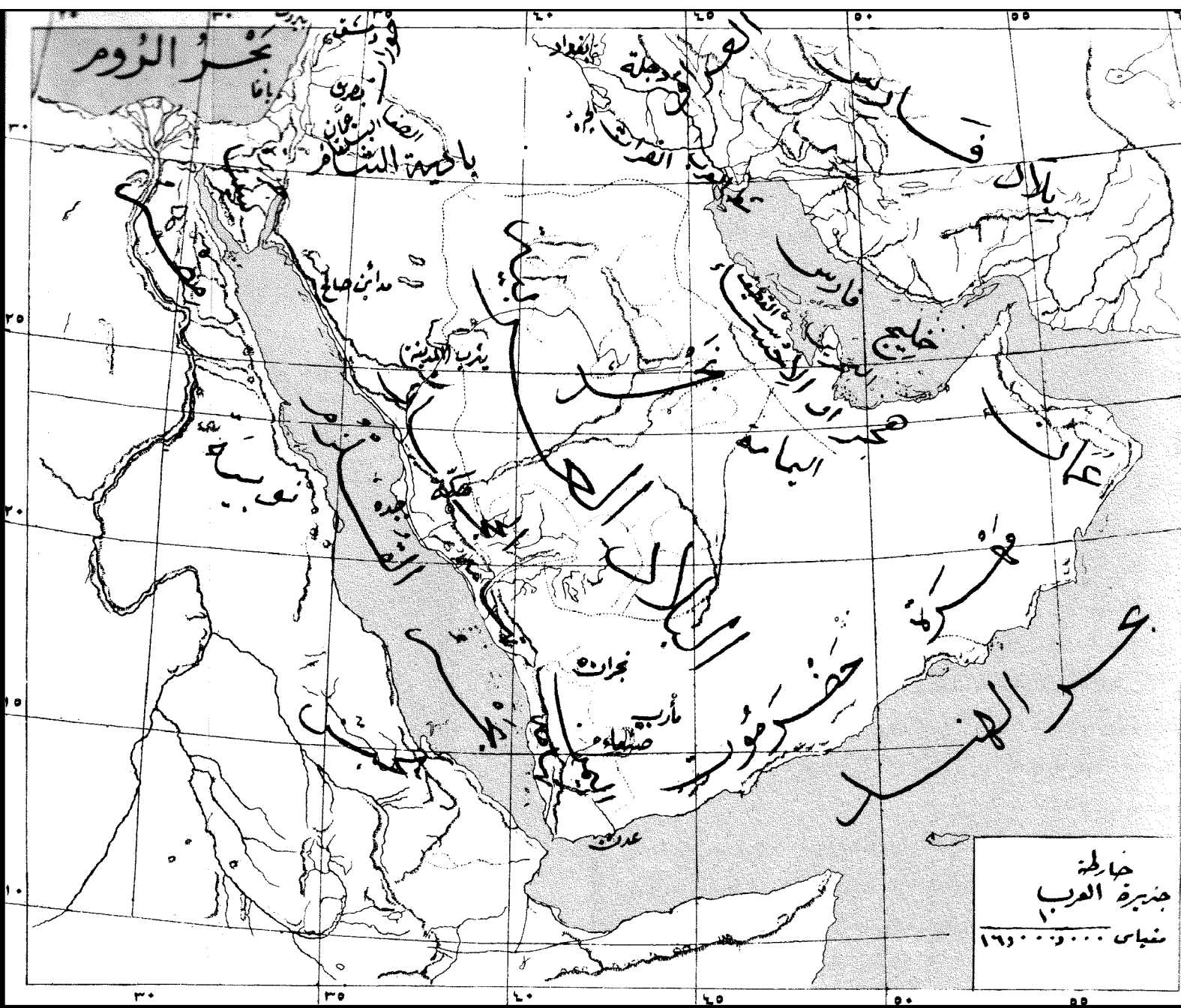
هذه الشيعة فعليه بالمقالات المطولة التي نشرها حضرة الاب انستاس في المشرق في سنواته الثالثة والرابعة والخامسة فانه استوفى فيها الكلام

ويحق بدين الصابئين مذهب الحرائين الذين عبدوا النيرات السماوية مدة اجيال طويلة وكان لهم بيت في حران يعظمونه بقي الى خلافة المأمون فأخرب. وكذلك النورية المنسوبة الى ماني وتدعى ايضا بالثنوية لقول اصحابها بوجود مبدئين متناقضين هما النور والظلمة وآل امر هذه الشيعة الى الزندقة وقالوا قول الدهريين

٣ (اليهودية) دخل اليهود في ازمنة مختلفة في جزيرة العرب فاستوطنوا في بعض جهاتها. وعلى الاخص بعد جلاء بابل لما فر بعض بني اسرائيل من وجه الاشوريين فتوغلوا في انحاء العرب. وحدث مثل ذلك بعد خراب اورشليم على يد الرومان اذ تشتت شمل اليهود. وكانت سكناتهم خصوصاً ما وراء بحر لوط وفي جهات تيماء ووادي القرى في يثرب وخيبر وبعض احياء اليمن. ولم نعلم من اخبارهم الا التذر القليل. وما لارب فيه ان القبائل اليهودية كانت تعيش بين العرب دون ان تختلط بهم مواظبة على عاداتها المألوفة وشرائطها الدينية كما ترى الموسويين في بلاد غير جزيرة العرب. ومن كتبوا عن تأثير اليهودية في دين العرب ابراهيم غايغر (Abr. Geiger) له كتاب عنوانه « ما اخذ محمد عن اليهودية وفيه مبالغات ظاهرة وزاد عنه تطرفاً المستشرق دوزي (Dr R. Dozy) الذي وضع كتاباً عن اليهود في مكة منذ عهد داود الى القرن الخامس بعد المسيح (Die Israeliten zu Mekka von Davids Zeit bis in's 5^{ten} Jahrhundert unserer Zeitrechnung) » Leipzig, 1864 وفيه من

الزاعم الغريبة التي لم يوافقه عليها اصحاب النقد





القِسْمُ الْأَوَّلُ

في تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية^{١٩}

الفصل الأول

تاريخ النصرانية في جزيرة العرب

هياً بنا الآن بعد هذه المقدمات الوجيزة نببحث عن النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية وهما البحثان اللذان جعلنا الفصول السابقة كتمهيد لهما

الباب الأول

مبادئ النصرانية بين العرب

قلنا في مطلع كلامنا انّ الافادات التي خلفها كتبة العرب عن الاديان الشائعة في جزيرتهم قبل الاسلام ترة قليلة. وهذا القول يصحّ ايضاً في النصرانية مع انها كانت اقرب اليهم عهداً فاذا ذكروا الدين المسيحي لا يكادون يذكرون من تاريخه غير شيوعه في بعض القبائل. هذا اذا اعتبرت فصولهم الوجيزة التي خصوها بالاديان. بيد انهم في عرض كلامهم عن بعض عادات العرب وقصصهم وامثالهم ولهجاتهم حدا بهم الامر الى ان يأتوا بمعلومات أخرى عديدة تجدها متفرقة متشتتة في تأليفهم لم يجمعها حتى الآن العلماء المستشرقون لانشغالهم بالبحث عن آلهة العرب وعن فك رموز دياناتهم القديمة ونشر ما وجدته السائحون في بلادهم من الكتابات الحجرية في اللغات الحميرية والنبطية والصفوية فضلاً عن اليونانية واللاتينية او ما استخراجوه بالحفر من الآثار بعد مخاطرتهم بالحياة

وكذلك ورد في كتب نصارى اهل الشرق ولاسيما قدماء الروم والسريان وبعض الكتبة اللاتينيين فوائد شتى عن النصرانية في انحاء العرب دونوها في معرض رواياتهم التاريخية واصافهم الاجتماعية ورحلهم العلمية وفي اخبارهم عن اولياء الله القديسين الشهداء او النساك المتعبدين في بوادي العرب مما رأوه بالعيان او استفادوه من شهود عيانين او كتبة موثوق بهم فهذه المعلومات ايضاً عظيمة الشأن غالية الاثان لم تجمع حتى اليوم تماماً وانما روى منها بعض الكتبة فصولاً تحتاج الى توسيع وتكملة ننص

منها بالذكر الكتب والمقالات الآتية ما عدا ما ذكر من ذلك في التأليف التي عدّها لها سابقاً :

١ أعمال البولنديين : مقالة الاب كر بنتيه اليسوعي في النصرانية بين العرب

١ E. Carpentier S. j. : *De SS. Aretha et Ruma Commentarius* (Acta SS., X, Octob., 661—697).

٢ اصول النصرانية في بلاد العرب للعلامة رَيت

2 Wright : *Early Christianity in Arabia*, London 1855.

٣ الشرق المسيحي للاب لوكيان

3 Lequien : *Oriens Christianus*.

٤ دي سامي : مقالة عن تاريخ العرب قبل محمد

4 Le Bon de Sacy (S.) : *Mémoire sur l'Histoire des Arabes avant Mahomet*.

٥ تاريخ الدول العربية بين المسيح ومحمد

5 J. J. Reiskii : *Primæ lineæ Historiæ Regnorum Arabicorum inter Christum et Mohammedem*.

اعلم ان اقدم الآثار النصرانية كما لا يخفى الاناجيل الاربعة وتاريخ اعمال الرسل للقدّيس لوقا ورسائل بعض تلاميذ الربّ الاولين . وكلها من القرن الاول للمسيح كما يقرُّ به معظم العلماء من الاباحيين فضلاً عن المؤمنين وإن كان اولئك يخالفون الكاثوليك في تعيين سنة كتابة هذه الاسفار واصحابها . فهذه الآثار لا تخلو من الدلائل على ان العرب نالوا شيئاً من انوار النصرانية منذ بزوغ شمسها

ولعل اول من استحقَّ ان يُنظم من العرب بين تبة السيد المسيح اولئك الشيوخ الذين عرفوا بالجلوس فأتوا الى بيت لحم وأهدوا الربّ الطافهم وسجدوا له في مهدِه كما اخبر متى في انجيله (ف ٢) . اما كونهم من العرب او على الاقل بعضهم فلنا على ذلك عدة بينات ترجح هذا الرأي ان لم تجزم به قطعياً . فمن ذلك اقدم نصوص الآباء والكنيسة الكنسيين من القرن الثاني للمسيح الى القرن الخامس الذين يجعلونهم عرباً كالقدّيس يوستينوس في القرن الثاني في مباحثه مع تريفون . ورتوليان المعلم في كتابه ضد اليهود (ف ٩) وضد مرقيون (ك ٣ ف ١٣) . والقدّيس قبريانوس في القرن الثالث في ميسره عن كوكب الجلوس . والقدّيس ابيذانيوس في القرن الرابع في شرحه لدستور الايمان (عدد ٨) . والقدّيس يوحنا في الذهب معاصره في المير الثاني على شرح انجيل متى .

وهكذا فسّر هؤلاء الكتابة آية اشعيا النبي عن المسيح (ف ٦٠ ع ٦): «كثرة الابل تغشاك بُكرانُ مدين وعيفة كلهم من شبا يأتون حاملين ذهباً ولباناً يُبشرون بتساويح الرب». وسبق داود فقال (مز ٧١): «ملوك سبأ وشبأ يقرّبون له العطايا». فانّ مدين وعيفة وشبأ كلها تدلّ على نواحي العرب

وعليها تدلّ أيضاً اللطاف التي قدّمها هؤلاء المجوس للمسيح اي الذهب واللبان والمرّ وكلها من مرافق بلاد العرب. فان ذهب الخساء العرب كان مشهوراً (١) وتنبأ داود بتقدمته للمسيح (مز ٧١) فقال: «يؤدون اليه من ذهب شبا». اما اللبان والمرّ فلا يكادان يُستخرجان من غير جزيرة العرب فيتجر بهما اهلهما كما شهد على ذلك قدما. الكتابة بعد سفر التكوين (٢٥: ٣٧)

ثمّ يؤيد هذا الرأي قول المجوس في الانجيل لهيروُدس بانهم رأوا نجم المسيح في الشرق فاتوا ليسجدوا له. فقولهم «في الشرق» يدلّ على بلاد العرب اكثر من سواها لوقوعها شرقي فلسطين فضلاً عن كون العرب يُعرفون بالاسفار المقدسة بيني الشرق (وبالعبرانية כּוּכָב מִמִּזְמֹרֶתָא بمعناها) بل شاع هذا الاسم عند الرومان واليونان فاشتقوا منه Sarraceni و Σαρακηνοί

ورد على ذلك أنّ النجم الذي رآه المجوس هو الكوكب الذي سبق وانباهم به بلعام في مشارف مُوآب (سفر العدد ٢٤: ١٧) لما قال: «انه سيطلع كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل». فتحققت النبوءة حيث تنبأ بها بلعام مرغوماً فتناقل العرب نبوءته ابناً عن اب وراقبوا كوكبه حتى رأوه. ولا بأس من كون هؤلاء القادمين الى مهد المسيح يُدعون مجوساً. فانّ هذا الاسم كان يطلق عند العبرانيين على حكماء الشرق عموماً وكثيراً ما اثنى الكتاب الكريم على حكمة العرب في سفر ايوب وسفر الملوك الثالث (٤: ٣٠) وسفر باروك (٣: ٢٣). وقد شهد كتيبة اليونان بأنّ فيثاغورس الفيلسوف رحل الى جزيرة العرب ليأخذ الحكمة عن اهلهما. بل صرح بلينيوس الطبيعي بأنّ بلاد العرب كانت بلاد مجوس (٢)

(١) قال سترابون ان الذهب لا يُعدّن في بلاد العجم لكن في بلاد العرب In Perside aurum nullum effoditur, effoditur tamen in Arabia (Strabo, l. XVI)

(٢) اطلب تاريخه الطبيعي «Magos» Græci et Latini Fuere in Arabia quos vocant (Plin., Hist. Nat., XXV; 5)

وفي الانجيل الطاهر شاهدٌ آخر على سبق العرب في معرفة السيد المسيح وذلك لما ذكر المبشرون متى (ف ٤ عدد ٢٤ - ٢٥) ومرقس (٧: ٣) ولوقا (١٧: ٦) في جملة المجموع المتقاطرة الى استماع تعاليم الرب اهل آدوم والمدن العشر وما وراء الاردن. فلا شك ان صيته يكون باغ العرب القاطنين في تلك الجهات. بل ذكر الانجيل (متى ٨: ٣١ ومرقس ٧: ٣١) ان السيد المسيح عبر الاردن وتجوّل في المدن الواقعة ما وراء ذلك النهر ومرّ بالمدن العشر (١) وصنع الآيات في بقعة الجرجاسيين. وكان اهل الحضر والمدر من العرب يسكنون تلك الانحاء فلا يقبل العقل أنّهم لم يقتبسوا شيئاً من انوار ابن الله الكلمة

ثم ما لبث العرب ان نالوا نصيباً طيباً من الدعوة المسيحية وذلك يوم حلول الروح القدس على التلاميذ في العلية الصهيونية كما اخبر القديس لوقا في سفر الاعمال (ف ٢) فانه صرّح بأن العرب كانوا في جملة الذين عاينوا آيات ذلك اليوم الشريف وسمعوا الحوارين يتكلمون بلغتهم العربية. فلا جرم ان بعضاً منهم كانوا في عداد الثلاثة الالاف المصطبغين ذلك اليوم (اعمال ٢: ٤١) فلما عادوا الى بلادهم نشروا بين مواطنيهم ما رأوا وسمعوا من امر المسيح وتلاميذه

وبعد مدة قليلة اثار اليهود على تلامذة الرب تلك الاضطهادات التي ذكرها صاحب الاعمال (ف ٨) فكانت على شبه الرياح التي تقوّي الشجرة النامية وتؤصل جذورها في الارض وتثقل بزورها الى امكنة اخرى فتزداد وتتوفر. واول من يذكر من الرسل انه دخل بلاد العرب هو الاناء المصطفى القديس بولس فانه اخبر عن نفسه في رسالته الى اهل غلاطية (ف اع ١٧) انه بعد اهتدائه الى الايمان بظهور السيد المسيح له على طريق دمشق واعتماده على يد حناناً التلميذ هرب من دسائس اليهود الى جزيرة العرب حيث اقام مدة. فمن البديهي ان ذلك الرسول الذي خصه الله بدعوة الامم باشر منذ ذلك الحين بالتبشير فدعا الى النصرانية من رآهم من العرب مستعدين لقبول دين الخلاص لئلا يحلّ به ذاك الويل الذي كان يوجس منه فزعاً حيث قال (١ كور ٩: ١٦): الويل لي ان لم نبشر. وعليه فنصادق على قول الذين يجعلون بولس الرسول

(١) اطلب في المشرق (١١: ٨١) مقالة للاب الفرد دوران في رحلة السيد المسيح الى

كاحد رسل العرب. وقد عدّه بعض كتيبة الروم كأول الدعاة الى المسيح في بصرى حاضرة حوران

ولما جرى نحو السنة خمسين للمسيح افتراق الرسل اذ ساروا الى اقطار المعمور ليقوموا بمهنة التبشير التي امرهم بها سيدهم كان لبلاد العرب نصيب حسن في هذه القسمة المباركة فان التقاليد القديمة تتواصل وتتفق على ان بعض الرسل تلمذوا امم العرب وقبائلهم من جهات مختلفة وقد جمع العلامة يوسف السمعاني في مكتبته الشرقية في المجلد الثالث القسم الثاني (Bibl. Or. III², 1-30) كثيراً من شواهد كتيبة اليونان والسرمان والعرب التي تثبت كرازة الرسل في احياء العرب وفي اقطارها المتباعدة كبادية الشام وجهات طور سينا واليمن والحجاز والعراق يذكرون منهم متى وبرتلماوس وتداوس ومثيا وتوما. وقد نقل بعض هذه الشواهد المؤرخون المسلمون أنفسهم كالطبري في تاريخه (ج ١ ص ٧٣٧-٧٣٨) والي الفداء في تاريخه (١: ٣٨) والمقرئ في الخطط (٢: ٤٨٣) وابن خلدون في تاريخ العبر (٢: ٤٧) والمسعودي في مروج الذهب (١: ١٢٧). هذا فضلاً عن بعض تلاميذ الرسل كفيلبس الشماس وتيمون وادي او تدائي ممن تناقل الرواة خبر بشارتهم بين العرب. وكفى دليلاً بهذه الشواهد المتعددة على ان الدعوة النصرانية التي امتدت الى اقاصي المعمور لم تهمل جزيرة العرب القريبة من مهد الدين المسيحي. بل كان اهلها يقبلون كل يوم الى فلسطين ويمتجون بسكانها امتزاج الماء بالراح فيعامونهم ويتاجرونهم. وقد ذكر القديس ايرونيموس في شروحه على نبوة ارميا (٣١ ف) ونبوة زكريا (١١ ف) ان اسواقاً سنوية كانت تقام قريباً من سيجم (نابلس) يأتي اليها عدد عديد من نصارى ويهود ووثنيين يقصدونها المتاجرة من بلاد الشام وفينيقية والعرب. فلا تتعدى اذن طورنا ان اكّدتنا انتشار النصرانية في بلاد العرب منذ عهد الرسل. وبذلك تحققت نبوءات الانبياء الذين سبقوا وتنبأوا باهتداء العرب وايمانهم بالمسيح. قال النبي اشعيا بعد وصفه العجيب للسيد المسيح (١١١ ع - ١٠) ذاكرًا الشعوب التي تقبل شريعته فجعل منها آدوم ومواب. وكرر ذلك في الفصل ٤٢ وعدّد قبائل قيذار وبلاد سلع (Pétra) وفي الفصل ٦٠ ذكر بين المستنيرين بانوار اورشليم وملكها الموعود مدين وعيفة وسبا وقيدار والابط وفيه يذكر قدومهم على المسيح ليهده الطافهم من ذهب ولبان. وكان النبي داود (في مزموه ٦٧ ع ٣٢ و ٧١: ٨٠

(١٠ -) سبق اشعيا في ذكر سجود العرب للمسيح وطاعتهم لسه. ومثلهما ارميا في فصله التاسع حيث ذكر « افتقاد الرب للامم المختونين مع الغلف... أدوم وبني عمون وموآب وكل مقصوصي الزوايا الساكنين في البرية »

وفي السنة ٧٠ للميلاد تمت نبوة المسيح عن خراب اورشليم فلم يبق فيها حجر على حجر وتفرق بقايا اليهود شذر مذر بعد ان قتل منهم وسبي الألوف ومئات الألوف إلا ان من كانوا تنصروا منهم كانوا بامر الرب سبقوا وخرجوا من المدينة وعبروا الاردن وسكنوا في مدن العرب التي هناك كما اخبر اوسابيوس المؤرخ (١٠). فاستوطنوا تلك الاصقاع وكان يرعاهم اساقفة من جنسهم. وقد وجد اصحاب الآثار في ايامنا عدداً دثراً من كتبهم الدينية كالانجيل الاربعة وبعض اسفار التوراة وقطعاً طقسية وانشيد وصلوات وغير ذلك مما يشهد على نصرانيتهم وسكناهم زمناً طويلاً في تلك النواحي. وهذه البقايا كانت مكتوبة باللغة الفلسطينية اي الآرامية الشائعة في فلسطين. ولا ريب ان العرب الذين حل بينهم هؤلاء النصاري اخذوا شيئاً من تعاليمهم واستضافوا بانوار دينهم واذا استفتينا اقدم آثار النصرانية وما كتبه آباء الكنيسة الأولون في القرون الاولى للميلاد وجدناهم يذكرون الدعوة المسيحية في جزيرة العرب أما تعريضاً وأما تصريحاً فنتموهم بذلك قولهم جميعاً بانّ الايمان المسيحي « منتشر في العالم كله » فان صحّ هذا القول في البلاد القاصية حتى الهند والعجم وجزائر البحر أفلا يكون ايضاً صحّ بالحري في بلاد العرب المجاورة لمنبع الدعوة المسيحية. فترى القديس مرقس في آخر انجيله (٢٠: ١١) مؤكداً بانّ تلاميذ الرب « خرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات ». وبعده بقليل كان يشكر بولس الرسول اهل رومية في رسالته اليهم (٨: ١) « على انّ ايمانهم يبشّر به في العالم كله ». وفي رسالة القديس اغناطيوس النوراني تلميذ الرسل الى اهل افسس (PP. GG., V, col. 647) يذكر « الاساقفة الذين يرعون المؤمنين في العالم كله ويتفقون جميعاً بالايمان ». ومثله معاصره القديس بوليكربوس الذي كان يدعو المسيح « راعياً للكنيسة الكاثوليكية المنتشرة في العالم كله » (ibid., col. 1035) فهذه النصوص وغيرها كثير تثبت صريحاً انتشار الدين المسيحي في العالم كله فتشمل ايضاً بلاد العرب ولولا ذلك لما امكن القديس اوغسطينوس

ان يقول في شرحه على الزمور ٦٦ (PP. LL. t. 36, col., 669) «نحن الكاثوليك منبثون في الارض كلها لاننا نعان بكل مكان ما للسيد المسيح من الحمد ونشترك به» وأما استطاع قبله كيرلس الاورشليمي ان يقول في تعليقه الثامن عشر (PP. GG., t. 33, col. 1043) : «تدعى كنيستنا كاثوليكية لأنها منتشرة في كل المسكونة من اقاصي تخوم الارض الى اقصى حدودها». وسبقهما القديس قريانوس فقال في كتاب وحدة الكنيسة (PP. LL., IV. col. 502) : «ان الكنيسة تُلقي اشعتها في كل المعمور». وقال معاصره القديس ايريناوس في كتابه ضد الهرطقات (PP. GG. VII. col. 550) : «ان الكنيسة المنتشرة في سائر العالم قد ورثت الايمان من الرسل وحفظته بكل حرص»

وزاد عن هؤلاء ايضا في اواسط القرن الثاني للمسيح القديس يوستينوس الشهيد من اهل نابلس في مباحثته مع تريفون اليهودي (PP. GG., VI, col. 750) فعَدَّ بين من دانوا بدين المسيح «الساكنين في الحميم واهل البادية» قال : «ليس مطلقاً جنس من البشر سواء كانوا من اليونان او البرابرة وباي اسم تسموا حتى العائشين في العرَبات (الاسقيثيين) والساكنين في الحميم الذين يرعون المواشي واهل البادية الذين لا يحلون في بيت الا وبيئهم جموع يقدمون الصلوات والقربات الرب باسم يسوع المصلوب» وقال ايريناوس معددا الشعوب التي دخلت بينهم النصرانية (PP. GG. VII. col. 554) وقد دعا العرب باهل الشرق كما روى مفسروه : «هذا الايمان المسيحي هو اليوم منبث في العالم كله... فترى الاسنة مختلفة والنفس واحدة والقلب واحدا سواء اعتبرت آل جرمانية او الايبيريين او القلتيين او سكّان الشرق او مصر او ليبيا والامم التي في اواسط الدنيا فكلهم يعتقدون اعتقادا واحدا يشبه ايمانهم الشمس التي تضيء العالم كله وهي واحدة»

وللمعلم ترتليان في اوائل القرن الثالث نصوص متعددة يؤكد فيها انتشار النصرانية بين كل شعوب زمانه مهما كانت بعيدة او مجاورة فما قولك بالعرب؟ قال في كتابه الى الامم (Ad Nationes, c. 8) «تأملوا انه لا يوجد اليوم امّة الا ودخلت فيها النصرانية (non ulla gens non christiana)». وفي الفصل السابع من رده على اليهود يعدد في جملة المنتصرين ليس فقط الامم الخاضعة للرومان

« لكن غيرها كثيرة كالسرماتيين والدقيقين والجرمانيين والاسقيثيين وقبائل مجهولة واقطار متفرقة وجزائر البحر ففيها كلها يُعرف اسم المسيح وفيها يملك »

وكثيراً ما دعا الكتبة جزيرة العرب باسم الهند لاسيا جهات اليمن وقد شاع هذا الاسم بهذا المعنى (اطلب البولنديين في المجلد العاشر من اعمال القديسين من شهرت ١ ص ٦٧٠) . واليهما اشار القديس يوحنا في الذهب في رده على اليهود (PP. GG., XXX. 500) قال : « انظر بأي سرعة انتشرت الكنيسة في كل اطراف المسكونة وبين كل الشعوب وذلك مجرد فضل الاقتناع حتى ان ائمة كثيرة تركت اديانها وتعاليم اجدادها وشيئت هياكل لتعبد فيها الرب فمنها ما هو واقع في ممالك الرومان كالاسقيثيين والمغاربة واهل الهند ومنها ما هو خارج عن تخوم الرومان الى جزائر بريطانيا واقاصي العالم »

وبعضهم قد دعوهم صريحاً باسم العرب او الاسماعيليين . قال ارنوبيوس في القرن الثالث للمسيح يذكر الشعوب الوثنية التي بشر بينها الرسل فأنشئت الكنائس لمن تنصر منهم (ك ٢ ف ٥ و ١٢) : « انظروا العجائب التي جرت في انحاء المعمور منذ ظهور المسيح حتى انه لا يكاد يوجد الآن امة عريقة بالهمجية الا لطفت خشونتها محبة به واخضعت عقلها للايمان بتعاليمه فاتفقت على ذلك اجيال الناس المتباينة المختلفة طباعاً وآداباً . ومما نقدر ان نخصيه من هذه الشعوب اهل الهند والصين والفرس والماديين والذين يسكنون في بلاد العرب ومصر وجهات آسية وسوريا . وفي كل الجزائر والاقاليم »

فترى انه احصى بلاد العرب في جملة من دان للمسيح في ذلك العهد . وقد ذكرهم المؤرخ سوزمان (PP. GG. t, 67, 1476) في القرن الرابع وافاد « ان بعض قري العرب ودساكرهم يوجد فيها اساقفة » . وكذلك صرح بذكرهم تاودوريطس في القرن الخامس في كتابه المعروف بدواء اضاليل اليونان (PP. GG. T, 88, p. 1037) قال : « ليس فقط قد خضعت للمسيح الامم الخاضعة لشرائع الرومان كالجلبش المتأخين لتية وقبائل الاسماعيليين . . . بل حتى غيرهم من الامم احنوا رؤوسهم لتعاليم الصيادين وشرائع الانجيل كالسرماتيين والهنود والعجم والصينيين (Seræ) والبريطانيين والجرمانيين » . وقال مثل ذلك في محل آخر في كتابه المسمى التاريخ الرهباني (PP. GG. t, . 82, p. 1471)

الباب الثاني

النصرانية بين عرب الشام

اذا نظرت في خارطة الى بحر الشام وحددت مدينتيه الساحليتين طرابلس شمالاً وعكاً جنوباً ثم سرت منهما على خطين متوازيين الى الشرق بلغ بك المسير بعد مرحلتين من طرابلس وثلاث الى اربع مراحل من عكاً الى مفاوز مئسعة تمتد على مدى البصر الى جهة تدمر فالفرات شمالاً والى مشارف الشام فاللج وتلال الصفا حتى جبال حوران وسهول البلقاء جنوباً فكل تلك النواحي الرجة الارحاء التي تقيس نحو اربعائة كيلومتر طولاً في مثلها عرضاً تُعرف اليوم ببادية الشام ولم تكن هذه البادية في سالف الاجيال قفرة قليلة السكّان لا تكاد تجد فيها كاليوم غير قرى معدودة او بعض احياء البدو الذين يتنقلون فيها مع مواشيهم انتجاعاً للمراعي. وانما كانت بعد تملك الرومان عليها في اوائل التاريخ المسيحي أصبحت كروضة غناء شيد فيها اصحابها المدن العامرة لسكنى الاهلين وابتنوا الحصون الحريزة تأميناً للطرق وعزّزوا الزراعة والفلاحة وانبطوا الآبار وحفروا الصهاريج لجمع مياه الامطار وخذدوا القنيّ لسقي المزروعات. والآثار الباقية من هذه الاعمال الى يومنا تنطق بعمران تلك الاصقاع وحضارتها الراقية

اما سكّانها فكانوا من عناصر شتى بينهم الرومان المستعمرون لاسيا من الجنود الذين اتموا مدة خدمتهم ثم جالية اليونان من بقايا الدول السابقة منذ عهد الاسكندر والسلوقيين ثم الوطنيون والفتيقيون الذين احتلوا تلك البلاد لاستثمارها والمتاجرة فيها وكانت تلك الانحاء اوفق ما يتمناه العرب لسكنائهم فترى اهل الحضر منهم يسكنون القرى ويتعاطون اشغال الفلاحة. امّا اهل الوبر فكانوا يرعون مواشيهم في الارياض ويرتقون بلحومها والبسانها واصوافها. وقد نما فيها عددهم حتى رسخت قدمهم وصار اليهم الامر

وكان الرومان في بدء احتلالهم يعدّون العرب كخطر على البلاد لما اعتاده اهل البدو من الغزوات وشن الغارات والسلب والنهب فحاولوا غير مرة كسر شوكتهم

غير أنهم عرفوا بالاختبار أنهم لا يظفرون بهم ظنراً تاماً ما لم يستجدوهم ويستعينوا ببعض عشائهم لقطع دابر الشاذ الباقين منهم . فحالف الرومان شيوخ قبائلهم ودفعوا لبعضهم قسماً من السطة على بادية الشام بصفة شيوخ او ملوك فكانوا يتصرفون مع اهل جنسهم تصرف السيد مع المسود وربما زاحموا الدولة الرومانية كلما كانوا يشعرون بانتقاض حبلها او ضعف ولايتها . فترى النبطيين منهم في اواسط القرن الاول للمسيح متقلدين الحكم على دمشق نفسها كما ورد عن الحارث ملكهم في رسالة بولس الرسول في رسالته الثانية الى اهل كورنثية (١١ : ٣٢) وتبعه في الحكم غيره من النبط . وقد افادنا تاقيتس المؤرخ في تاريخ طيطس بان الرومان كانوا اتخذوا في مقدمة جندهم كتيبة من العرب كانوا يتقدمون الجيش في محاربة اورشليم على عهد وسپسيانوس وابنه طيطس . بل كان الرومان يدفعون لبعض الفرق العربية وظائف معلومة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانية من جهة البادية . وقد اخبر اميان مرقلينوس (Ammien Marcellin, XXV, 6) في ترجمة يليانوس الجاحد بان بعض شيوخ هؤلاء المتحالفين قدموا على القيصر وشكوا اليه تأجيل عماله في دفع رواتبهم فغضب يليانوس وزجرهم بقوله انه : اعد لهم حديداً (لقتالهم) لا ذهباً (لاجرتهم) . فخرجوا ناكين على الرومان ولحقوا بجيش العجم وحاربوا يليانوس مع جيش سابور فكانت عليه الدولة

اماً الديانة التي كانت عليها امم بادية الشام وقبائلها فكانت خلطاً من اديان الوثنية فكان اليونان والرومان اتوا بمعبوداتهم المنوطة بالسيارات كالشترى وزحل وعطارد والزهرة والمريخ فاكروها اكرام اجدادهم ومواطنيهم لها في اثينة ورومية . ونشر الفينقيون عبادة تموز وعشتروت والبعل . امأ النبط فكانوا يفضلون ذا الشرى (Dusares) واللات وشمس ويتع . ثم اختلطت هذه العناصر المتباينة وتداخلت اديانهم ببعضها واکرم كل قوم معبودات القوم الآزين

وفي غضون ذلك ظهرت النصرانية وقامت اناهضة تلك الاديان كلها دون ان ترضى ان تختلط بها او تبادلها بشيء . والارجح ان الدين المسيحي دخل بلاد العرب من غربي الجزيرة من جهة الشام حيث انتشر بعد صعود السيد المسيح بزمان قليل كما ورد في سفر الاعمال . ولا يقبل العقل ان بولس الرسول رحل الى العربية كما جاء

في رسالته الى اهل غلاطية (١٧: ١) دون ان يكون سبقه اليها احد من المنتصرين او خالف فيها اثرًا من دينه

والظاهر ان النصرانية دخلت اولًا في خاضرة حوران اعني بصرى كما تشير اليه التقاليد القديمة التي تناقلها الكتبة اليونان والسريان ثم العرب المسلمون من بعدهم . فقد ورد في جدول دورتاوس السوري لتلامذة السيد المسيح السبعين ان تيمون احد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الاعمال (٨: ٣) نشر الدعوة النصرانية في مدينة بصرى فعُدَّ كرأس اساقفتها . وفي الروايات التي تداولها الكتبة النصارى عن الرسل واثبتها السمعاني في مكتبته الشرقية (ج ٤ ص ١ - ٢٠) ان البعض منهم تلمذوا العرب وخصوا بهم عرب بادية الشام وحوران كما يظهر من القرائن . وصرح بالامر المقريري في كتاب الخطط والآثار (ج ٢ ص ٤٨٣) فروى عن متى العشار « انه سار الى فلسطين وصور وصيدا وبصرى » . وقال ابن خلدون في تاريخه (١٥٠ : ٢) : « ان برتالماوس بعث الى ارض العرب والحجاز » . اما تدمير وباديتها فذكر سليمان اسقف البصرة في كتابه السرياني المعنون بالنعحة (Budge : Book of the Bee, p. 106) ان يعقوب بن حلفا بشر فيها

على ان هذه الشواهد في الدعوة النصرانية الاولى في بادية الشام تعم كل عناصر الاهلين ولا تفرز العرب من سواهم فتبقي شكًا في تنصرهم الا ان ما يتبع ذلك العهد من الشواهد التاريخية اصرح واجلى . فقد اناذنا مؤرخو العرب ان القبيلة الاولى التي تولت على بادية الشام باسم الرومان انما كانت قضاة من قبائل اليمن . ثم غلبتها على الامر سليح ثم جاءت بعدهما قبيلة غسان فلكت على تلك الجهات وبقي ملكها الى ظهور الاسلام . والحال ان هذه القبائل الثلاث قد دانت بالنصرانية على رأي اولئك المؤرخين . قال اليعقوبي في تاريخه (طبعة ليدن ١ : ٢٣٤) عن قضاة « ان قضاة اول من قدم الشام من العرب فصارت الى ماوك الروم فلكوهم فكان اول الملك لتنوخ بن مالك بن فهم . . . فدخلوا في دين النصرانية فلكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب » . وكذلك بنو سايح فقد صرح بنصرانيتهم المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٢١٦) قائلًا : « وردت سليح للشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت فلكها الروم على العرب الذين بالشام »

أما نصرانية غسان فهي من الامور التاريخية الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان . على ان كاتباً من البغادة اغفل اسمه كان تصدى لنا في هذه المسألة ونشر في المقتبس (٣٨٢ : ٢) رأياً خالف فيه مجموع المؤرخين وزعم اننا بنسبتنا النصرانية الى غسان ركبنا شططاً فرددنا عليه بمقالتين ضافيتين نشرناهما في المشرق (٥٥٤ : ٥١٩ : ١٠) جمعنا فيهما البيئات اللامعة والشواهد الساطعة التي تثبت تدوين غسان واحياؤها وملوكها بالنصرانية ولا بأس ان يقال غسان كلها مع امكان وجود بعض افراد او عشائر لم يكونوا نصارى فان الكلام على الاغلبية . ولا ثبات زعمنا اتينا بالادلة التابعة التي لم نكن فيها الى اقوال مؤرخي العرب فقط وكل ذي انتقاد يعلم ان كتبة العرب لم يدونوا تاريخاً صحيحاً قبل القرن الثامن وانما نقلنا نصوص كتبة يوثق بهم من يونان ورومان وسريان ممن كانوا معاصرين للحوادث التي فصلوا اخبارها وامكنهم الوقوف على صحتها اما بالمعينة واما بصوت العموم

نصرانية غسان

غسان قبيلة عينية قدمت جهات الشام بعد انفجار سد مأرب وسيل العرم فاستوطنوها ثم تغلبت على اهلها بعد سليح كما سبق فصار اليها الامر وتبعت قضاة وسليحاً في نصرانيتهم . والكتبة العرب لسان واحد في اثبات ذلك فان تتبعنا اثار النصرانية في كتبهم وجدناهم يذكرون ملوك غسان الاولين ابنية تدل على نصرانيتهم فان حمزة الاصبهاني في تاريخ الملوك والانبياء (ص ١١٧) يؤكد ان ثاني ملوك غسان عمرو بن جفنة بنى بالشام عدة ديرة " منها دير هند ودير حالي ودير آيوب " ثم ذكر (ص ١١٨) للايهم بن الحارث بن جبلة اخي المنذر الغساني الاكبر انه " بنى دير ضخم ودير النبوة " . ومن المعلوم ان تنصر الملوك يدل عادة على تنصر رعاياهم . وفي الواقع لا تكاد تجد مؤرخاً عربياً الا يشير الى نصرانية غسان فالمسعودي في مروج الذهب طبعة مصر (٢٠٦ : ١) وفي كتاب التنبيه والاشراف طبعة ليدن (ص ٢٦٥) وان رسته في كتاب الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن ٢١٧) وابو الفداء في تاريخه (٧٦ : ١) والنويري (Rasmussen, 72) وغيرهم لا يدعون في الامر ريباً . وقال اليعقوبي من كتبة القرن العاشر للمسيح (في تاريخه

١: (٢٩٨): «وَأَمَّا مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَقَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ الْيَمَنِ طَيِّ وَبَهْرَاءَ
وَسَلِيحَ وَتَنُوحَ وَغَسَّانَ وَلَحْمَ...»

وقال السيوطي في الزهر نقلاً عن كتاب الالفاظ والحروف بأن اللغة العربية
لم تؤخذ من قبائل شتى الى ان قال أنها لم تؤخذ «ولا من قضاة وغسان وايد
لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية» يريد بالعبرانية السريانية
الفلسطينية

وممن اشار الى نصرانية غسان النابغة في بائته التي مدح فيها ملوك غسان واثني
على دينهم وذكر عيد الشعانين فقال :

محلّتهم ذات الإله ودينهم قديمٌ فإيرجون غير العواقب
رفاق النعال طيّبٌ حجازهم يحيون بالريحان يوم السباسب

هذا ما علق في ذهن العرب عن نصرانية غسان ولعلّه كافٍ ليقنع بشيوع دين
المسيح في بادية الشام كلّها لأنّ كلامهم يدلّ على أنّ النصرانية بتلك الاصقاع ما كانت
محصورة في غسان بل امتدّت ايضاً الى القبائل العربية من اهل الحضر والمدن الذين
سكنوا في تلك الانحاء واختلطوا بمستعمرها. فمن اراد ان يتتبع تاريخ النصرانية
بينها ينبغي عليه ان يجمع ما دوّنه المؤرخون اليونان والرومان والسريان منذ انتشار
الدين المسيحي في تلك الجهات اذ لا يجوز القول بأنّ النصرانية لم تؤثر في غير
الاجانب المستوطنين فيها واقوالهم جديرة بالاعتبار وهم معاصرون للامور التي
كتبوا عنها

فمما رواه اوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي (ك ٦ ف ١٩) ان
النصرانية كانت في مبادئ القرن الثالث للمسيح راسخة القدم وافرة العدد في
بصرى حاضرة حوران. وقد اخبر عن اورييجانوس المعلم الاسكندري الشهير انه
رحل ثلاث مرّات الى بصرى. فالمرّة الاولى استدعاه حاكمها الروماني المدعو
جاليوس سنة ٢١٧ ليقفه تعاليم الدين المسيحي وينصره فجاء اورييجانوس الى
بلاد العرب ملتمساً دعوته وبعد أن اتمّ مرغوب الحاكم وعمّده رجع الى الاسكندرية.
اما الرحلة الثانية فباشرها اورييجانوس كما افاد اوسابيوس في تاريخه (ك ٦ ف ٣٣)
بسبب بيرئوس مطران بصرى. فانّ هذا الرجل كان من مشاهير اساقفة زمانه في

بلاد العرب أَلَفَ رسائل ومقالات دينية وأدبية فصيحة الالفاظ بليغة المعاني لولا أَنَّهُ شَطَّ في كلامه عن لاهوت السيد المسيح فجري بينه وبين الاساقفة معاصريه جدال وخصام وألّا لم يقنعوه ارسلاوا الى اوريجانوس ليأتي الى حوران فيباحث بيرلوس المذكور ويردّه عن ضلاله فعاد المعلم الاسكندري الى حاضرة بلاد العرب وبعد ان اجتمع باسقفها وتحقّق شططه عرض عليه الرأي الصحيح وأزال ريبه فجاهر بيرلوس بنخوعه للايمان المستقيم امام مجمع من الاساقفة عقد لذلك وانصرف اوريجانوس راجعاً الى الاسكندرية. ففي الثّام هذا المجمع دليل واضح على نفوذ النصرانية في بادية الشام ووجود اساقفة في مدنها كجرش (Gérasa) وربة عمان (Philadelphie) امّا المرّة الثالثة التي قدم فيها اوريجانوس الإمام الى بادية الشام فكانت بسبب بدعة ابتدعها بعض اهلها فزعموا ان النفوس تقف بالموت كالاجساد ثم تُبعث يوم الدينونة معها لتنال الثواب عن اعمالها. فلمّا عرف اوريجانوس بهذا القول. اسرع الى تفنيده في مجمع ضمّ اربعة عشر اسقفًا وبين امام الجموع الملتئمة لاستماع حقيقة تعليم الكنيسة فردّ الضالين وثبّت الايمان في قلوبهم وانكفأ منصرفاً الى مركزه (راجع تاريخ اوسابيوس ك ٦ ف ٣٧)

وكان قبل ذلك بمدة اشتهر مبتدع آخر نصراني من عرب الشام اسمه منيم (Monoimos) كان هذا كطايمانوس (Tatien) تلميذاً للقديس يستينوس النابلسي والفيلسوف الشهيد لكنّه خلط بين الآراء الفلسفية والايمان كما ذكر تاودوريطوس في كتاب المهرطقات (Fab. Hær., I, 18) واتّضح مؤخراً من كتاب القديس هيپوليتس الشهيد المدعو بفيلوسوفومينا (Philosophoumena)

ومما يثبت ارتقاء النصرانية واتساع دائرتها في بادية العرب انّ منها خرج أوّل قياصرة الرومان النصارى. وزيد به فيلبوس العربي الذي ملك على رومية من السنة ٢٤٤ الى ٢٤٩. وكان اصله من بصرى ثمّ تجنّد في جيوش الرومان ولم يزل يتقلّب في كلّ مناصب الجندية حتّى صار كبير رؤساء العسكر ووزير الحرب وصاحب غرديان الثالث في محاربة الفرس. ألا انّ الجند شغبوا على الملك في طريقه واقاموا بدلاً منه فيلبوس العربي. وكان فيلبوس نصرانياً كما تشهد على دينه الآثار التاريخية ورسائل اوريجانوس اليه. وقد زعم البعض انّ غورديان قُتل باغرائه ألا انّ غيرهم ينكرون

ذلك بتاتاً ولعله لم يخلُ من الطمع فلم يدافع عن مولاه كما وجب عليه ولذلك قد اخبر اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٣٤) وصاحب التاريخ الاسكندري (Chro-nicon Alexandrinum) انه لما عاد راجعاً بالعسكر الى رومية مرّ بانطاكية واراد ان يشترك مع النصارى في موسم عيد الفصح الا ان اسقف المدينة القديس بابيلاس تصدّى له ولم يسمح له بمشاركة المؤمنين الا بعد اعترافه بخطاياهم وتقدمته التوبة عنها (١). وكانت أيام فيلبس العربي أيام راحة وعمران للدولة الرومانية وفي عهده أقيمت الافراح العمومية في كل المملكة بنسبة مرور الف سنة على مدينة رومية ومن اعماله تشييد مدينة «عُمان» في حوران ودعاها باسمه «Philippopolis» ونالت بهمة النصرانية سلاماً مؤقتاً فانتشرت اى انتشار الى ان فتك به احد القواد المدعو دقيوس وقتله مع ابنه وتولّى الامر مكانه. قال اوسابيوس (ك ٦ ف ٣٩) ان دقيوس هذا اثار على النصارى اضطهاداً دمويّاً بغضاً بفيلبوس سلفه. وفي تاريخ اوروزيوس (اوروشيوس) من كتبة القرن الخامس (ك ٧ ف ٢١) ان دقيوس قتل فيلبوس وابنه بسبب تنصرهما وعليه يكون موتهما استشهاداً. وقد جمع البولنديون في اعمال القديسين (Acta SS. Janv., II, 617-621) عدّة شواهد تثبت ذلك. فكفى به فخراً لبلاد العرب ان أوّل قياصرة رومية المنتصرين كان مولده في ربوعها وسبق قسطنطين في تنصره.

كل ما سبق قد تمّ قبل القرن الرابع فلما نالت النصرانية حريتها وخرجت ظافرة من الدياميس زاد الدين بذلك رونقاً وعزاً في بادية العرب وكافة مدنها ولنا ادلة على ذلك في الكنائس العديدة التي تشيّدت منذ ذلك العهد بكل انحاء حوران والصفاء واللجا وجولان والبلقاء التي وجد كثير من بقاياها الجليّة الاثريون الذين تجولوا في تلك الجهات كوادنغتون (Waddington) ودي فوكويه (de Vogüé) ووتشتين (Wetzstein) وراي (Rey) ودوشو (Dussaud) وآباء رهبانيتنا. وكلهم وصفوا هذه الآثار ورسوموا تصاويرها وذكرها تواريخها (٢).

(١) اطلب ايضاً تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ١٢٦)

(٢) راجع كتاب واذنغتون ودي فوكويه (Waddington et de Vogüé: Syrie

Centrale: Architecture civile et religieuse du 1^{er} jusqu'au 7^e siècle, Paris, 1864)

ومن هذه الآثار مئات من الكتابات اليونانية واللاتينية* وجدت في نيف ومائة موضع فيها أسماء كنائس واساقفة ووجاء من النصارى وعليها رموز نصرانية لا شك فيها كالصليب في هيئات مختلفة وأول حروف اسم السيد المسيح والانجوس وسعف النخل والسمة. ومنها ما يحتوي شعاراً دينياً صريحاً كآية التوحيد « الله واحد هو » وتسبحة السيد المسيح « قد انتصر المسيح » او « المسيح اله هو » . وبين تلك الكتابات كتابة عربية سبقت الاسلام خمسين سنة باحرف عربية تاريخها سنة ٤٦٣ بصرى اي ٥٦٨ للمسيح وجدت في حران وجاء فيها ذكر مشهد أقيم تذكراً للقديس يوحنا المعمدان على يد احد شيوخ القبائل العربية المدعو شراحيل (١) وكذلك توفرت شواهد المؤرخين الذين ابقوا لنا ذكراً للنصرانية ولاورها الدينية والمدنية في بادية الشام . فمنها جداول الاساقفة الذين حضروا المجامع المسكونية الكبيرة التي سبقت الاسلام وبالاخص الاربعة الاولى في نيقية والقسطنطينية وافسس وخلقيدونية فهناك أسماء عدة اساقفة اتوا من مدن بادية الشام وصادقوا على اعمال تلك المجامع بتوقيعهم واسماء بعضهم عربية محض كالحارث او منقولة عن العربية كتاودولس تعريب عبدالله وثاودورس تعريب وهب الله وكان هؤلاء الاساقفة من اهل الحضر يسكنون مدن بادية الشام . الا ان غيرهم كانوا يسكنون المضارب ويتنقلون مع القبائل الراحلة الناجمة المتقلبة في المجالات ارتياداً لمراعي غنمها ومصالح ابلها . وقد بلغت اسماء بعضهم ممن عرفوا باساقفة الحيام وحضر بعضهم المجامع الكنسية وامضوا عليها واشتهر بعض اساقفة البلاد العربية بما خلفوه من الآثار . منهم القديس طيطس رئيس اساقفة بصرى وضع عدة تأليف اعظمها شأناً ما كتبه في تزييف بدعة ماني والمناويين وكانت هذه التأليف مفقودة حتى توفى الى اكتشافها في عهدنا بعض المستشرقين فوجدوها في السريانية ونشروها مع ترجمتها . وكان طيطس في عهد يليانوس الجاحد ولم يخف من تحذير شعبه عن كفر ذلك القيصر المارق واشتهر في القرن الخامس الميلاد خلفه على كرسيه القديس انطيفاتر صاحب

* بين القرن الثاني والقرن الرابع للمسيح

(١) اطلب كتاب لوبا ووادنقون (Ph. Le Bas et Waddington: *Inscriptions*

Grecques et Latines, III, p. 563)

مصنّفات عديدة في مواضيع دينية شتّى كمقالات في ايضاح الايمان وميامر في الاعياد وردود على الهرطقة

وفي تاريخ كتبة اليونان كسوزومان (ك ٦ ف ٣٨) وروفينوس (ك ٢ ف ٦) وثاودوريطس (ك ٤ ف ٢٠) وثاوفان في تاريخ سنة ٣٦٩ وغيرهم من مؤرخي القرن الرابع الى اواخر السادس للمسيح فصول شتّى واخبار منشورة عن احوال الدين بين عرب الشام تفيدنا علماً عن سطوة النصرانية واجتذابها لقلوب اهل البادية لاسيا بواسطة السياح والنسّاك الذين كانوا يعيشون في قفارهم ويخدمون الله كملائكة متمصّين اجساداً هيوليّة. فكانت فضائلهم العجيبة والكرامات التي تجري على ايديهم من شفاء الاسقام وطرد الارواح النجسة واستمداد النعم الروحية والبركات الزمنية تجذب اليهم اهل المدن والقرى فلا يلبثون ان يسمعوا تعاليمهم ويستثيروا بارشاداتهم ويهتدوا على ايديهم الى جادة الحق فيطلبوا الاصطباغ بمياه المعمودية

قال سوزمان في تاريخه (Sozomène, HE, VI, c. 38) عن عرب الشام: «قد تنصّر كثير من العرب (هو يدعوهم بالشرقيين Σαρματῆς) قبل زمان والنس (من ٣٦٤ الى ٣٧٨) ممّن اجتذبتهم الى الايمان المسيحي ارشادات الكهنة والرهبان الذين كانوا يعيشون في النسك والزهد في الانحاء المجاورة لهم عائشين بالقداسة ومجتريين المعجزات الباهرة». ثم ذكر سوزمان ما اشرنا اليه سابقاً في دفاعنا عن نصرانية غسان اعني رجوع قبيلة كبيرة كان زعيمها يدعى زوكوموس (وهو ضجعم) فقال له احد الرهبان بصلواته الى الله ولداً ذكراً فاعتمد هو وكل قبيلته

واردف المؤلف ذلك بنجر ماوية ملكة العرب التي حاربت الرومان وغلبتهم واستولت على بلادهم الى تخوم مصر ولم ترضَ بصلحهم الا على شرط بان يرسل الرومان الى مملكتها ناسكاً شهيراً يُدعى موسى خصّه الله بصنع العجائب وبقداسة الحياة فسُقّف على العرب الذين تحت حكمها وكان عدد النصاري الذين وجدهم في دولتها قليلاً امّا هو فانار معظم رعاياها وعمّدهم. وقد اخبر ثاودوريطس في تاريخه (ك ٤ ف ٢٠) انّ ماوية هذه توطيداً للصّح مع الرومان قرنت ابنتها بالزواج مع القائد الروماني فكتور. وكانت الفتاة شديدة التحمّس في الايمان

ومذ ذاك الحين إذا ورد اسم احد ملوك غسان امّا في تواريخ السريان وامّا

في تواريخ اليونان واللاتين تجد الكتبة لساناً واحداً في وصفهم كنصارى يخصهم الكتبة بالالاقاب الشرفية الممنوحة لهم من القياصرة فيدعون بطارقة وامراء وذوي العز والدولة: وربما زادوا على هذه الالاقاب ما دل على دينهم فيدعون مؤمنين (**حَسْبُكَ سَلَوَا**) ومحبين للمسيح (**حَسْبُكَ سَلَوَا**) وكذلك ورد في احد مخطوطات لندن اسم كاهن يدعى « كاهن ذي العزة والمحِب للمسيح البطاريق المنذر بن الحارث » (١)

وفي القرن الخامس اخذ الرهبان يعيشون عيشة اجتماعية بعد ان كانوا يعيشون منفردين في الاقفار والمرجح ان الاديرة التي ذكرها حمزة الاصبهاقي وابو الفداء وغيرهما بُنيت في هذا الزمان. وكذلك الاديرة التي وصفها ياقوت الرومي في معجم البلدان كدير أيوب في حوران (في قنوات على ما يظن وهي بلد أيوب) ودير بونا ودير سعد ودير بصرى وقد بقي بعض هذه الاديرة مدة حتى بعد عهد الاسلام

ومما زاد النصرانية ترقياً في بلاد العرب عدد كبير من الاساقفة والكهنة والرهبان كانوا في أيام الاضطهادات على عهد القياصرة الوثنيين او ملوك الروم المتشيعين لا يجدون على حياتهم اماناً الا بان يهجروا بلادهم ويفرّوا الى انحاء العرب حيث كان يصعب على المعتصبين ان يدركوهم ويلحقوا بهم الأذى

وربما نفى المعتصبون هؤلاء المعتزفين بالايمان من بلادهم الى بلاد العرب ليدوقوا هناك مشقات العيش من الجوع والعطش والعري. وكثر عددهم في أيام بدعة آريوس. وكان بعض هؤلاء رجالاً ذوي علم واسع وفضل كبير كإليّا بطريرك القدس واوجان اسقف الرها وبيروتوجان اسقف حرّان. فكان المنفيون اذا احتلوا بين العرب سعوا في اثارة عقولهم وبيّنوا لهم بطلان اوثانهم وأقنعوهم بحجج اضليلهم

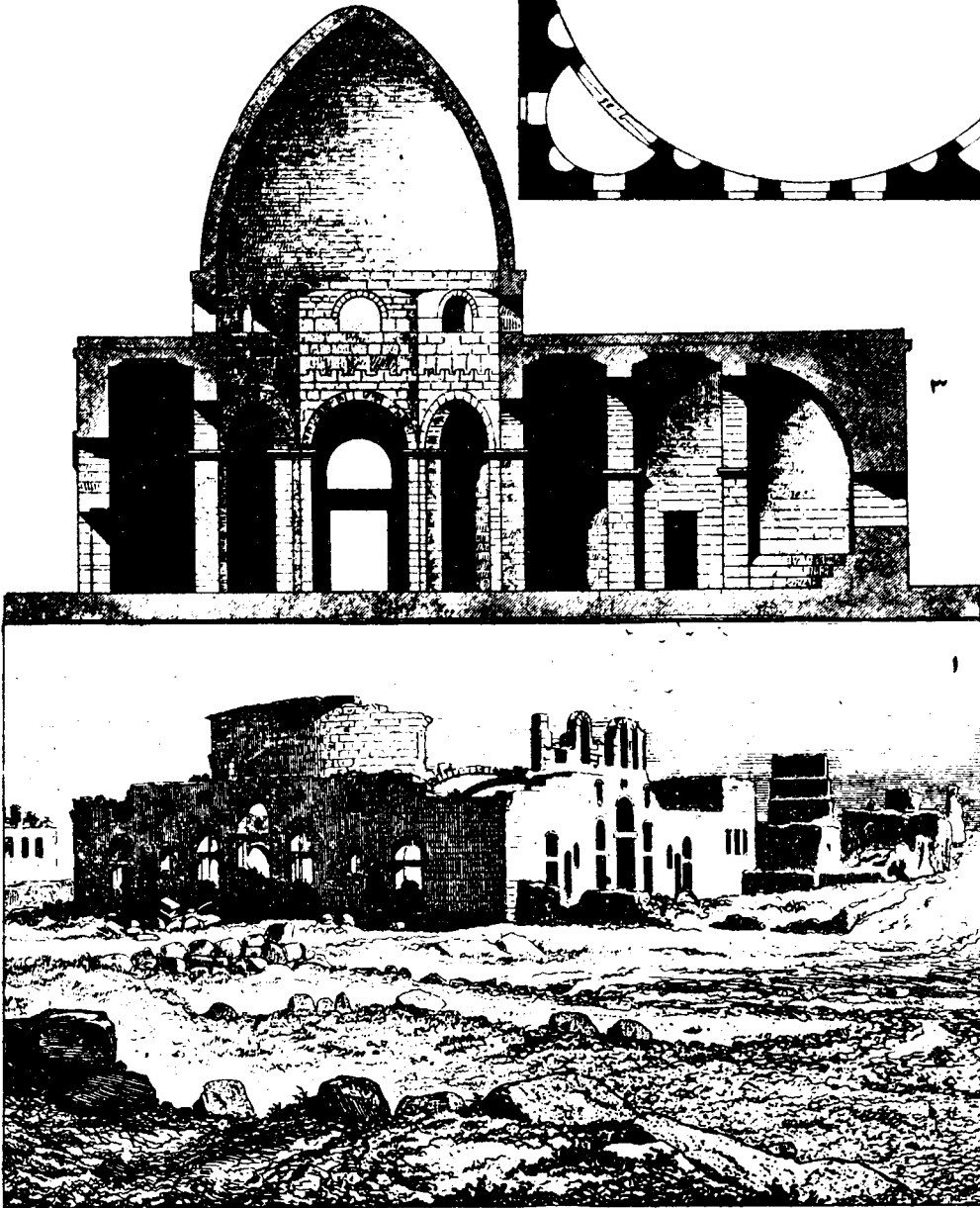
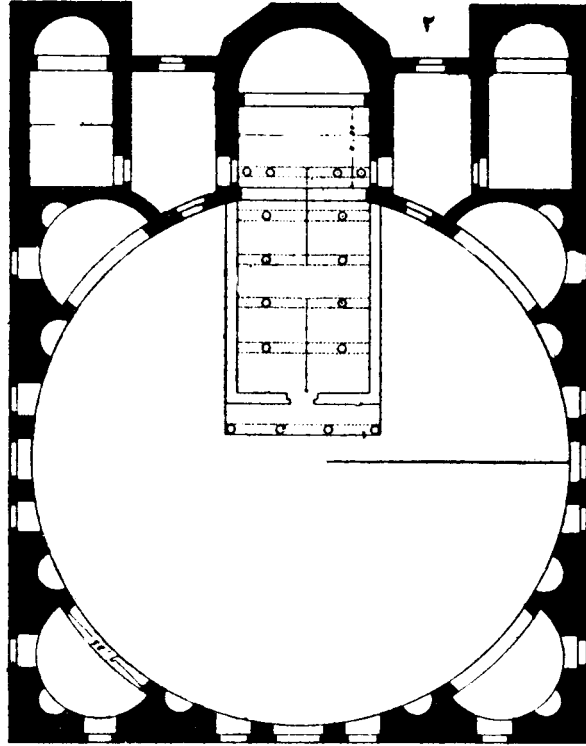
بل يذكر التاريخ جملة من الشهداء قُتلوا في سبيل الايمان في بادية الشام ومدنها كالقديسين كيرلس واكيلا ودومطيان المستشهدين في مدينة عمّان على عهد ديوقليانوس وتذكرهم الكنيسة في ١٠ آب وكزينون وزيناس الشهيدان على عهده ايضاً سنة ٣٠٥. وذكر اوسابيوس القيصري (ك٨ ف ٢١) ان في زمن هذا الملك « قُتل عدد لا يحصى من الشهداء في بلاد العرب ». وفي السنكسار الروماني عدة شهداء

(١) اطلب كتاب نلدكه عن غسان (Die Ghassan. Fürsten, p. 8)

١ كنيسة بصرى في حوران
(رسم الملامة دي فوكويه)

٢ رسم الكنيسة المذكورة وهندستها

٣ قطع نصفي لكنيسة اذرح في حوران



قُتلوا في بادية الشام في ذلك الاضطهاد عينه فيكرمون لشهامتهم في غرة آب .
واستشهد فيها على عهد يليانوس الجاحد القديسان اوجان ومكاريوس المكرمان في
ك ١٠. فلا غرو ان دم هؤلاء الشهداء اُخصب زريعة الايمان وانماها في جهات العرب
ومن هذه الآثار القديمة اعلام الامكنة التي بقيت حتى اليوم كدليل ناطق
على اتساع النصرانيّة في منازل غسان لاسيا الصفا وخوران . فان عدداً دثراً من اسماء
الامكنة يدعى في زماننا بالدير كدير الكهف ودير قنّ عددها الاثريون دي فوگوي
ووادنغتون ودسو وغيرهم

ويضاف الى هذه الشواهد جداول المراكز الدينيّة التي تدلّ على تعدّد
الاسقفيات في تلك الانحاء فان مطران البصري وحده كان يحكم على ٢٠ اسقفاً (١)
وكان بعض هؤلاء الاساقفة يتنقلون مع القبائل الراعية فيسكنون الخيم ولذلك
يدعونهم اساقفة الخيم (ἐπίσκοποι τῶν παρεμβολῶν) وقد امضوا غير مرة اعمال
المجامع بهذا التوقيع « فلان اسقف اهل الوبر » او « فلان اسقف القبائل الشرقية
المتحالفة » او « فلان اسقف العرب البادية » (٢). أفترى بيّنة أعظم من ذلك على
انتشار النصرانيّة بين عرب الشام

فهذه الحجج كافية ليقرّ كل مناظر بصحّة قولنا عن غسان أنّها كانت تدين
بالنصرانيّة ولوشنا لعزّنا هذه الادلة بشواهد اخرى من كتبة السريان كميخائيل
الكبير ويوحنا اسقف افسس ويوشع العمودي وابن العبري ونصوصهم توافق ما
ذكرناه آنفاً

ومما يقتضي التنبيه اليه ان النصرانيّة في بادية الشام ثبتت في عزّها الى ظهور
الاسلام وفت واتّسعت حتى يجوز القول بان الوثنيّة تقلص ظلّها حتى كاد يضمحلّ
ومما يدلّ على ذلك ان نصارى العرب الذين اجتمعوا مع الرومان لردّ غارات
المسلمين في غرة الاسلام كانوا الوفاً مؤلّفة يبلغ الكتبة عددهم الى مئة الف بنيف (٣)

(١) وجاء في بعثة دوسو الى بادية الشام (René Dussaud : Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne, p. 77) ان عددها كان ٣٣

(٢) اطلب مجموع اعمال المجامع (Labbe : IV, 83, 91, 268)

(٣) راجع ما كتبه الياس النصيبني المؤرخ (Elias Nisib. ap. Baethgen, Fragm. 109)

فهذا العدد الوافر من المقاتلين يدلُّ على أنَّ النصارى في بادية الشام كانوا ألوف الألوف فلا يكادُ يبقى بينهم مكان لاهل الشرك وعبدَةِ الاصنام هذا ولا ندعي أنَّ النصرانيةَ الغالبة على بادية الشام كانت صافية خالية من كلِّ شائبة وضلال . كَلَّا بل نعلم حقَّ العلم أنَّ البدعة اليعقوبية تسرَّبت الى تلك الجهات وكدَّرت صفاء الايمان بما ادخلته من المعتقدات الباطلة في طبعي السيد المسيح وبزعمها أنَّ المسيح طبيعة واحدة كما هو اقنوم واحد فزجت اللاهوت بالناسوت وبلبلت كلَّ تعاليم الخلاص

ولم تكن اليعقوبية البدعة الوحيدة التي قوّضت اركان التعاليم الرسولية بل دخل الى بلاد العرب كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يؤملون رواج اضاليلهم في انحاءها دون ان يلاقوا فيها زاجراً يجرهم ولا وازعاً يزعهم . وكان بعضهم يفرون الى جهات العرب لينجوا من مصادرة ماوك الروم الذين كانوا يريدون قهرهم على جحود اضاليلهم فيفضِّل اوائلك المتشيعون الهرب الى بادية العرب . فكثروا هناك ونشروا بدعهم حتى قال القديس ابيفانيوس أنَّ بلاد العرب ممتازة بدعها (Arabia hæ-resium ferax)

وقد رددنا في المشرق (١٠ : ٥٥٦) على بعض اعتراضات اعترض بها على نصرانية غسان مراسل المقتبس فيدنا بطلانها . كزعمه بأن الحارث الاكبر ابن ابي شمر الغساني الملقَّب بالاعرج كان وثنياً لأنَّه اهدى سيفه رسوباً ومخدماً لبیت صنم كما روى الطبري (١ : ١٧٠٦) فاثبتنا نصرانية الحارث بشواهد مؤرخين معاصرين للحارث من يونان ولاتين وسريان وقد ورد اسمه في الكتابات القديمة ملقَّباً بالمحب للمسيح كما رأيت وان كان يعقوبي النحلة كما ذكر هؤلاء الكتبة . امَّا تقدمته سيفين لبیت صنم فهي رواية ضعيفة لا يتفق فيها الرواة (اطلب يا قوت ٤ : ٤٥٣) ما لم يقل ان الطبري جعل بيت صنم احد . عابد النصارى او يقال ان الحارث النصراني اتى بفعله عملاً ذمياً فئسي شرائع النصرانية او تجاهل بها

واعترض الكاتب البغدادي على نصرانية عرب غسان بشهادة يا قوت الحموي (٤ : ٦٥٢) بأن غسان كانت تعبد مناة وذكر دعائها عند وقوفها عند صنمها .

فكان جوابنا اننا لم ننكر كون غسان دانت مدّة بالوثنية لكنّها لما تنصرت نبذت

عبادة مائة وبقية الاصنام منذ القرن الرابع للمسيح كما ثبت من الشواهد التي ذكرناها. هذا فضلاً عن انّ الدعاء الذي ذكره عن تاريخ اليعقوبي (٢٩٧: ١): « ابيك رب غسان راجلها وفارسها » لا يختص بصنم ويجوز التوسل به وكان آخر ما اعترض علينا الكاتب البغدادي قول اليعقوبي الى الله الحق (١):

(٢٩٨) بعد ذكر نصرانية غسان انّ « قوماً منهم تهودوا » فكان جوابنا عليه انّ الكتبة العرب اجمالاً (الا اليعقوبي) ليس فقط لم يذكروا تهود غسان بل نفوا اليهودية عنهم. وعنهم نقل صاحب الفضل شكري افندي الالوسي البغدادي في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب (٢٦: ٢) حيث روى عن تتبع الاصغر الحميري انه لما تهود دعا الى اليهودية غسان فابوا معتذرين بدخولهم الى النصرانية. قال: « وسار تبع الى الشام وملوكها غسان فاعطته المقادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانية »

واضفنا الى قولنا هذا جواباً آخر قلنا انه لمحمّل ايضاً انّ اليعقوبي نسب اليهودية الى قوم من غسان لانتشار بعض الشيع بينهم كشيعه الابيونيين (Ebionites) والزاريين (Nazaréens) وغيرهما كانت من بقايا اليهود الاولين الذين تنصروا وحفظوا شيئاً من نواميس موسى وهم الذين خرجوا بامر الرب من اورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا بلاد العرب وعرفوا باليهود المتنصرين (Judéo-chrétiens)

الباب الثالث

النصرانية بين عرب الغور والباطن

انّ نهر الاردن المعروف بالشرية بعد خروجه من اغوار حرمون في جهات بانياس وجريه جنوباً فتتكون منه بحيرة الحولة يصب في بحر الجليل ثم يخرقه فيسيل متحدراً الى الاعماق بين ضفتين ترتفعان شرقاً وغرباً حتى يبلغ تحدده نحو ٣٠٠ متر تحت سطح بحر الشام وينتهي الى بحر لوط فتلك الناحية التي يقطعها الاردن تدعى بالغور. وليست تلك الجهة مسيلاً للنهر فقط بل تتسع ضفافها وترتفع بالتدريج في سعة يقدر معدلاً نحو ١٠ كيلومترات فيها البقع المخصبة والنواحي العامرة والعيون المتدفقة

وان لحظت عبر الاردن وجدت وراء ضفافه شرقاً بلاداً واسعة تعلوها الجبال الشاهقة كجبل عجلون وجبل جلعاد وجبل نبو الى جبال مؤاب بينها المشارف الفسيحة والاوودية الكثيرة الخيرات والمناجع الطيبة كالسلط والبلقاء وصحاري مؤاب تتصل شمالاً ببادية الشام وجنوباً بنواحي كرك وجهات النبط وشبه جزيرة سيناء فهناك سكنت شعوب كبيرة كالعمونيين والمؤابيين والمدينين. وكانت قبائل العرب البادية والحاضرة ممتزجة معها تتنقل في جهاتها من اريافها الى صرودها طلباً للمراعي او تسكن في المدر فتعني بالفلاحة

فالنصرانية وجدت لها في تلك الاقطار كلها بين اهلها المطبوعين على شظف العيش وسداجة الاخلاق ومجانبة الترفه والبذخ تربةً صالحةً ما كاد يقع في ظهرانيها الزرع الجيد حتى غا اي غمّ. وكان حلول المسيحيين الاولين في تلك الجهات قليلاً بعد صعود الرب ولاسيما لما ثار الاضطهاد الاول على تلاميذ الرسل (اعمال ٨: ١) ولما جاء الرومان لمحاصرة اورشليم اذ خرجوا الى عبر الاردن بوحى من الرب فاستوطنوا انحاءهم كما اخبر اوسابيوس. ولا شك انه نال العرب قسمٌ من تلك النعم الروحية التي افاضها الله على سكان تلك الاصقاع فدانوا بدين المهاجرين ومن الادلة التي تناقلها بالتقليد فدونها المؤرخون تنصر الضجاعة الذين سبقوا الغسانيين في ملك البلقاء. وقد حفظوا لنا اسم احد امرائهم فدعوه دؤاد بن الهبولة المعروف بالثلق وجعلوا مقامه في مادبا (اطلب تاريخ ابن خلدون ٢: ١٥٣) وذلك في اواخر القرن الثاني للمسيح (١)

ولما انتهى طور الاضطهادات على المسيحيين في القرن الرابع قُسمت تلك النواحي اياتين مدنيّتين فدُعيت الواحدة بفلسطين الثانية كانت حاضرتها مدينة باسان والاخرى فلسطين الثالثة كانت حاضرتها مدينة پترا او سلع. وقد بلغ عدد الكراسي فيها قبل الاسلام نيفاً واربعين كرسياً يُعرف اسما كثيرين من اساقفتها الذين دبروها ورعوا مؤمنها فناهيك بذلك شاهداً صادقاً على امتداد الدين المسيحي في العرب

(١) قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق (طبعة ليبسيك ص ٣١٩): «الضجاعم كانوا ملوكاً بالشام قبل غسان ومنهم داود اللثقي الذي يضاف اليه دير داود بالشام وقد ملك زماناً (الضجاعم هم بنو ضجعم بن سعد بن سليج بن عمران بن الحاف بن قضاعة)

وكان أكثر الدعاة عملاً في نشر النصرانية نساكها وسياحها الذين كانوا اتخذوا لهم مأوى ومحابس يسكنونها معتزلين عن الناس ليعيشوا فيها عيشة الملائكة بالزهد وضروب المناسك الرهبانية فكان مثلهم يعمل في قلوب العرب خصوصاً ويجتذبهم الى دين اولئك الابرار فيطلبون منهم نعمة العمودية

ومما اخبر به القديس هيرونيμος في ترجمة القديس هيلاريون (١) ان هذا السائح الجليل الذي تنسك في جهات غزة سار الى مدينة الخلصة (Elusa) في البرية جنوبي بحر لوط ليعود احد تلامذته وكان اهلها يدينون بالوثنية ويكرمون الزهرة على شكل حجرة فوافق وصوله اليها يوم عيد الزهرة فلما بلغهم قدوم القديس خرجوا لاستقباله واكرموه اكراماً جزيلاً مع نساكهم واولادهم وكانوا يطلبون بركته وكان قوم منهم نالوا بدعائه الشفاء من امراضهم فجعلوا يتوسلون اليه بان يقيم بينهم فوعدهم بان يفعل اذا نبذوا عبادة الحجارة وآمنوا بالسيّد المسيح . فاجابوا الى طلبته ولم يدعوه يخرج من بلدتهم حتى اختطّ لهم حدود كنيسة يقيمونها وكان ممن تنصروا على يد القديس كاهنهم وسادن اصنامهم . ومنذ ذلك الوقت وردت عدة آثار عن النصرانية في الخلصاء واسماء اساقفتها منهم واحد يسمى عبد الله وسنذكر اعمالاً أخرى لهيلاريون ومن دخلت النصرانية بينهم في تلك الانحاء امّة النبط او النبط فهؤلاء كانوا ايضاً من العرب فأنشأوا دولة عظيمة ومصرّوا لهم الامصار واتخذوا لهم مدينة عظيمة يدعونها پترا او سلع لا تزال آثارها الفخيمة تدّش كل من يقصدها . وقد مرّ لحضرة الاب جلابرت (المشرق ٨ : ٩٦٥ - ٩٧٣) وصف بعض ابنتها العادية . وكان ظهور النبط نحو القرن الخامس قبل المسيح وما لبثوا ان اشتدّ ساعدهم واستفحل امرهم وصار ملوكهم شهرة واسعة واستقلّوا بالملك في القرن الثاني قبل المسيح وكان اولهم « الحارث الاول » ودام ملكهم الى العشر الاول من القرن الثاني بعد المسيح حيث تغلب الرومان على بلادهم وكان آخر ملوكهم مالك او مليكوس الثاني (١٠٣ - ١٠٧) واصبحت بلاد النبط اقليماً رومانياً يتولّاه احد حكام رومية وكانت پترا معبراً لكل القوافل القادمة من مصر الى دمشق ومن جزيرة العرب الى فلسطين ومن العراق الى مصر ولذلك ازدادت ثروتها واشتهر اهلها بالتجارة .

وبلغتها النصرانية قبل غيرها من مدن النبط وترى استيريوس اسقفها يلعب دوراً مهماً في عهد قسطنطين لمعاكسة البدعة الارياانية. ثم انتشرت النصرانية في بقية النبط وتأصلت فيهم وثبتوا عليها حتى بعد ظهور الاسلام بمدة حتى ان بعض الكتبة يدعون نصارى العرب نبطاً. ولك مثال على ذلك في بعض مقامات بديع الزمان في المقامة القزوينية حيث جعل نصّابه ابا الفتح الاسكندري نبطياً فيقول متظاهراً بالاسلام: ان اكُ امنتُ فكم ليلة جحدتُ فيها وعبدتُ الصليب

وكذلك ضرب شعراء العرب المثل برهبان مدين وزهدهم. قال كثير عزة: رهبانُ مدينَ والذين عهدتهم يبيكون من حذر العقاب قعودا

وكانت نواحي الغور على ضفتي نهر الاردن اديرة عديدة يُعرف منها نحو العشرين قد اكتشف بعضها حضرة رئيس مدرسة الصلاحية المفضل الاب ي. ل. فدرلين (R.P.J.L.Féderlin) ووصف اخبتها وصفاً مدققاً في مقالاته الفريدة التي نشرها في مجلة الارض المقدسة (١) في السنين ١٩٠٢ و ١٩٠٣ و ١٩٠٧ ولا شك ان رهبان تلك الاديرة اجتذبوا الى الدين المسيحي من كان يجاورهم من عرب الحضر. بل لدينا دلائل على تهرب بعض اولئك العرب المنتصرين في هذه الاديرة اشهرهم القديس ايليا البطريرك الاورشليمي فهذا كان عربي الاصل رحل من بلده الى دير نظرون في مصر وبعد ان ارتاض في الآداب الرهبانية سكن مدة في دير ساپساس على ضفة الاردن اليمنى ثم رُقي الى رتبة البطريركية فدافع عن الايمان بغيرة شديدة حتى فضل النفي على موافقة المبتدعين ومات في أية سنة ٥١٣

ومن يستحق ذكراً خصوصياً في تبشير العرب ودعوتهم الى النصرانية القديس العظيم افثيموس كوكب برية الاردن وجهات الغور فان الله اصطفاه في اواسط القرن الخامس لينير عدداً عديداً من العرب ويهديهم الى سبيل الايمان فان المورخ الشهير والراهب معاصره كيرلس من سيتوبوليس (Scythopolis) اوبيسان روى في ترجمته تفاصيل ذلك الخبر الذي رواه حضرة الاب پيترس من جماعة

(١) اطلب LA TERRE SAINTE: Recherches sur les Laures et Monastères de la plaine du Jourdain et du désert de Jérusalem راجع ايضاً ما كتبه بلادايوس الاسقف في تاريخه (المشرق ١٠: ١٧٧) ويوحنا موسكوس في المرجح الروحي

البولنديين (في المشرق ١٢ : ٣٤٤-٣٥٣) نقلاً عن نسخة عربية قديمة في مكتبتنا الشرقية وخلاصته أن أحد الوثنيين يوناني الأصل المدعو أسباباط ولعلهُ اصهبند (Ἀσπεβενδος) ولَّاهُ ازدشير الملك نخوم العجم فلماً اثار الاضطهاد على نصارى مملكته وابغذ يصادرهم ويذيقهم ضروب العذابات جعلوا يولون هاربين من العجم الى ممالك الرومان واسباباط لا يتعرَّض لهم رغماً عن اوامر الملك فسعى المجوس به لدى ازدشير ليعاقبه ففرَّ هو ايضاً هارباً الى اراضي الرومان حيث اكرم وفادته اناطوليوس الحاكم وولَّاهُ على القبائل العربية المنتمة لرومية

وكان لاسباباط ولدٌ يدعى طرابون مصاب بالفالج افرغ ابوه في شفائه كل الوسائل دون فائدة فالتجأ أخيراً بالهام من الله الى القديس افيميوس فشفى الغلام ونصر اباه ودعاه بطرس وعمد كل آل بيته وتبعهم في دينهم قوم كثيرون من العرب سعى القديس افيميوس في تلقينهم كل عقائد النصرانية . ثم اجتذب مشاهم غيرهم من قبائل العرب فخطط لهم القديس افيميوس حدود مدينة صغيرة ليست بعيدة من ديرهم وامرهم ببنائها على رسم معلوم وحفر لهم بئراً وابتنى لهم كنيسة وداراً لرعيهم . ثم اتفق مع البطريك يويناليوس فجعل بطرس اسقفاً عليهم . واخذ كثيرون من العرب يتواردون الى منزلهم حتى بلغ عددهم عشرين الفاً ودُعيت مدينة هؤلاء المتنصرين بالملحة (παρεμβολή) وتوالى الاساقفة عليهم حتى اواخر القرن السادس مع ما ألم بهم من الضيقات والبلايا لاسيما بمعادة قبائل العرب الوثنيين الذين غزوههم غير مرة (١)

والحق يقال ان هؤلاء الغزاة كانوا على مألوف عادة شذاذ العرب يتلصصون الاقنار فينهبون محابس الرهبان واديوتهم ويسلبون ما يجدونه فيها . وقد اخبر كاسينانوس في خطابه السادس (Migne, P. L., XLIX, col. 643-648) ان هؤلاء الاشقياء هجموا على تقويع على مسافة ستة اميال من مدينة بيت لحم جنوباً فقتلوا رهباناً كانوا يعيشون في البراري بالنسك والتقى ثم اخبر ان اهل تلك الناحية ابدوا لذخائرهم اكراماً عظيماً « ولاسيما جموع العرب الذين هناك وبلغت رغبتهم في

(١) اطلب ترجمة القديس افيميوس لحضرة الاب جانيه الدومنيكي (F. R. Génier.

O. P. : Vie de S^t Euthyme le Grand)

اقتنائها الى ان وقع بينهم قتال للفوز بتلك الاجسام المقدسة « وكان ذلك سنة ٣٩٥ للمسيح . وفي هذا دليل على انَّ عرب فلسطين كانوا يدينون بالنصرانية وجاء ايضا في مجموع الجامع (Labbe : Collect. Concil., III, 728) انَّ البطريرك يولينايلوس سَقَفَ عدداً من الاساقفة لجهات العرب قبل السنة ٤٣٠ وهذا دليل آخر على انتشار النصرانية بين عرب فلسطين . وورد قبل ذلك في تاريخ سنة ٣٦٣ في مجمع انطاكية اسم اسقف يدعى تاوتيμος قد وقَّع على اعماله بهذا الامضاء « تاوتيμος اسقف العرب » ولعلَّه اراد قبائل العرب الساكنة في نواحي تدمر حيث كانت النصرانية اصابته مقاماً رفيعاً ليس فقط في حواضرها كتدمر والقريتين وحوازين ولكن في بادية تدمر نفسها حيث تنصَّرت القبائل المتنقلة فيها

الباب الرابع

النصرانية في النجف وطورسينا

ان انحدرت من فلسطين جنوباً فسرت من غزّة على سيف البحر ماراً بالعريش حتى ترعة سويس ثمَّ مددت من هاتين النقطتين خطين متوازيين الى الجنوب انبسطت أمامك البراري الواسعة كبرى سين وبرية سور وبلاد الشراة والنجف ثمَّ يتشكّل لك شبه مثلث مخروط رأساه الاعليان عند خليج سويس غرباً وخليج عقبة شرقاً والرأس الثالث يدخل في البحر ويُعرف برأس محمّد . فهذا المثلث الكبير هو شبه جزيرة سينا فيه بادية التيه التي تنقّل فيها بنو اسرائيل سنين عديدة وبرية فاران . وهناك سلسلة جبال شاهقة كجبل غرنديل وجبل سرابيط الخادم وجبل التيه وخصوصاً طور سينا او حوريب وجبل موسى وجبل سربال وجبل كاترين مع ما فيها من الاودية (انظر في المشرق ١٠٦٨: ٩ خارطة طور سينا) فتلك البلاد كانت شمالاً في أيام بني اسرائيل مواطن للادوميين وللعمالقة وللمدينين وقد كثرت فيها بعد ذلك قبائل العرب من بني اسماعيل والنبطيين فاستولت عليها واقتسمتها وكانت تتجول فيها على حسب حاجاتها كما يتجول الملك في مملكته والسيد في املاكه دون ان تركز في محل مخصوص الا اهل المدر منها فانها وجدت في بعض بقعها وواحاتها ما يقوم بلوازمها ومناجع مواشيها فاستوطنتها

فهذه البلاد الواسعة قدم اليها تلامذة المسيح ليدعوا الناس الى دين سيدهم .

وَمَنْ ذَكَرَهُمُ الْقَدَمَاءُ الرُّسُولَ بِرْتِلْمَاوَسَ فَقَالُوا عَنْهُ أَنَّهُ « تَلَمَّذَ بِلَادَ الْعَرَبِ وَالنَّبَطِ »
 يريدون جنوبي الجزيرة وهذه الجملات خصوصاً . وجاء في تاريخ القبط للمقريري
 (Wetzer: *Macrizii Historia Coptorum*, p. ١٤) أن متياس (وهو الرسول
 الذي أُقيم بدلاً من يهوذا الاسخريوطي) سار الى بلاد الشراة (١) فبشّر فيها بالمسيح
 وكان النصرانية وجدت في تلك الانحاء مآجاً في قرون الميلاذ الاولى نزع
 اليه ولاذت به رغبة في التنسك والزهّد او فراراً من اضطهادات الوثنيين فكان
 نصارى مصر والشام يرون في شبه جزيرة سينا مقاماً آمناً لا يستطيع العالم ان يكدر
 فيه صفاء حياتهم الملائكية ولا يقدر اعداؤهم القبض عليهم فكانوا يسكنون في
 اوديتها ووهادها او يرقون جبالها ليعيشوا فيها عيشة سجاوية في مناجاة الله
 ولنا على ذلك عدّة شواهد ترتقي الى اواسط القرن الثالث للميلاذ منها رسالة
 للمقدّيس ديونيسيوس اسقف الاسكندرية كتبها الى فابْيوس اسقف انطاكية وصف
 فيها المحن والبلايا المتعددة التي نالت نصارى مصر بسبب اضطهادات الحفّاء وعبدّة
 الاوثان لاسيما في عهد القيصر دقيوس فمّا قاله (٢) : انّ اسقف مدينة نيلوس هرب
 الى جبال العرب مع عدد كبير من النصارى فبعضهم ماتوا وبعضهم استعبدهم
 العربان الى ان افتداهم النصارى بالمال الكثير وبقي غيرهم منقطعين الى العيشة
 النسكية . وقد اثبت البوانديون في اعمال القديسين وبعض مؤرخي الكنيسة انّ العيشة
 الرهبانية في شبه جزيرة سينا وما وراء بحر القلزم سبقت عهد القيصر ديوقليانوس
 وجاء في اعمال القديسين الشهيدين غلاقتيون وامراته ابيستام المولودين في
 حمص (٣) انهما نذرا لله عقتهما في الزواج ورحلا الى طور سينا حيث وجدّا عشرة
 من النساك كانوا يعيشون هناك عيشة الابرار فاخذ العرسان عنهم آداب السيرة
 النسكية وعاشا متفردين لاعمال البرّ غلاقتيون بين الرجال وابيستام مع النساء حتى
 بلغ خبر اولئك السيّاح والي الرومان سنة ٢٥٠ فطلبهما وقتلها شهيدين
 ومع ما كان يلقي اولئك السيّاح من انواع المشقّات من القبائل الوثنية التي

(١) وفي طبعة مصر للخطوط والآثار (٢: ٤٨٣) انه سار الى الشرق ونظنّها تصحيحاً

(٢) اطلب مجموع اعمال آباء اليونان لمين 6—1505 Migne. P. L., X col. اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٤١ و ٤٢)

(٣) اطلب مجموع متافراست (Migne. P.G., CXVI, col. 102)

تسكن جهات الطور والبراري المجاورة لارض مصر لم يلبث أن يؤثر في بعضها مثل
اولئك الابرار حتى ارتد منهم قومٌ الى الايمان ونظن ان القديس ديونيسيوس
الاسكندري يشير الى هؤلاء المنتصرين في كتابه الى البابا القديس اسطفانوس الاول
نحو سنة ٢٥٥ حيث يبشره بموافقة الكنائس الشرقية على تعليمه بخصوص معمودية
الهرطقة قال (١): «وقد ترى رأيكم كل الاقاليم السورية مع بلاد العرب التي
تقومون من حين الى آخر بضرورتها والتي وجهتم اليها رسائلكم الآن». فقوله
«بلاد العرب» يدل خصوصاً على ما جاور منها مصر كما يظهر من القرائن. وقوله
«تقومون بضرورتها» دليل حي على عناية الكرسي الرسولي في القرون الاولى
بكل كنائس العالم حتى اقصاها لمساعدتها في حاجاتها الروحية والمادية

وفي هذه البلاد العربية المجاورة لمصر بشر بالايمان احد الشهداء في عهد
ديوقليانوس وهو القديس كيروس كما ورد في اعماله التي نشرها الكردينال
ماي (٢) ونصر جمّاً غفيراً من اهلها بكلامه ومعجزاته ثم قتل شهيداً
واشهر منه اربعون شهيداً قتلهم العرب الوثنيون في سنة ٣٠٩. وكان هؤلاء
تنسكوا في لحف جبل موسى فيعيشون هناك في الصوم والشغل اليدوي فوثب
عليهم اهل البوادي وقتلوا منهم اربعين وقد اقيم لذكورهم دير ترى حتى يومنا آثاره
ويدعى بدير الاربعين (٣) ويُعيد لهؤلاء الشهداء في تاريخ ٢٨ ك ١

ولما فازت النصرانية بتنصر قسطنطين رسخ الدين النصراني في انحاء طور
سينا والبلاد العربية الواقعة بجواره. وقد اخبر المؤرخون ان القديسة هيلانة شيدت
كنيسة على طور سينا تذكراً لما جرى فيه من الاعاجيب في عهد موسى وشعب
اسرائيل. وزاد النسك عدداً وانتشاراً في سائر اصقاع تلك الجهات. ففي غزّة
ونواحيها الشرقية والجنوبية اشتهر القديس هيلاريون المار ذكره. ولا تزال آثار هذا

(١) اعمال الاباء اليونان (Migne, P. G., X, 1314-5)

(٢) اطلب (A. Mai: *Spicileg. Romanum*, IV, 230-241) اطلب ايضاً اعمال

البولنديين (Acta SS, III Janv. 701)

(٣) اطلب سياحة الاب ميشال جوليان اليسوعي الى سينا (M. Jullien: *Sinai et*

Syrie, p. 140)

الرجل العظيم باقية هناك وقد وصفها في المشرق (٢١٣: ١-٢١٥) السائح الهمام الكاهن لويس موسيل نزيل كليتنا سابقاً مع بيان موقعها وذكر تلامذة القديس الذين اخذوا عنه الطريقة النسكية. وفي ترجمة حياته التي كتبها القديس هيرونيموس معاصره ما ينبيء باعماله الرسولية بين عرب تلك النواحي وقد اقام عدة اديرة في ظهرانيهم في برية غزة وجهات عين قانس وكان يتردد اليها ويرافقه الرهبان في سياحته زرافات بلغ احياناً عددهم الف راهب (١). ولما شاع خبر قداسته كان الالهون يخرجون اليه افواجاً وافواجاً وجماهير مجهرة يتقدمهم الاساقفة والكهنة. وذكرنا سابقاً اكرام العرب له في خلاصة. واخبر الثقة انهم كانوا يقصدونه في كل حاجاتهم فتارة كان يلتمس لهم المطر في سنتهم وتارة كان يشفي نوقهم من عاهاتها وكان يخرج منهم الشياطين او ينال لهم من الله البرء من امراضهم فرد النظر في مدينة العريش (Rhyncholure) لامرأة عمياء وابراً من مريض عضال شيخ مدينة آيلة النصراني المدعو اوريون (٢). وذكر سوزومان في تاريخه الكنسي (ك ٥ ف ١٥) ان القديس شفى ايضاً في غزة جدّه ألافان الذي اشتهر بعدئذ بتقائه وشيد اديرة وكنائس

وفي هذا القرن الرابع نفى الى براري سينا والنبط رجال افاضل من الاساقفة والكهنة نفاهم الملك قنسطنسيوس الاربوسي كالقديسين اوجان وپروتوجان المنفيين من الرها الى براري العرب (عيدهما في ٥ ايار) وفي ترجمة القديس هيلاريون ورد ذكر الاسقفين القديسين دراكنثيس وفيلون المنفيين الى نواحي غزة. والى آيلة نفى الامبراطور انتاس القديس ايليا بطريرك اورشليم وكان عربي الاصل كما مر (٣). وكذلك اسقف ايلة الذي امضى اعمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ كان عربياً ويدعى غوثاً

واخذت الاديرة تمتد في اواسط بلاد سينا وتكثر حولها القبائل المتنصرة

(١) اطلب اعمال القديس هيرونيموس في مين (Migne, P. L., XXIII, 42)

(٢) (ibid. 37)

(٣) اطلب ترجمته للاب جنيه الدومينيكي (Conférences de S^t Etienne, 1909)

1910, p. 287-330)

واخص هذه الاديرة دير فاران الذي ورد ذكره في كتاب المرج الروحي تأليف حنا موسكوس في القرن السادس للمسيح (١). وقد اثنى هناك على رئيسه غريغوريوس الذي صار بعد ذلك بطريركاً على انطاكية. وكان دير فاران حافلاً بالرهبان الوطنيين وغيرهم ذكر الآباء منهم القديس سلوانس رئيسه ثم موسى الفاراني الشهير بقداسته وكراماته

وفاران هذه كانت شهيرة في عهد الدولة الرومانية واصبحت مدينة كبيرة وافرة السكان وهي اليوم قرية حقيرة فيها نحو الخمسين بيتاً وهي تُدعى فيران موقعها في وادٍ كثير الخصب تنمو فيه الاشجار لاسيما النخيل وتجري فيه المياه الطيبة فالنصارى دخاوا فاران ونشروا فيها دينهم حتى كاد يعم كل اهلها منذ القرن الرابع. وكان فيها كرسي اسقفى يذكر الروم في الميناون في ١٨ شباط اسقفها المدعو اغابيطوس او محبوب في عهد قسطنطين الكبير. وممن لا يُشك في تاريخه الاسقف نثراس او نثير في النصف الثاني من القرن الرابع وتلميذ القديس سلوانس. وكان امير فاران نصرانياً يُدعى عوبديان او عبدان. وقد بقيت فيها النصرانية معززة رفيعة الشأن الى القرن السابع وحجّت اليها القديسة سيلفيا (او كارية) في اواخر القرن الرابع في رحلتها الى الاراضي المقدسة والقديس انطونيوس الشهيد نحو سنة ٥٨٠. وترى بين اخريتها حتى اليوم بقايا من كنيستها ومدافنها النصرانية عليها النقوش المسيحية كالصلبان والرموز الدينية واسم السيد المسيح مختصراً

ومن الاديرة الشهيرة في التاريخ الكنسي دير ريث الذي موقعه بجوار مدينة الطور فهذا الدير توارد اليه الرهبان وغت شهرته حتى طمعت فيه قبيلة همجية كانت تسكن في سواحل مصر يدعونها بلاميس (Blemmeys) فاجتازت بحر القلزم واغتالت رهبانه سنة ٣٧١ وفرت هاربة فلماً بلغ الخبر اهل فاران ساروا مع اسقف البلد وعوبديان الامير الى دير ريث وجمعوا جثث الشهداء ودفنوههم بكل اكرام. وقد روى اخبارهم اثنونيوس الراهب الشاهد العياني لاستشهادهم وقبل ان يقدس هؤلاء وادي فيران وسواحل جبل الطور كان رقي قوم اخرون

اعالي جبل موسى حيث كان التقليد عين موقع مناجاة الكلم لربّه وحيث صعد اليّا الى جبل الله فأنقذوا على مثالها للالهيات . وقد مرّ بك ذكر بعض هؤلاء النساك في اواسط القرن الثالث . واخبر سولپسيوس ساويرس (١) في سياحته الى جبل سيناء نحو السنة ٣٨٠ انه رأى راهباً كان يقطن اعالي سيناء منذ خمسين سنة . ثمّ كثّر عددهم فابتنوا لهم مأوي ليسكنوا فيها . على انّ لصوص العرب الوثنيين والمعادين لاهل الحضر المتنصرين قدموا من شمالي الجزيرة وجهات الشراة وهجموا بغتة على محابس الرهبان المتفرقة في انحاء جبل موسى ووقع ذلك نحو سنة ٣٩٠ كما رواه احد الشهود العيان والكاتب اليوناني القديس نيلوس الذي مرّ ذكره وكان هذا من اسرة شريفة تولّى نظارة الامور على مدينة القسطنطينية ثمّ استعفى ليتجرد لخدمة الله فرحل الى طور سيناء مع ابنه تاودولوس وتنسكا في ذلك المقام . فقتل العرب في هذه الزحفة سبعة من السياح واسروا غيرهم وكان من جملتهم ابن القديس نيلوس الذي روينّا شيئاً من اخباره في باب تاريخ اديان العرب وقد نجا من ايدي الغزاة في مدينة الخلصة بهمة اهلها النصارى واسقفها (٢)

ومذ ذاك الحين اخذ رهبان جبل سيناء يتحصّنون في وجه الغزاة ولما صار الامر الى يوستنيان الملك ابتنى لهم الكنائس الفخيمة والابنية الحصينة وجعل في خدمة الرهبان بعض قبائل العرب المتنصرين اخضعهم بنو صالح وقد عرفوا بالجبليّة . وكان الزوّار اذا ما قصدوا الاراضي المقدسة يزورون ايضاً هذه الاديرة لينالوا بركاتها وبركة اهلها . وقد ازداد عدد رهبانها حتى جعل لطور سيناء اساقفة عدداً اسماءهم في مقالة نشرناها في اعمال المكتب الشرقي (٣)

وكذلك اشتهر بين الرهبان بعض القديسين والكتبة كالقديس انستاس السينوي في القرن السادس . وليس اقل منه شهرة القديس يوحنا رئيس طور سيناء المعروف

(١) اطلب اعمال الآباء اللاتين Sulpice-Sévère, 194, XX, (Migne, P. L., XX, 194, Dial. I, 17)

(٢) اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G., LXXIX, col. 678-700)

(٣) اطلب الجزء الثاني من هذا المجموع Les Evêques du Sinaï (Mélanges de la

Fac. Or. II, 408-421)

بالسَّامِيّ أو كليماكوس باسم كتاب ألفه دعاهُ سُلَم الكمال وكان معاصراً للقديس البابا غريغوريوس الكبير وكان بين القديسين مكاتبات رواها جامعو آثار الخبر الأعظم . وقد ذكّرنا في المشرق (٧: ٩٩٣) ما تبرّع به ذلك البابا من الحسنات لدير طور سينا حيث انشأ يوحنا مأوى للعجزة والزوّار وفي أعمال القديس صفرونيوس بطريرك القدس تكرر ذكر طور سينا ورهبانه والزوّار المتردّدين إليه (١)

وبعد ذلك بقليل استولى العرب المسلمون على شبه جزيرة سينا وقد قيل أنّ بين آثار دير الطور سجلاً اعطاهُ محمّد كامان لاهله وبقي عندهم الى أيام السلطان الغازي سليم الأوّل فاخذهُ الى القسطنطينيّة (راجع في المشرق ١٢: ٦٠٩ و ٦٧٩) مقاتنا في عهد نبي الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

ومن الآثار النصرانية كتابات عديدة وجدت منقورة في الصخر او مكتوبة بالغرّة على جوانب وادي المكتّب . فان السيّاح كانوا اذا مرّوا هناك كتبوا اسماءهم وطلبوا من الله الرحمة واعلنوا ايمانهم بالله الواحد ورسوموا بعض العلامات المسيحيّة كالصليب والانجور وسعف النخل والحرف الأوّل من اسم السيّد المسيح . وهذه الكتابات منها يونانيّة ومنها قبطيّة لا شك في نسبتها الى النصارى . وبينها كتابات اخرى عديدة مكتوبة بالنبطيّة ومن جملتها ما نصفه يوناني ونصفه الآخر نبطي وبعض العلماء يروّون أنّها للوطنيين الشرّكين أمّا غيرهم فيرجّحون ايضاً أنّها للنصارى منهم من قبائل تيم الله وكتب واوس ممّن اعتقدوا النصرانيّة بل تُرى العلامات النصرانيّة عليها كما تُرى على اليونانيّة والقبطيّة وان لم يكن في منطوقها ما يدلّ على الدين المسيحي صريحاً ما لم يُقلّ أنّ تلك العلامات أُضيفت بعد ذلك العهد والله اعلم (٢)

ومن البلاد اللاحقة بشبه جزيرة سينا بقعة واسعة في تخوم فلسطين عن جنوبها الشرقي كثيرة النخيل عرفها الكتبة اليونان ودعواها فينيقون (Φοινικῶν) اي مغارس النخل وقد ظنّ البعض أنّ موقعها في وادي فيران ألا أنّ كلام الكتبة

(١) اطلب اعمال الآباء اليرناني (Migne, P. G. LXXVII, col. 719, 2958, 3035)

(٢) اطلب المجلّة الاسويّة الفرنسيّة (J. A., 1859¹ 5 et 194) 3051)

وسياحة الاب ميشال جوليان الى سينا (ص ٧٧)

الاقدمين لا ينطبق عليها . والحواب أنّها شمالي غربي وادي فيران وقيل أنّ هناك مكاناً يُدعى بالنخل لكثرة نخله فلعله هو مدلول كتبة اليونان . ففي القرن السادس كان يحتلّ هذا البقيع قومٌ من العرب من جذام ولحم وكان احد امرائهم يدعى ابا كرب . فروى عنه المؤرخ بروكوبيوس الغزي (١) أنّه كتب الى يوستنيان ملك الروم يقدم له ولايته فشكره الملك وجعله اميراً على كل قبائل العرب (phylar- que) التي في جواره فتولّاها باسم ملك الروم واخضع العرب لامره . ولا شك أنّ هذا الامير كان نصرانياً ولولا ذلك لما رضي يوستنيان ان يرأسه على بلاد كان الدين المسيحي قد مدّ عليهم سيطرته كالنبط وبني كلب وغيرهم . وفيه ايضاً دليل على نصرانية العرب المستوطنين لبتعة النخل التي كان ابو كرب مالكا عليها

وقد جاءت الاكتشافات الجديدة للسيّاح الاوربيين في بلاد مواب وآدوم والنبط مثبتة لهذه الآثار التاريخية القديمة فإن الكاهن العالم نزيل كليتنا سابقاً الدكتور لويس موسيل الذي تجوّل مراراً في تلك الانحاء وصف ما رأى بالعيان في مجلّدات ضخمة فرسم في تأليفه ما وجده من الآثار كالرسوم والقبور والصلبان وغير ذلك منها في قصر المؤرّ (٢) وفي العويرة (٣) وفي ام الرصاص (٤) ومما تُرى ببقاياه الى يومنا آثار كنائس عديدة في امكنة شتى كعبد والعوجاء وفار وفينان وحسبان والكسيفة والمكاور والمحيّ وقد يُسمّى بعضها اليوم باعلام تدلّ على دين اهلها كالكنيسة والنصرانية والدير (٥) بل وجد بين الاحياء التي تسكن حتى الآن في تلك البوادي عادات نصرانية تدلّ على اصلها القديم كرم الصليب والدعاء الى السيّد المسيح (٦)

ومثله سائح آخر جال في تلك الانحاء سنة ١٩٠٨ يُدعى دلمان (٧) فأنّه وصف

(١) اطلب كتابه في الحرب الفارسية Procopius: De Bello Persico I. 19

(٢) اطلب كتابه (A. Musil : ARABIA PETRÆA : I, Moab 194)

(٣) فيه Ibid, III, 58 (٤) فيه Ibid I, 109

(٥) فيه ايضاً lb. I, 97, 109, 120, 134, 193, 273, 338, etc, II¹, 67, 105, 205, 273, 278 ; etc. II², 18, 26, 39, 45, 110, 119, 125, 142, etc.

(٦) اطلب المجلد الثالث (Ibid. 111, 297, 304, 316,) (٧) اطلب كتاب

سياحته (D^r Gustaf Dalman : Petra und seine Felsheiligtümer, p. 98)

نحو عشرين أثراً نصرانياً وجدها في رحلته الى جهات النبط وليس اقلّ منها شأنًا ما رواه العالمان بروثو ودومازفسكي في المجلدات الثلاثة الضخمة التي درّنا فيها اعمال بعثتهما العلمية الى اقليم عربيّة (١) وقد مرّ وصفها للاب جلابرت في المشرق (٨: ٤٥٧-٤٦١) في المقالة المعنونة السكّة الرومانيّة من مادبا الى عقبة وفي هذا التأليف الجليل وصف آثار خطيرة للنصرانيّة لا يسعنا هنا بيانها فيؤخذ من كل هذه الادلّة التي استدللنا بها انّ طور سينا والبلاد اللاحقة او المحدقة به كاد يعمّها الدين النصراني في القرن السادس وقد اقرّ بذلك المستشرق دوزي (Dozy) في مقدّمة كتابه عن الاسلام (٢) قال: « انّ شبه جزيرة سينا كلّها تقريباً كانت ارتدّت الى النصرانيّة وكانت حاويةً لجملة من الاديرة والكنائس وكان عرب الشام يدينون بالنصرانية (٣) »

الباب الخامس

النصرانية في اليمن

فلندعّن طور سينا لنحدّر الى اطراف جزيرة العرب في جنوبها الشرقيّ حيث تلقى بلاداً واسعةً كثيرة الخيرات وافرة الاسباب تمتدّ بين بحر القلزم وبحر الهند فيها السهول الرحبة المخصبة والجبال الطيبة الهواء الغنيّة بالمعادن وبالشجار النافعة كالكروم والبنّ والورس واللّبان او الكُنْدُر. فتلك البلاد سكنتها امم عديدة تراحت فيها وتنازعت على ملكها وتركت فيها آثاراً عظيمة من ابنيّتها كهياكل وقصور اشهرها قصر اغمدان ورّيدان وكانت تلك الشعوب من عناصر شتّى وقبائل مختلفة منها كوشيّة ومنها ساميّة. وبلاد اليمن تشمل عدّة اعمال ومخالف كعسير ومهرة وحضرموت والشحر ومن مدنها الشهيرة مأرب ذات السدّ قاعدة تبابعة اليمن ومن

(١) اطّلب (R. E. Brünnow et A. v. Domaszewski: *Die Provincia Arabia*)

(٢) اطّلب Dozy: *Essai sur l'Hist. de l'Islamisme*, (traduction de V. Chau-

vin), p. 13

(٣) وهذا كلامه: La presqu'île sinaïtique à peu près entièrement convertie, renfermait nombre de couvents et d'églises; les Arabes de Syrie professaient

le Christianisme

حواضرهم ايضاً ظفار وصنعاء ونجران وزبيد وذمار وعدن كلها قصبات شهيرة حافلة بالسكان دائرة المرافق. وكانت لغتها من اللغات السامية تُدعى بالحميرية لها قلمٌ خاصٌ يُعرف بالمُسند وجد منها الاثريون المحدثون كتابات عديدة يرتقي بعضها الى الازمنة السابقة لتاريخ الميلاد بمئتين من السنين تدلُّ على ان اهلها كانوا يدينون بالصابئية ويكرمون القوآت العلوية والنيرات السماوية والسيارات السبع وكان التملك على اليمن في اوائل تاريخ الميلاد ملوك من حمير يتلقَّبون في الكتابات المكتشفة حديثاً في جنوبي جزيرة العرب « بملوك سبا وذري ريدان » ولما استولى ملوك حمير على بلاد حضرموت نحو السنة ٣٠٠ للمسيح اضافوا الى القابهم « ملوك حضرموت ويانات » (١)

لا مرأى ان النصرانية منذ بزوغها وجَّهت انظارها الى اليمن كما يشهد عليه اقدم الكتبة الغربيين والشرقيين حتى ان بعض الآباء زعموا ان المجوس الثلاثة الذين سبق ترجيحنا لجنسهم العربي كانوا من اليمن وماتوا شهداء في صنعاء بعد ان عمدهم القديس توما قبل سفره من عدن الى الهند (٢)

ومن الرُّسل الذين يُنسب اليهم التبشير بالمسيح في اليمن متى الرسول فانَّ اوريجانس في كتابه الذي ردَّ فيه على الامم ومثله المؤرخ سقراط (ك ١ ف ١٥) وروفينوس في تاريخه (ك ١ ف ٩) والقديس هيرونيμος في تأليفه عن الكتبة الكنسيين ونيقيفوروس في تاريخه (ك ٢ ف ٤٠) كلُّهم يؤكِّدون بانَّ متى الرسول بَشَّر في جهات الحبش وادَّعى المحدثون بان اسم الحبش يُطلق ايضاً على اليمن وهو اسمٌ شاع عند القدماء فسَمَّوا به تلك الناحية لانَّ الحبشة كانوا استولوا مدَّة طويلة على اليمن ولأنَّ قبائل من الحبشة كانت اجتازت من سواحل الحبش الى اليمن وهذا القول لا يخلو من الصحة لان القدماء ربَّما دعوا اهل اليمن بالحبش منذ عهد هيرودوتس واسطرابون (ك ١ ص ٥١ من طبعة اوكسفورد) الا انَّ معظم الكتبة لا يسلمون ببشارة متى في اليمن ويزعمون انَّ القديس بَشَّر حبشة افريقية ليس عرب اليمن

(١) اطلب دائرة العلوم الاسلامية (Encyclopédie de l'Islam, p. 383)

(٢) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne, P. L., XXI, 230)

وسبق لنا ذكر القديس برتلماوس ودعوته للعرب فإن الكتب القدماء كاوريجانوس واوسابيوس القيصري (في التاريخ الكنسي ك ١ ف ١٠) وسقراط المؤرخ زادوا على تعريفهم للعرب بقولهم ان الرسول برتلماوس بشر بالمسيح في الهند القريبة يريدون بها اليمن لأن اسم اليمن كان مجهولاً لديهم فسَمَّوها بالهند القريبة معارضةً بالهند الشرقية ما وراء البحر الهندي. ثم ان المؤرخ فيلوسترجيوس (ك ٢ ف ٦) وتاوفانوس في تاريخ سنة العالم (٦٠٦٤) وتاوفيلاكثوس (ك ٣) يدعون الحميريين بالهند. وزاد بعضهم ايضاً فقالوا ان برتلماوس بشر بني سبا. وفي الميناون المنسوب الى الملك باسيل يقال انه بشر هنود العربية السعيدة وهي اليمن كما لا يخفى

وقد رأيت آنفاً انهم ينسبون ايضاً دعوة النصرانية في بلاد العرب الى القديس توما قبل سفره الى الاقطار الهندية. وقد ارتأى هذا الرأي القديس غريغوريوس التيزيني في ميمره عن الرسل. ومثله تادودريطس في كتابه عن الاناجيل (ك ٩) وبعض كتبة السريان

ومن الشواهد الجلية التي توفقنا على دخول النصرانية في اليمن منذ القرون الاولى لتاريخ الميلاد ما رواه اوسابيوس القيصري (ك ٥ ف ١٠) ومثله هيرونيموس (Hieron., de vir. illustr. c. 36) عن احد العلماء الاسكندرانيين في النصف الثاني من القرن الثاني للمسيح: ألا وهو پانتانوس الفيلسوف فإن هذا كان من الفلاسفة الرواقين جحد الوثنية وتنصر وعهد اليه دمتريوس اسقف الاسكندرية التدريس في مدرسة الاسكندرية ففعل واحرز له شهرة واسعة بالتعليم الديني وعنه اخذ اوريجانوس المعلم الكبير فينتانوس المذكور نحو السنة ١٨٣ للمسيح تنزل عن التدريس وسافر الى الهند ليبشر فيها بالدين النصراني. وقد اتفق المؤرخون على ان الهند المقصودة هنا هي المجاورة لمصر اعني بلاد اليمن كما سبق

قال اوسابيوس : « فبلغ پانتانوس تلك الجهات ودعا الى النصرانية اهلها فاوقفوه على انجيل مخطوط بالعبرائية (١) للقديس متى كان اتى به اليهم القديس

(١) يراد بالعبرائية اللغة الفلسطينية التي كانت شائعة في أيام السيد المسيح وهي من فروع

برتلموس الرسول واودعه عندهم « وفي هذا القول شهادة على ما سبق بالدعوة النصرانية في جهات اليمن منذ عهد الرسل

هل كان لدعوة پنتانوس في اليمن تأثير في اهل تلك البلاد؟ ذلك امر لا يمكن القطع به وانما هو محتمل بل مرجح ففى وجوده بين القوم انجیلاً قديماً دليل على ان النصرانية التي بشر بها برتلموس الرسول لم تمت بينهم . ويؤخذ من رواية اوسابيوس ان الاستاذ الاسكندري عاد الى وطنه راضياً شاكراً لم يذهب تبعه سدى . ولعلّه لم ينس اولئك الموعوظين فأمدّهم برسلين يجارونه في عمله . وكما هاجر بعض النصارى المصريين في زمن الاضطهادات الى جهات سينا وبادية الشام على ما روى المؤرخون يجوز القول ايضاً بان قوماً منهم هاجروا الى اليمن لاسيما في عهد دقيوس وديوقليانوس فنشروا دينهم فيما بينهم

ومما يستدل اليه من تواريخ العرب كالطبري وسيرة الرسول لابن هشام والمسعودي وغيرهم ان النصرانية واليهودية اخذتا في النزاع والمخاصمة منذ واسط القرن الثالث للمسيح . وبلغ الخصام الى اعيان الدولة وملوكها . فيخبرون ان التبع اسعد ابا كرب تهود على يد ربانيين من يثرب وحمل اهل رعيته على التهود وتبعه في امره بعض اولاده بعده لكن النصرانية فازت في عهد عبد كلال بن مشوب وقيل ان عبد كلال المذكور ملك في القسم الثاني من القرن الثالث (١) منذ نحو السنة ٢٧٣ للمسيح الى ٢٩٧ وقد جعل حمزة الاصفهاني ملكه (ف ١٣١ طبعة بطرسبرج) اربعاً وسبعين سنة . وقد اتفق المؤرخون على تدينه بالنصرانية . جاء في القصيدة الحميرية

ام أين عبد كلال الماضي على دين المسيح الطاهر المسّاح

وقال الطبري في تاريخه (طبعة ليدن ج ١ ص ٨٨١) :

وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مشوب . . . فاخذ الملك عبد كلال . . . ووليه بسن وتجربة وسياسة حسنة وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الاولى وكان يسر ذلك من قومه وكان الذي دعاه اليه رجل من غسان قدم عليه من الشام فوثبت حمير بالفساني فقتلته

(١) اطاب تاريخ العرب لكوسان دي پرسفال (C. de Perceval : *Essai sur l'Hist.*

des Arabes, I, 107)

ثمَّ عاد من بعده عبد كلال الى اليهودية اخلافة . هذا ما يُستخلص من تواريخ العرب إلا أنَّ هذه التواريخ سقيمة جداً ولاسيا تاريخ حمير . قال حمزة الاصفهاني (ص ١٣٤) : « ليس في جميع التواريخ اسقم ولا اخل من تاريخ الاقيال ملوك حمير »

ومما وجد من الكتابات الحجرية الحميرية في اواسط القرن الماضي (CISI. 6) كتابة فيها اسم عبد كلال وامراته ابعلي وولديه هني وهعلل نقشوها تذكراً لبنانية دار يدعونها « يرث » شيدوها « برضى الرحمان » وذلك في شهر ذي خرف من السنة (الحميرية) ٥٧٣ الموافقة للسنة المسيحية ٤٥٨ . فذكر الرحمان من الادلة على توحيد نصرانيته

ومن الآثار التاريخية اليونانية عن نفوذ النصرانية في اليمن ما رواه المؤرخ الاربوسي فيلوسترجيوس من كتبة القرن الرابع واولئ الخامس . فكان هذا من قباذوقية وكتب تاريخاً في اثني عشر كتاباً دافع فيه عن اعمال الاربوسيين مباشرة من السنة ٣٠٠ الى ٤٢٥ وتاريخه مفقود إلا ما نقله عنه فوطيوس البطريرك القسطنطيني في مكتبته يبلغ نحو ثمانين صفحة (١) ومما روي هناك (٢) ان الامبراطور قسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير المتشيع للاربوسية ارسل نحو السنة ٣٥٦ وفداً من الرومان الى الحميريين في اليمن وكان يتأأس الوفد تاوفيل الهندي من جزيرة سرنديب اي سيلان . فرحل هذا الى بلادهم ودخل على الملك وقدم له الطافاً وهدايا فنال لديه الخطوى وبشر هناك بالدين المسيحي واسترخص بتشيد الكنائس بل جادل اليهود الذين وجدهم في بلاط الملك واقنع الملك بالحجج الدامغة عن صحة النصرانية حتى نصره . وشيد تاوفيل ثلاث كنائس : الاولى في حاضرتهم ظفار والثانية في عدن على ساحل الاوقيانوس (الهندي) حيث كان ينزل الرومان للمتاجرة والثالثة في فرضة عند مدخل خليج العجم يظنونها هرمز وعين للمتصرين رئيساً ثم رحل . هذا ما رواه فيلستورجيوس إلا أنَّ تشيعه للاربوسية حدا به الى القول ان النصرانية لم تدخل بلاد العرب قبلاً والامر على خلاف ذلك كما رأيت . والمؤرخون يرون أنَّ

(١) اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G., LXV, col. 459-637)

(٢) فيه (Ibid. 482-485)

الاسقف الذي امضى اعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥ باسم « يوحنا اسقف الهند » انما كان اسقفاً على اليمن وقد سبق ان اسم الهند كثيراً ما أُطلق على اليمن . وكذلك قد بين العلامة المستشرق السنيور ك . روسيني (١) ان الملك قسطنسيوس لم يقصد بوفده الى ملك حمير امراً دينياً محضاً وانما اراد ان ينهج للرومان طريقاً تجارية في البحر الى اليمن ويعقد محالفة مع الحميريين ضد الفرس وملكهم سابور الثاني . امّا اسم الملك المتنصر على يد تاوفيل في اليمن فلم يذكره المؤرخ فيلسترجيوس ولعله مرثد بن عبد كلال المالك على ما يظن من السنة ٣٣٠ الى ٣٥٠ وقد اطرأ الثعالي في طبقات الملوك حلمه وجبه للفقراء وحكمته وتساهله وقال عنه انه لم يشأ ان يقلق رعاياه بسبب دينهم . او هو وليعة بن مرثد الذي تعصب اولاً لليهودية ثم عدل الى النصرانية . وقد جاء للفيروزبادي ما يؤيد نصرانية هؤلاء الملوك حيث قال « ان كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصروا »

ومما يشهد على ثبات المعاهدة التجارية المبرمة بين الرومان والعرب قانون سنه تاودوسيوس الكبير في تلك الاثناء نظم فيه امور الوفود الراحين الى الحميريين والحبشة من الاسكندرية (٢)

ومن الشهود على نفوذ النصرانية في اليمن القديس هيرونيموس فانه غير مرة ذكر بين المتنصرين اهل الهند والحبشة . من ذلك رسالته الى مارسلأ الرومانية (Migne, P. L., XXII. 489) حيث يعدد فئات المتقاطرين لزيارة الاراضي المقدسة وكلهم على ايمان واحد ممن كان يشاهدهم ويحدثهم فجعل في مقدمتهم العجم والارمن وعرب اليمن (الذين دعاهم باهل الهند) والحبشة . وكذلك كرر قوله في رسالته الى السيدة ليتا (Ibid., XXII. 870) وخص بالذكر « رهبان الهند » اي اليمن كما قلنا وفي ترجمة القديس سمعان العمودي التي كتبها تاودوريطس في القرن الخامس قد ذكر غير مرة بين الذين قصدوا القديس على يده عرب حمير وقد رآهم تاودوريطس

(١) اطلب اعمال اكااديمية لينشاي (Rendiconti d. reale Accademia dei Lincei,

Aprile, 1911, p. 715)

(٢) اطلب الدستور التيودوسي (Code Théodosien IV, p. 616, de legatis, l. XII,

tit. XII, 2)

عياناً قال (Migne, P. G., LXXIV. 104): «ولا يتزاحم حول سمعان اهل بلادنا فقط بل يأتيه جموع من الاسماعيليين والعجم والارمن والكرج والحميريين» وكذلك كتب انطونيوس تلميذ القديس (Ibid., LXXXII, 328): «قد نصر سمعان العمودي امماً عديدة من الشرقيين (السراكسة) والعجم والارمن والاسكوتيين وذوي القبائل». وقد صرح باسم تلك القبائل قدرينوس المؤلف فقال انهم «الحميريون»

ثم ان النصرانية لم تدخل فقط الى اليمن من جهة الجنوب ومن بلاد الرومان ولكن نفذت اليها من جهات الشمال وخصوصاً من العراق فمن المعلوم ان ملوك الفرس كانوا يسعون في مخالفة ملوك اليمن ويتقربون الى اهلها ليستعينوا بهم على رد غارات الرومان. وكذلك ملوك اليمن والحبشة ربما اوفدوا الوفود الى ملوك العجم ليبرموا معهم المعاهدات كما روى المؤرخون (١)

وكانت القوافل تسير ذهاباً واياباً من العراق الى اليمن ومن اليمن الى العراق فالنصرانية التي كانت بلغت في الشمال مبلغاً عجباً ما كانت تهمل هذه الوسائط لنشر الدين المسيحي في الجنوب. ومن التقاليد الشائعة عند الكلدان ان رسولي الكلدان الاولين ادي وماري سارا ايضاً الى بلاد العرب سكّان الحيم والى نجران وجزائر بحر اليمن (٢)

وجاء في المصحف الناموسي (ص ١٨): «وبشّر الجزيرة والموصل وارض السواد كلها وما يليها من ارض التيمن كلها وبلاد العرب سكّان الحيم والى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن ماري الذي من السبعين». والى هذه البشارة في اليمن اشار القديس افرام في القرن الرابع حيث قال في احد ميامره: «جاءت ملكة التيمن (سبأ) الى سليمان ونالت من نوره شعلة استضاءت بها وبقيت تلك الشرارة مخبوة تحت الرماد الى ان ظهرت شمس العدل السيد المسيح فاتقدت تلك الشرارة حتى اصبحت نجماً باهراً ينير اليوم تلك الانحاء»

(١) اطلب منشورات لند السريانية (Land: Anecdota Syriaca, II, 76 et seqq)

(٢) اطلب كتابي فطاركة كرسى المشرق لسليمان بن ماري (طبعة رومية ص ٢)

والمجدل لعمر بن متى الطيرهاني (ص ١)

وما لا ينكر ان النساطرة كانوا انتشروا في تلك البلاد قبل الاسلام وانشأوا
عدّة كنائس وكان لهم فيها اساقفة اتوها من قبل جثالة المشرق اصحاب كرسي
المدائن وبتوا فيها بعد الاسلام مدّة كما نسيأتي. وقد ارتأى العلامة دي ساسي في
احدى مقالاته (١) ان نصارى الشمال من اهل العراق كانوا يتردّدون الى اليمن
وانهم ادخلوا بين اخوانهم في الدين الكتابة السريانية بدلاً من الخط المسند
الشائع هناك قبلهم. وقد روى السمعاني في المكتبة الشرقية (Assemani, BO, III²,
(603 ان اللغة السريانية كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن. وكذلك ذكر
المؤرخ فيلسترجيوس ان في زمانه كانت مستعمرات اخرى سورية احتلت سواحل
افريقية بازاء بلاد العرب وان اصحابها كانوا يتكلمون بالسريانية. وقد جاء في
كتاب كشف الاسرار في بيان قواعد الاقلام الكوفية « ان القلم الكوفي كان
يُدعى بالسوري » ولعله اراد بذلك شبهه بالقلم السرياني. وقال هناك ان « آل طسم
وقحطان وحمير » كانوا يكتبون به

*

ومن اعظم الشواهد التي اثبتتها العرب على دخول النصرانية في اليمن ما رواه
الطبري في تاريخه (٢) وياقوت في معجم البلدان (٣٥٢: ٤) وابن خلدون في كتاب
العبر (٥٩: ٢) وابن هشام في سيرة الرسول (ص ٢٠) وغيرهم ان اهل نجران
وهي من امهات مدن اليمن تنصروا جميعهم. وقد ذكروا الخبر في كلام طويل
خلاصته ان رجلاً من بقة اصحاب الحواريين « يقال له فيميون وقالوا فيميون وقالوا
ميمون (٣) من افضل الناس عبادة واعرقهم في اعمال الصلاح كان سائحاً تجرّي على
يديه الكرامات والمعجزات وصل في سياحته الى بلاد غسان فتبعه رجل من اهل
الشام اسمه صالح فتوغلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيارة وباعوهما بنجران واهلها
حيث انهم من بني الحارث بن كعب المنتمين الى كهلان يعبدون العزى على صورة النخلة.

(١) اطلب (Mémoires des Inscript. et Belles-Lettres, t. 50, p. 266)

(٢) اطلب تاريخه (طبعة ليدن) ج ١ ص ٩١٨

(٣) وفي تاريخ فطاركة المشرق لسايمن بن ماري (ص ٢٣) انه كان يُدعى حيّان كان

اصلهُ من نجران تنصر في الحيرة على يده خلق من حمير والحبشة

فاوقف فيميون سيدهُ على بطلان الشرك بما صنع لديه من الآيات ولا سيما اذ دعا ربهُ في يوم عيد العزى فارسل الله ريحاً جعفت النخلة من اصلها فعرف اهل نجران صحة دينه ودانوا بدين المسيح. وجعل فيميون عليهم رئيساً احد اشراف المدينة عبدالله بن الثامر ورعاهم اسقف كان يدعى بولس

واقام اهل نجران على دين المسيح حتى دعاهم الى اليهودية احد ملوكهم اسمه ذو نواس كان متعصباً لدين اليهود فأبى النجرايون اتباعه في ضلاله وكان رئيسهم اذ ذاك اسمه الحارث واستعدوا للدفاع عن بلدهم الا ان ذا نواس دخله بالسكر وحفر اخاديد (اشار اليها في القرآن) اضرمها ناراً وألقى فيها على ما روى ابن اسحاق عشرين الفا من النصارى او يزيدون ماتوا في سبيل ايمانهم مع الحارث رئيسهم

على ان الخبر لم يلبث ان نمّا الى قيصر الروم بواسطة رجل من اهل نجران فرّ هارباً اسمه دوس ذو ثعلبان فاستنصره على ذي نواس فامر القيصر النجاشي الضبان ملك الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل وارسل جيشاً مع ارباط وابرهة الاشرم فناجزوه القتال وظفروا ببلاده ومات الطاغية غرقاً. واتم الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها اكثر من نصف قرن كان اول ملكهم ارباط (٥٢٥) ثم ابرهة الاشرم (٥٣٧ - ٥٧٠) ثم ابنه يكسوم (٥٧٠ - ٥٧٢) ثم مسروق (٥٧٢ - ٥٧٥) . امّا الملوك الحميريون فبعد موت ذي نواس حاول احدهم المسّمي ذو جدن ان يضبط زمام الملك لكنه قُتل في حرب الحبشة ولم يعودوا الى الملك الا في زمن سيف ابن ذي يزن الذي استعان بالفرس واخرج الحبش من اليمن وملك هو وابنه معدي كرب . ثم انّ الفرس لم يلبثوا ان يمدّوا سيطرتهم على تلك البلاد وجعلوا عليها عملاً كان اولهم وهرز (٥٩٧) ثم بدّهان وفي زمنه فتح المسلمون نواحي اليمن

هذا ملخص ما جاء في تواريخ المسلمين وقد ايدته في اموره الجوهرية التواريخ اليونانية والسريانية كتاريخ الحرب الفارسية لبروكوبيوس الغزي Procop., de Bello Pers. I, c. 20) وتاريخ يوحنا المعروف باسم آسية (Assemani, BO, II, 83) وتاريخ تاوفانوس (ج ١ ص ٣٤٦ من طبعة بونا) وتاريخ يوحنا ملالا (ص ٤٣٤ من الطبعة عينها) فكل هؤلاء ذكروا امور الحبشة وما جرى من الحروب بين ملكها وملك حمير اليهودي بسبب قتله لنصارى نجران . وفي رواياتهم بعض افادات

عن ذي نؤاس الذي يدعونه دمنوس او دميانوس وعن القيصر يوستينوس الذي انتصر للمظلومين وبعث الحبشة لمحاربة ملك اليمن. وكان على الحبشة ملك يدعونه أليسباوس (Elesbaas) او أَلِصْبَان وصحفه غيرهم باليستائوس من احكم الملوك واعرقهم في الدين النصراني. وهم يقولون ان اسقف نجران المدعو بولس كان توفي قبل هجوم ذي نؤاس عليها وان الملك اليهودي بعد ظفهر بنجران انتهك حرمة قبره اما استشهاد اهل نجران على عهد ذي نؤاس فقد وصفه المعاصرون منهم شمعون اسقف بيت ارشام الذي سمع في العراق الخبر من شهود عيانين فدونه في رسالة نشرها السمعاني في المكتبة الشرقية (BO, I, 364-79). وكذلك ليعقوب الرهاوي فيهم ميسر نشره الاب بيجان (Acta Martyrum I. 372-97) ثم نشر البولنديون اعمالهم في اليونانية عن نسخة قديمة في تاريخ ٢٤ ت ١ (Act. SS. X, 1) (Oct. 750 - 780) وفي مكتبتنا الشرقية نسخة عربية من هذه الاعمال نقلناها عن مخطوط قديم

ومن الآثار الكتابية التي نشرت حديثاً واتتنا بفوائد جديدة عن دخول النصرانية في نجران اعمال القديس «ازقير» بالحبشة من مخطوطات خزانة الكتب الشرقية في لندن فنشرها لأول مرة الاستاذ الايطالي الفضال كتي روسيني (١) وخلاصتها ان «ازقير» كان كاهناً نصرانياً دعا الى دينه اهل نجران فامر الملك شرحبيل بن ينكف بحبسه لكنه نجا من الحبس وعمد كثيرين وتبعه رجل يدعونه قرياقوس واجتمعت عليه اليهود ففند اقوالهم جهاراً وقضى لمجادلته آخر ابقطع الرأس مع ٣٨ آخرين وعيده في الكلندار الحبشي واقع في ٢٤ من شهر خدار (٢٠ ت ٢) فكل هذه الآثار بينت انتشار النصرانية في اليمن. ولم يزد لها اضطهاد ذي نؤاس واليهود الا غموا لان ملك الروم ونجاشي الحبش القديس الصبان ما فتئا ان ارسل جنوداً الى اليمن انتقم للمظلومين وكسرت شوكة اليهود في تلك الانحاء. وقد اتتنا في هذه الحقبة الاخيرة شواهد جديدة غير منتظرة ألا وهي كتابات يونانية وحبشية وحميرية اكتشفها الاثريون وهي تبين ما كان من النفوذ للحبشة في

(١) اطلب مجلة لينشاي. (Rendic. d. reale Accad. d. Lincei, 1910, ser, V., vol. XIX p. 705-750)

ويظن الكاتب ان ازقير هذا هو فيمون والله اعلم

بلاد اليمن . « فال يونانية اكتشفها في اكسوم الرحالة الانكليزي هنري سلت (H. Salt) كتبها « أيزن ملك اكسوم والحميريين وريدان والحبش والصابئة وزيلع وتهامة وبغيث وتوقال ملك الملوك ابن الاله المريخ غير المغلوب » يصف فيها انتصاره على اعدائه البغيثيين . وتاريخ هذه الكتابة او اسط القرن الرابع يظهر منها ان ملوك الحبشة الوثنيين كانوا استولوا مدة على اليمن والحميريين

ومن الكتابات الحبشية كتابة وقف عليها المرسل الايطالي يوسف ساپيتو (G. Sapeto) في اكسوم ايضاً ثم نشرها وفسرها وهي للملك النصراني « تازينا ابن الاعميد ملك اكسوم وحمير وريدان وسبا الخ » افتتحها بذكر الاسم الكريم « خالق السماء والارض الرب الازلي » . وكان تازينا المذكور مالكا نحو السنة ٥٠٠ ومن كلامه يظهر ان ملوك الحبشة لم يزالوا باسطين سيطرتهم على الحميريين . ولا غرو ان نصرانيتهم أثرت بدين الحميريين الوثنيين واجتذبت منهم قوماً الى المسيحية

اما الكتابات الحميرية فاعظم شأنها واطر بياناً لتاريخ النصرانية اكتشفها في انحاء اليمن رجال ذوو حزم لا يهابون الاخطار دخلوا في هذه السنين الاخيرة الى اقاصي اليمن ونقلوا ما كانوا يراقبونه من الكتابات الحميرية الكاشفة لاسرار التاريخ اليمني . اشهرهم العلماء يوسف هالوي (J. Halévy) وادورد گلازر (Ed Glaser) فأتوا من اليمن بمئات من الآثار الكتابية بينها كتابات حميرية تفصل محاربة الحبشة لذي نوأس وظفرهم باليمن . وتاريخ هذه الكتابات هو تاريخ حمير الواقع سنة ١١٥ للمسيح . فن جملة تلك الآثار التاريخية كتابة تُنسب الى حصن الغراب وجدها گلازر (١) فنشرها وهي « لسيفع اشوع » (٢) اقامها في ذي الحجة سنة ٦٤٠ (اي ٥٢٥ للمسيح) تذكراً لدخول الحبشة في بلاد حمير بعد انتصارهم على ملكها (ذي نوأس)

ومنها كتابة اخرى تاريخها سنة ٦٥٧ و٦٥٨ (اي ٥٤٢ - ٥٤٣) ورد فيها ذكر انفجار سد مأرب وهو من اجل الحوادث التاريخية كان العلماء يرقونه استناداً الى مؤرخي العرب الى القرن الثاني للمسيح فثبت الآن انه جرى في اواسط القرن

(١) اطلب كتابه الحبشة في بلاد العرب وفي افريقية (E. Glaser: Die Abessinier in

Arabien u. Afrika, p. 113) (٢) هذا الاسم صحفه اليونان باميسفاوس

السادس. والكتابة قد نُقِرت في الصخر بامر ابرهة الملك الحبشي اولها: «بقوة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحه وروحه القدوس قد امر يرسم هذه الكتابة ابرهة الحاكم (على اليمن) باسم الملك الكثيزي (الحبشي) رحيس ذو بي يمن ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويانات والعرب الذين في الجبال والسهول». ومما قال هناك: «ونحن على ذلك اذ بلغنا خبر تهديم السد والحزان والحوض والمصرف في شهر ذي المدرح سنة ٦٥٧...» ثم اردف ابرهة قوله: «فارسلت الى القبائل لتنفيذ الحجارة والاخشاب والرصاص لترميم السد في مأرب...» ثم توجهت الى مأرب وبعد ان صايت في كنيسة عمدة الى ترميم السد فعزلوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه. ثم يذكر تأخر العمل لسأم بعض القبائل عن الشغل وكيف حالف ابرهة اقبال اليمن وقابل وفود ملوك الروم وفارس والحيرة (المنذر) وغسان (الحارث بن جبلة وابي كرب بن جبلة) وغير ذلك مما يفيدنا علماً عن اخبار العرب وفوز ابرهة بقبائلهم سنة ٦٥٧ للحبش (٥٤٢ م). ثم عاد الى وصف ترميم سد مأرب فقال: «فرمموه ووسعوه حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعاً وارتفاعه ٣٥ ذراعاً» ثم فصل هناك ما انفق على العمل من الحجارة والاطعمة للعملة الى ان ختم الكتابة بقوله انهم انتهوا من العمل في شهر ذي معان سنة ٦٥٨ (٥٤٣) (١) «

ولعل هذا السد كان انفجر قبل ذلك غير مرة ورُمم الآن اخبار العرب تنطبق خصوصاً على هذا الحادث الاخير. وانما خلطوا في اقوالهم خلطاً عجيباً وكفى به استدلالاً على ضعف رواياتهم التاريخية التي لا يمكن التسليم بصحتها الا بعد النقد والنظر الملي.

لا غرو ان النصرانية في مدّة ملك الحشة على اليمن بلغت اقصى النجاح والتقدم. لنا على ذلك شواهد تاريخية عديدة وكان اول ما باشر به الحبش ان جعلوا نجران كقبة الدين النصراني بعد ان اصطبغت بدماء اهلها الشهداء فاقاموا فيها مزاراً كان العرب يقصدونه من كل صوب وكانوا انفقوا عليه القناطير المقنطرة ليزينوه بانواع

(١) اطلب كتاب مردقان في الكتابات الحميرية، (Mordtmann: Himjar. Inschriften, Berlin 1893) وكتاب مولر في مدن اليمن وقصورها، (Müller: Bürgen u. Schloesser, Wien 1881)

الحلي . وهذا المزار قد شاع ذكره عند العرب فدعوه « كعبة نجران » او « كعبة اليمن » وضربوا بحسنه المثل واليه اشار الاعشى في بعض ابياته حيث قال يكلم ناقتة :

وكعبة نجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُسأحيَ بأبوابها
تزورُ يزيداً وعبد المسيح وقيساً هم خيرُ اربابها
اذا الحبرات تلوتْ بهم وجرؤا اسفلَ هداها

يريد بني عبد المدان الذين كانوا يتولون امرها وهم من اعيان بني الحارث بن كعب واعرقُ الناس في النصرانية . ومَن طبقت اخباره اقصي العرب في ذاك الوقت خطيب مصقع ضربت العرب المثل في بلاغته زيد القس بن ساعدة اسقف نجران وقد جمعنا في شعراء النصرانية (ص ٢١١ - ٢١٩) ما رواه الكتبة العرب عنه وعن يزيد بن عبد المدان النجراني (ص ٨٠ - ٨٨)

ومما يعود فضله الى الحبشة كنيسة عظيمة جمعوا فيها ضروب المحاسن وانفقوا عليها المبالغ الطائلة بنوها في حاضرة ملكهم صنعاء لا تزال حتى اليوم ترى بقاياها في جامع هذه المدينة وكانوا زينوها بكل اصناف الزين والتصاوير وضروب الفسيفساء وهي الكنيسة التي عرفها العرب بالقليس (١) وذكروها في تواريخهم ووصفوها في كتبهم (اطلب مجموعنا مجاني الادب ج ٣ ص ٣٠٢ وكتاب الاغاني ٢: ٧٥) فما لبثت ان جذبت اليها الجماهير المجهرة حتى نسي الوثنيون قصر غمدان القريب منها واصنامها الصابئية

وكما فعلوا في صنعاء اقاموا ايضاً في ظفار كنيسة اخرى جليلة كانت آية في الحسن والجمال . وكان المتولى تدبير هذه الكنيسة اسقف شهير يدعى جرجنسيوس اتخذ ملك الحبشة كمستشاره ومساعد له لتنصير الحميريين فما ألا جهداً في ذلك وقد ترك لنا من آثاره كتاب شرائع الحميريين التي ترى ترجمتها اليونانية في مجموع الآباء اليونان لين (Migne, P. G., T. 86, col. 567-620) وكان يجادل اليهود ويرد على مزاعمهم وله جدال مع هرمان الرباني صبر ايضاً على آفات الدهر باليونانية (Ibid., col. 621-783) ولدينا منه ترجمة عربية

(١) القليس مشتقة من اليونانية (Ἐκκλησία) ومعناها الكنيسة

ولنا حتى اليوم دليل حي على تأثير نصرانية الحبشة في العرب ألا وهو ما دخل في اللغة العربية من الالفاظ الدينية الحبشية بعضها حبشي الاصل كالمُنبر والمُصحف والحواري والمنافق والفاطر (اي الخالق) والجبّت (اي الصنم) والشيطان والزّار . وبعضها يوناني او سرياني او عبراني لكنّه دخل في العربية بواسطة الحبش كما تدلّ عليه صورته الحاضرة كالانجيل وجهنم والتابوت والقلم والحرم والجنّ والرقية . وللعلامة المستشرق نولدك بحث خصوصي في هذه الالفاظ (١)

وكان شيوع الخطّ المُسند وهو الخطّ الحميري في بلاد العرب بفضل الحبشة واشتقاقه من الخطّ الحبشي القديم ظاهر . نقلوه الى اليمن في التاريخ السابق للميلاد ثم استعملوه في كتاباتهم الحجرية الى ظهور الاسلام قال ياقوت في معجم البلدان (١٧١ : ٤) عند وصفه كنيسة القليس ان ابرهة كان كتب على بابها بالمُسند : « بنيتُ هذا لك (اللهم) من مالك ليذكر فيه اسمك وانا عبدك »

وفي مدّة ولاية الحبش على اليمن رحل الى الهند قسما الرحالة - Cosmas In dicopleustes نحو السنة ٥٣٥ فعَدّد ما وجده من الكنائس في طريقه وانتشار النصرانية في اواسط الشرق واقاصيه وقد خصّ بينها بلاد اليمن حيث قال ما تعريبه (٢) : « انك حيثما سرت تجد كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيّاحاً حتى بين اهل عربية السعيدة الذين يُدعّون بالحميريين كما في كلّ العرب ايضاً وبين النبط وبني جرم . . . »

وان سأل السائل اكانت النصرانية في اليمن مستقيمة خالية من البدع . الجواب أنّه من المرجّح انّ دينهم كان في أوّل الامر خالصاً من كلّ شائبة وكاثوليكيّاً محضاً لانّ الامبراطور يستينوس وخلفه يستيانوس احسن ديانتهما ما كانا ليسمحاً للحبش ان ينشروا في بلاد العرب غير الايمان الارثوذكسيّ الموافق لتعليم المجامع الاربعية الاولى . يثبت ذلك تكريم الكنيسة لملك الحبشة الّصّبان الذي كان مالكا في وقت فتح الحبشة لليمن ثمّ جلوس جرجنسيوس على كرسي اساقفة صنعاء وهو قديس تكرمه الكنيسة لقاوسته . وانما يظهر ايضاً انّ بدعة اوطيخا

(١) اطلب Th. Noeldeke : Neue Beitræge z. semit. Sprachwissenschaft

(٢) اطلب مجموع آباء اليونان (Migne, P. G., t. LXXX, col. 169)

سرت الى جهات اليمن وكذرت صفاء ايمانهم فان الحبشة في القرن السادس جنحوا الى تعاليم اليعاقبة فلا بُدَّ ان اضاليلهم انعكس صداها الى العرب . لكن المؤرخين اليعاقبة قد بالغوا في ذكر شيوع هرطقتهم بين اهل اليمن كما يُستدل من تاريخ يوحنا الآسيوي (١) وكما نقله ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨)

على ان العنصر العربي وسلالة ملوك اليمن لم يعودوا يطبقون نير الاجانب عليهم لاسيما بعد موت ابرهة وتملك ابنه يكسوم ومسروق على حمير اذ تشددا على الوطنيين واساء اليهم الصنع فاخذ امراء حمير يطلبون لهم وسيلة لينجوا من الحبشة . وكان في مقدمتهم سيف بن ذي يزن فاستنجد بملك الروم وطلب منه جيشا ليخرج الحبش من جزيرة العرب فلم تلق دعوته اذنا صاغية فعدل الى كسرى ملك العجم فنصره بجند من صعاليك دولته تحت قيادة رجل اسمه وهرز فظفروا بالحبشة وبددوا شملهم وملك سيف بن ذي يزن لكن ملكه لم يدم زمنا طويلا اذ فتك به بعض الحبشة فخلفه ابنه معدي كرب . ولم يلبث العجم ان استولوا على اليمن فارسلوا عمالا يحكمون باسمهم كان اولهم وهرز المذكور ثم خلفه باذان وفي عهده صارت اليمن في ايدي المسلمين

اما النصرانية فانها لم تمت بنفي الحبشة بل بقيت في عزها الى ظهور الاسلام ولعل سيف بن ذي يزن عينه كان يدين بها يؤيده ما وقفنا عليه في احد مخطوطات باريس العربية وهو كتاب انساب العرب لسلمة بن مسلم (Suppl. Paris, 2866) في الصحيفة ٩٧ حيث قال ان سيف بن ذي يزن دخل على القيصر ومال الى النصرانية . والحق يقال انه ما كان ليلوذ بالقيصر ملك الروم النصراني لو دان هو باليهودية كذي نوآس وكذلك قد مدحه الشاعر النصراني امية بن ابي الصلت بقصيدته الشهيرة التي اولها :

لا يطلبُ الثار الا كابن ذي يزن في البحر خيم للاعداء احوالا

ولا شيء في هذه الابيات يُشعر بيهودية سيف . ولو عرف اهل نجران وعرب النصارى في اليمن ان ابن ذي يزن من انصار لليهودية لما مكثوه من الملك

وعلى ظننا ان نساطرة العراق انتهزوا فرصة دخول الفرس في اليمن لينشروا هناك بدعتهم ولعلهم كانوا سبقوا الى بثها قبل ذلك فعزّوها . وفي تواريخ النساطرة ما يصرّح بانتشار تلك البدعة في جنوبي العرب ومقاومتهم لليعاقبة . وفي كتاب الاغاني (١٠ : ١٤٨) ان عشرة من اساقفة نجران قدموا على نبي المسلمين وجادلوه فدعاهم الى المباهلة ولعلّ منهم من كان نسطورياً وكان حينئذ رئيساً على نجران رجل اسمه السيد (١) فأعطي الامان هو وقومه

ولكن النصارى بعد فوز الاسلام اخذوا يضعفون في اليمن شيئاً فشيئاً ولاسيما بعد ان امر عمر باخراجهم من الجزيرة استناداً الى حديث يعزونه الى محمد هذا منطوقه : « لأخرجن اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الا مسلماً » . والظاهر ان هذا لم يتم بالحرف فان لدينا عدّة شواهد على وجود النصارى في اليمن في أيام الخلفاء فمن ذلك ما ورد في اعمال طيموتوس الكبير بطريرك النساطرة انه سام اسقفاً على نجران وصنعاء اسمه بطرس في اواخر القرن الثامن (٢) وجاء في كتاب الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ٣٤٩) ان المؤلف اجتمع براهب من نجران في اليمن يدعى حسان كان انفذه جاثليق النساطرة الى الصين فعاد منها سنة ٣٧٧ (٩٨٨ م) واخبره بعجائبها

وجاء في تقويم الكنائس النسطورية الذي طبعه الخوري بطرس عزيز الكلداني (واليوم مطران سلمست في العجم) عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقية (ص ٧) في الحاشية ان البطريرك يوحنا الخامس ارسل كتاباً الى حسن قسيس اليمن سنة ٩٠١ م يجابوب فيه على ٢٧ سؤالاً ألقاها عليه . وقال في الجدول ان في سنة ١٢١٠ للمسيح كان في صنعاء اليمن خمسة اساقفة للنساطرة . الاول مطرابوليط على صنعاء اسمه اسطيغانوس وتحت يده ثلاثة اساقفة ايليا وياولاها وشمعون لهم ثلاث كنائس وعدد المؤمنين عندهم ٥٠,٧٠٠ ثم كان اسقف لمدينة زبيد اسمه عبد يشوع وعدد المؤمنين فيها ٢١٠٠ بيت . ثم ذكر نجران وقال ان في سنة ١٢٦٠ كان لها اسقف يدعى يعقوب وان في الخائها كان ١٤٠٠ بيت من النساطرة . وقال عن

(١) اطلب التاريخ الكنسي لابن العبري (Barhebraeus : Chron. Eccl., II, p. 116)

(٢) اطلب مكتبة السمعاني (BO. IV, 609)

عدن انها كان يوجد فيها سنة ١٢٥٠ م اسقف اسمه ميلو وان جماعة النساطرة كانت ١٣٠٠ بيت الا ان اكثرهم قتلوا بالسيف او عدلوا الى الاسلام. هذا ما نقلناه عن هذا الاثر الذي لم يمكننا ان نقابله على غير لنتأكد صحته

وفي القرن السادس عشر ذكر الكاتب الاسباني اوردينو دي سينالتوس (Ordeno de Cenaltos) انه في رحلته الى المغرب لقي بعض قبائل عربية احتفت به واكدت له ان اصلها من قبائل نصارى العرب في اليمن . وقد اخبرنا المرسلون الكبوشيون في عدن سنة ١٨٩٥ انهم وجدوا في بعض اهل اليمن آثارا مسيحية ظاهرة ورثوها من اجدادهم النصارى

الباب السادس

النصرانية في حضرموت وعمان واليامة والبحرين

ان بلاد حضرموت وعمان واليامة والبحرين مجاورة لليمن فكان ملوك اليمن اذا قويت شوكتهم طمحوها اليها بالابصار وادخلوها في سيطرتهم . الا ان اخبار تلك الجهات نادرة جداً لا يعرف الا القليل من امورها السياسية والادبية والدينية

﴿ حضرموت ﴾ ومنها بلاد مهرة ما وقع من جزيرة العرب شرقي اليمن بين اليمن وبحر الهند . روى ابن خلدون في تاريخه (١) اسماء دولة مستقلة ملكت عليها بعد المسيح الى ايام الحبشة فلما صارت اليمن في حوزة الحبش ملكوا ايضاً حضرموت ولذلك لم يذكر ابن خلدون لحضرموت امراء بعد دخولهم الى اليمن فنوه بسكوته الى انها دخلت في حكم الحبش . فلا بد اذن من ان يقال ان النصرانية دخلت ايضاً في حضرموت مع اولئك الفاتحين بل دخلت قبلهم والدليل عليه ان قسماً كبيراً من كندة كانوا يسكنون في حضرموت (٢) ومعلوم ان النصرانية كانت الديانة الغالبة على كندة كما سترى

ثم انه كان لحضرموت عدة مدن ساحلية ذكرها بطليموس الجغرافي (٣) كانت

(٢) فيه (٢: ٢٥٣)

(١) اطلب تاريخه المطبوع في مصر (٢: ٢٥٣)

(٣) اطلب جغرافيته (ك ١٦ ف ٤) ثم كتاب ككلار (Ed. Glaser : Skizze d.

Geschichte u. Geogr. Arabiens 88-89)

تُقام فيها اسواق تجارية تقصدها الروم وغيرهم فكان اهل حضرموت يُختلطون بتجار النصارى القادمين من انحاء شتى فيدينون بدينهم . وكان يسكن بعض هؤلاء النصارى الجزائر المجاورة التي لدينا شواهد على نصرانيتها قبل الاسلام بزمان مديد . قال قزما الرحالة (Cosmas, P. G., T. 88, col. 169): « وفي جزيرة تاپروبانا التي يدعوها اهل الهند سيدليا (وهي سيلان ويدعوها العرب سرنديب) في بحر الهند كنيسة للنصارى مع عدد من الاكليريكيين والمؤمنين . وكذلك في مالي (ملبار) حيث يُجنى الفلفل . وفي جزيرة كاليانا اسقف يُسام في العجم ويُرسَل اليها . وفي جزيرة ديوسقريدس (وهي سقطرى القريبة من سواحل العرب) كذلك اكليريكيون يُرسمون في العجم وهناك جمٌ غفير من النصارى . . . وخدمة الدين النصراني في تاپروبانا يُرسلون ايضاً بعد سيامتهم »

وما يدلُّ على علاقات هؤلاء النصارى مع سواحل العرب ما قرأناه في كتاب سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري في انساب العرب الذي مرَّ ذكره (ص ١٠٦) عن مهرة وسقطرى :

وبجزيرة سقطرى من جميع القبائل من مهرة وهي جزيرة طولها ٣٠٠ فرسخ وجها العنبر السقطري . . . وكان اهلها من اولاد الروم فدخلوا في نسب القمر من مهرة وهم معروفون . (قال) وجها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى وذلك انهم يذكرون ان قوماً من بلاد الروم طرحهم بها كسرى فعمروا بذلك الموضع حتى عبرت اليهم مهرة فغلبت عليهم وعلى الجزيرة . (قال) وقد يقولون انه لم يكن بها روم ولكن رهبانية على دين الروم من النصرانية ثم دخلتها الشراة من مهرة وحضرموت وقتلوا من بها

وقد بقي قوم من النصارى في سقطرى حتى القرن السادس عشر كما ورد في رسالة للقديس فرنسيس كسفاريوس كتبها عند سفره الى الهند وكان تزل الى سقطرى ورأى فيها بقايا النصرانية فانحوا عليه بان يسكن عندهم فلم يمكنه الامر ويثبت انتشار النصرانية في حضرموت ما جاء في كتاب طبقات ابن سعد في فصل الوفادات فذكر وفد حضرموت واورد قول احد الوافدين اسمه كليب بن اسد : انت النبی الذي كنّا نُخْبِرُهُ وبَشَرْتَنَا بك التوراة والرسل

فكفى بهذا دليلاً على وجود النصرانية في حضرموت (١)

﴿ عُمان ﴾ شمالي حضرموت واقعة على شواطئ بحري الهند والعجم وحاضرتها صُحار وكانت النصرانية دخلت اليها بواسطة دُعاة اتوها من العراق. وفي التواريخ الكلدانية (١) اسماها اساقفة كانوا في عمان منذ القرن الخامس وهم يدعونها مَزُون كما دعاها ايضاً العرب ونَبّه اليه ياقوت في معجم البلدان (٤: ٥٢١) فمن ذكره يوحنا سنة ٤٢٤ وداود (٥٤٤) وشمويل (٥٧٦) واسطفان (٦٧٦) وفي جملة الرسائل التي بعث بها رسول الاسلام الى الملوك رسالة وجهها الى ملك عُمان المسمى جيفر بن الجلندي من ازد عمان كان نصرانياً هو واخوه عباد ويقال عبد وعبيد. فنصرانية الملك تشير الى نصرانية البلاد الخاضعة له

وكان في عمان اديرة للنصارى يشير اليها صاحب الاغاني. وجاء في تاريخ ابن الاثير (١: ٢٣٤) ان قيس بن زهير « لما تنصر ساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهب بها » ﴿ البحرين ﴾ هي البلاد الساحلية الواقعة في شرقي جزيرة العرب على سواحل خليج العجم حيث مغاص اللؤلؤ الشهير كان اهلها في الجاهلية من بني عبد القيس وهي احدى القبائل المعروفة بنصرانيتها قال الشاعر ذو الرمة في بعض احيائهم (اطلب نسخة مکتبتنا الخطية ص ٥٧) :

ولكن اصل امرئ القيس معشرٌ يجلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

وفي البحرين مغاص اللؤلؤ الشهير الذي لا يزال اهل تلك الانحاء يستخرجون منه الدرر الثمينة وقد مررنا به في رحلتنا من بغداد الى الهند. ولاهل البحرين عادات نصرانية تناقلوها اباً عن جد حتى اليوم وأشار اليها السياح الالمانيون الذين طافوا تلك البلاد حديثاً كصورة الصليب يرسمونها على جبهاتهم او يطبعونها بالوشم على اعضاءهم وكأكرامهم للخبز ذكراً بالقربان الاقدس. وقد لحظ ذلك منهم احد آباء رهبانيتنا منذ ثلاثين سنة في دمشق وكان قوم منهم قصدوها للارتقاء

وكانت بلاد البحرين والاحساء المجاورة لها تحت حكم الفرس منذ ظهور الاسلام وكان اهل الارض كما اثبت ياقوت في معجم البلدان (١: ٥٠٨) « من المجوس واليهود والنصارى » وكان العامل عليها احد بني تميم المتنصرين اسمه المنذر ابن ساوي. ومن اشرافها النصارى عند ظهور الاسلام بشر بن عمرو المعروف

بالجارود وكان سيد عبد القيس والمؤرخون العرب يذكرون انه اسلم ومات سنة ٦١ هـ (٦٨١ م)

وكان للنساطرة في بلاد البحرين اساقفة وخصوصاً في قطر وهم يسئونها بيت قطرايا (١) وقد ذكروا في مجتمعهم الذي عقده سنة ٥٨٥ الجاثليق يشوعياب اهل البحرين المنتصرين ويأمرونهم بالكف عن الشغل يوم الاحد ان امكنهم الامر والّا اعفوه من ذلك لاجل الضرورة. وقد ثبت هؤلاء النصارى على دينهم بعد الاسلام كما يظهر من مجمع آخر نستطوري عقد سنة ٥٧ هـ (٦٧٦ م) دبر فيه الآباء عدّة امور دينيّة. ومنه يظهر ان بلاد البحرين كانت حافلة بالكنايس والاديرة ودعاة الدين وكان اذ ذاك على قطر اسقف اسمه توما

وكان لقصبة بلاد البحرين وهي هجر اسقف يدعى اسحاق ذكر في مجمع النساطرة سنة ٥٧٦ ثم ورد ذكر اسقف آخر يدعى فوسي سنة ٦٧٦ (٢) ومن جزائر البحرين دارين ويقال دَيرين ذكر لها في تواريخ النساطرة ثلاثة اساقفة وهم بولس سنة ٤١٠ ويعقوب سنة ٥٨٥ ويشوعياب سنة ٦٧٦ (٣) ومنها ايضاً جزيرة سماهيج (وفي السريانية مشهيج) في وسط البحر بين عُمان والبحرين (ياقوت ٣: ١٣١) كانت فيها كنيسة مسيحية وفي المجمع النسطوريّة (Chabot, 273, 275, etc) اسماء ثلاثة اساقفة تولّوا تدبيرها وهم باطاي والياس (٤١٠) وسركيس (٥٧٦)

ومن مدن الاحساء الخطّ وهي بلدة تُنسب اليها الرماح الخطيّة وكان الفرس يدعونها بيت اردشير وكان للنساطرة فيها كنائس ذكر من اساقفتها اسحاق سنة ٥٧٦ وشاهين سنة ٦٧٦ (٤)

﴿اليامة﴾ وربما سُميت بالعروض والجوّ وتلحق باقليم الأحقاف وهي مفاوز متسعة في الجنوب الغربي من عمان بين الاحساء شرقاً والحجاز غرباً كانت قصبتها

(١) اطلب كتاب المجمع النسطوريّة المنشور حديثاً (J. B. Chabot: Synodes Nesto-riens, p. 189 et 448)

(٢) اطلب كتاب المجمع المذكور: (Ibid. 387, 482)

(٣) فيه (Ibid., 482, 618)

(٤) فيه (Ibid., 387, 482)

حُجِرَ بفتح فسكون مدينة كبيرة . والعرب يجعلون فيها قوماً من الجبابرة من طسم وجديس . وما لا ينكر أن النصرانية انتشرت في تلك الانحاء بعد قسطنطين الكبير فان عمرو بن متى في كتاب فطاركة المشرق ذكر ان عبد يشوع السائح بشر بالنصرانية في جهات اليامة في اواخر القرن الرابع للمسيح

وكان معظم سكان اليامة قبل الاسلام بني حنيفة ممن يشهد الكتبة المسلمون على نصرانيتهم (١) وكان يملك عليهم قبل ظهور الاسلام بقليل هوذة بن علي الذي كان اسرقوياً من بني تميم ثم اطلقهم يوم عيد الفصح كما ذكر ابن الاثير في تاريخه (ج ١ ص ٢٦٠ من طبعة مصر) فقال الاعشى يدحهُ لفعله :

هم يقربُ يومَ الفصح ضاحيةً يرجو الاله بما اسدى وما صنعا

على ان بعض الكتبة زعموا ان بني حنيفة كانوا يعبدون صنماً من عجين ثم اتت عليهم سنة فاكلوه فهجاهم البعض بقوله :

اكت حنيفة رجاً زمن التقم والجاعة
لم يحدروا من رجم سوء العقوبة والتباعة

وعندنا ان هذه الشكوى باطلة وان الذين نسبوا الى بني حنيفة اكل صنم من عجين انما خدعوا بما راوه من تقرُّبهم من القربان الاقدس فان الاصنام لا تُتخذ من العجين ولا تسد جوع كثيرين في ايام القحط فضلاً عن كون الأقط اليابس العتيق لا يصلح لأكل

ومما يدل على نصرانية اليامة مقاومة اهلها للمسلمين تحت قيادة مسيلمة الذي عُرف بالكذاب وكان نصرانياً هو وسجاح التغلبية امرأته . وقيل ان امر مسيلمة المذكور قد تفاقم حتى خاف المسلمون فقتلوه وكان يتلو قرآناً كرسول المسلمين ذكره عبد المسيح الكندي في رده على الهاشمي (ص ٨٧ من طبعة اكسفورد) فدخل عليه قوم ليلاً واغتالوه وكفوا شره

هذه بعض شواهد على وجود النصرانية في البلاد العربية المتوسطة بين اليمن والعراق المجاورة لبحر الهند وخليج العجم وفيها دلائل كافية على ما كان الدين المسيحي من النفوذ في تلك الجهات التي لم يفدنا عنها المؤرخون الا الفوائد الزهيدة

(١) اطلب كتاب ارنلد في الاسلام والنصرانية Arnold (J. M.) :

History and Relations to Christianity, p. 54

الباب السابع
النصرانية في العراق

ان صعدت من بلاد البحرين وجهات الاحساء انتهى بك المسير الى مفاوز واسعة يحدها شرقاً خليج العجم وغرباً بوادي قحلة جرداء لكن شملها اراض طيبة كثيرة الخيرات تُعدّ من اخصب بلاد الله يسقيها النهران الكبيران الفرات ودجلة فيجعلانها جنّات غنّاء تراحت على ملكها الامم القديمة من بابليين وكلدان واسوريين وشبعت من دسمها ووفرة غلاتها. وكان العرب يدعون تلك الانحاء بالعراق ويخصّون باسم السواد الارياض المجاورة لبوادي العرب

والعرب منذ سالف الاعصار كانوا لا يزالون يراقبون لتلك البلاد طامعين في ثروتها حتى اذا وجدوا غرة من عمّال الامم المالكة عليها غزوها وبسطوا ايديهم اليها ريثما يزحف اليهم من يردّهم الى بواديهم. وكان ملوك العراق في الغالب يفضلون مخالفتهم فيجعلونهم كحرس ثغورهم وسور مملكتهم على شرط ان يُعطوا حظّهم من مستغلات تلك الجهات ويسرّحون في مراعيها قطعانهم

لكن القبائل المحالفة لملك العراق كان يحسدها على هناء عيشها غيرها من العشائر فتسير اليها من الجنوب ولا تزال تراحمها الى ان تغلبها على منازلها فتسكنها معها او بدلاً منها. ومن القبائل التي ذكرها المؤرخون ووصفوا سيرها الى سواد العراق قبائل يمنية من الازد تركوا بلاد اليمن سواء كان ذلك لانفجار سد مأرب على قوهم او لاسباب أخرى كالزحمة وتوفر النسل فعدل قسم منها الى غرب البلاد نحو الشام وهم الغسانيون تحت امره جفنة بن عمرو بن ثعلبة وتوكل القسم الآخر في الشمال تحت قيادة مالك بن فهم واذ وجدوا في تلك الجهات عشائر من اباد ولحم وغيرها انضموا الى بعضها وقهروا البعض الآخر حتى رسخت ثمت قدمهم وثبتت كلمتهم بل اخذوا يسعون في ضبط زمام السلطة على كل القبائل التي هناك ففازوا بمرغوبهم وانشأوا لهم دولة تُعرف بدولة المناذرة كان اول ملوكها جذيمة الابرش فاستولى على جهات السواد الواقعة غربي الفرات واتخذ له مدينة الانبار كقاعدة ملكه ثم نقلها خلفاؤه من بعده الى الحيرة ولم يزالوا يتتابعون في الملك عليها الى ظهور الاسلام

فغاب خالد بن الوليد ملكها الاخير المنذر بن النعمان ابي قابوس سنة ١١ للهجرة

(٦٣٣ م) . وكان ماورك الحيرة في مدّة دولتهم محالفين لملوك العجم من السلالة الساسانية بينما كان اخوتهم الغسانيون احرافاً للروم في بادية الشام وان اعتبرنا دين عرب العراق وجدنا الشرك شائعاً بينهم كما في بقية جهات العرب وجرت عندهم خصوصاً عبادة الكواكب والسيارات السبع كما ألفها عرب اليمن والكلدان اهل العراق ولعلّه دخل في دينهم ايضاً شيء من ديانة المجوس كتعظيم الشمس والنيرات

امّا النصرانية فكان لها فيهم تأثير عظيم . وهذا ما يلوح من الآثار القديمة التي ورد فيها تاريخ تلك البلاد بعد السيد المسيح فلما اشرقت شمس النصرانية سار دُعائها الى ما بين النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار الذين لبوا دعوتهم وانتظمت الجموع الغفيرة في سلك النصرانية . واذ كانت العرب ممتزجة مع سكّان تلك الجهات اقبلوا هم ايضاً الى التدّين بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب . ولنا على تنصّر عرب العراق شواهد سبق بعضها عهد مالك بن فهم فمن ذلك ما رواه كُتّبة الكلدان عن اوّل من بشر بالدين المسيحي في موطنهم وكان العلامة يوسف السمعي في مكتبته الشرقية (٥٠٤ - ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرّح بانتشار النصرانية في العراق ونواحي اشور وبابل على يد الرسولين توما وبرتلماوس وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاولين اعني ادي او تدّاي احد السبعين وتلميذه اّجي وماري . لكنّ كثيراً من علماء التاريخ لم يسلّموا له بصحّتها اذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد لكنّ الاكتشافات الحديثة في السريانية لم تُبق ريباً في الامر اذ تثبت انّ ادي الذي يعتبره الكلدان كرسولهم كان حقاً من تلامذة السيد المسيح وانّ بشارته في جهات العراق لا يجوز نكرانها . فانّ اقدم التواريخ الكلدانية من القرن الخامس الى التاسع التي نُشرت مؤخراً كتاريخ « برّحد بشابا عربايا » وتاريخ « مشيحا زخا » وشعر نرساي في القرن الخامس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ واعمال الشهداء والكتب الطقسية القديمة كلّها تشير الى بشارة الرسول ادي (١) كما

(١) اطلب كتاب حضرة القس منكنا المعنون (A. Mingana : Sources Syriacques)

وكتاب السيد عبد يشوع خياط في الكلدان والنساطرة والرئاسة البطرسية : Eb. Khayyath :

Syri Orientales seu Chaldaei

ان بعضها يروي اعمال القديس ماري تلميذ ادّي (١٠). وفي الشواهد عن هؤلاء المبشرين الاولين للكلدان ربّما ذكروا ايضاً تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب النحلة من كتبة القرن السابع: «وكان الداعي والمنصر والتلميذ والمدير بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاها من بلاد التيمن والحزة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري ولحق بهما من التلاميذ الاثني عشر ناثيل وهو ابن ثلثي (اي برتلموس)». وقد قال ساليان بن ماري عن هذا الرسول (ص ٥): ان برتلموس تلميذ مع ادّي وماري «نصيين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط»

وقد سبقهما القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادّي الى الرها والمشرق في الميمر الذي مدح فيه مدينة الرها

امّا ماري فان ذكره لا يكاد يفتق عن ذكر ادّي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسية النسطورية واعمال الجامع وترجمته المومأ اليها وكلها تشير الى دعوته بين العرب في بلاد ميسان وسواد العراق وسكان الحيام. قال ابن ماري في تاريخ فطاركة المشرق: «ان ماري بادر الى تلمذ جميع نواحي ارض بابل والعراقيين والاهواز... وبلاد العرب سكان الحيم ونجران وجزائر بحر اليمن». وقد روى الطيب الذكر السيد عبد يشوع خياط في مقدمة اعمال مار ماري (٢) ان ذخائره وجدت سنة ١٨٧٩ مع ذخائر يشوع سبران احد شهداء القرن السادس بين آثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش شرقي الموصل. فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل الشك في تاريخية ماري التي ارتأب فيها البعض

قلنا ان بعض قبائل العرب كانت سبقت مالك بن فهم في سكنى العراق من حملتها بنو اياد الذين يذكر المؤرخون تنصرهم منهم البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨). وقد اشار شاعرهم لقيط بن يعمر الايادي الى بيعهم في قصيدته العينية التي كتبها ليجذرهم من غزوة كسرى وهي من اقدم الآثار العربية فقال:

تامت فؤادي بذات الجزع خربة رت تريد بذات العذبة البيعا

(١) اطلب ترجمته التي نشرها لأول مرة في الاصل السرياني السيد ابلوس (J. B. Abbeloos : Acta S. Maris)

(٢) اطلب هذه الترجمة (Acta S. Maris, 7-8)

ففي ذكره للبيع في ديار اباد على عهد كسرى شاهد على شيوع النصرانية بينها منذ القرن الرابع وهذا يخالف رواية ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ ed. Wüstenfeld) حيث آخر تنصّرهم قائلاً: « اباد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالجّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصّروا »
 وكان ايضاً بين قبائل العراق قوم من لخم . وفي السيرة الحلبية (طبعة مصر ١٩٥٣) ان بني لخم كانوا من عدد القبائل المنتصرة . لكن الكاتب لم يذكر زمن تنصّرهم

ولما ظفرت النصرانية بالدين الوثني في الدولة الرومانية بجلوس قسطنطين على منصة الملك بلغ صدى ذلك الانقلاب حتى العراق وحدثت نهضة جديدة ساقطت الالوف المولفة الى التنصّر رغماً عن معارضة ملوك العجم حتى كادت النصرانية تعم تلك الانحاء كلها وتستأصل شأفة المجوسية لكنه قام سابور ذو الاكتاف وسفك دماء النصارى مدة ملكه الذي دام سبعين سنة فضحّى ١٦٠,٠٠٠ من المسيحيين الذين كانوا في دولته . واعمال هؤلاء الشهداء قد كتبها شهود عيانئون تعدّ رواياتهم من اصدق واثبت التواريخ شرها السمعاني ونقلها الى اللاتينية

ولا غرو ان بين هؤلاء الشهداء كان ايضاً قوم من العرب المنتصرين كما يستدل من امكنة استشهادهم وبعض اعلامهم كعبد الله والحارث وعزيز وجيب الخ وقد ذكر اليّ النصيبني اساقفة على البصرة (وكان اسمها فرات ميشان) منذ السنة ٣١٠ وقد شهد المؤرخون ان سياحاً من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واولل الرابع ذكرهم المؤرخ سوزمان (١) ودعاهم بالراعة (Βοσκόμενοι) لانهم كانوا يعيشون في البراري ويقتاتون من النبات وروى ذلك المؤرخ « انهم بجاتهم النسكية وفضائلهم العجيبة ردّوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني »

ثم تبع هؤلاء السياح رهبان غيرهم جروا على مثال رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكية فكثيرون منهم اشتهروا في جهات العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب

وَمَنْ خَصَّهْم بِالذِّكْرِ قَدَمَاءُ الْكُتْبَةِ الرَّاهِبُ حَنَّاءُ الْكَشْكِرِيِّ (١) الَّذِي سَكَنَ فِي
بِلَادِ جَرْمٍ وَابْتَنَى دِيرًا هُنَاكَ نَحْوَ سَنَةِ ٣٢٠

وَذَكَرَ تَاوَدُورِيطُسُ الْمُؤَرِّخُ الْقَدِيسُ سَمْعَانَ الْقَدِيمَ (٢) فَرَوَى أَنَّهُ كَانَ تَنَسَّكَ فِي
بِلَادِ «الْإِسْمَاعِيلِيِّينَ» مُخْتَفِيًا فِي بَعْضِ الْمَجَاهِلِ أَلَّا أَنَّ الْعَرَبَ اكْتَشَفُوا مَكَانَهُ وَاتَّوهُ
جَمْعًا مُتَكَاثِفَةً لِيَسْمَعُوا تَعَالِيمَهُ وَيَنَالُوا مِنْهُ الشِّفَاءَ لِمَرْضَاهُمْ. فَجَابَ إِلَى مِلْتَمَسِهِمْ
لَكِنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَرِاقِبُ الْفُرْصَةَ لِيَهْرَبَ مِنْ لُجَاهِهِمْ وَيَبْقَى مُعْتَزِّلًا فِي مُنَاجَاةِ رَبِّهِ
وَيُرَوَّى عَنِ الْقَدِيسِ يَلْيَانَ سَابَا أَيْ الشَّيْخِ أَنَّهُ سَاحَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مَعَ تَلْمِيزِهِ
الْمُسَمًّى يُوْحَنَّا الْفَارْسِيَّ (٣) فِي غَضُونِ ذَلِكَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ

وَفِي هَذَا الْقَرْنِ نَفْسُهُ كَانَتْ الْقَبَائِلُ الْيَمْنِيَّةُ مِنْ آلِ نَصْرٍ بَنِ رُبَيْعَةَ الْإَزْدِيِّ
الَّتِي انْتَقَلَتْ مِنْ جَنُوبِ الْعَرَبِ إِلَى الشَّمَالِ فَأَلْقَتْ فِي جِهَاتِهَا عَصَا التَّسْيَارِ وَاخْذَتْ تَقْوَى
وَتَنَمُّوً وَتَضُمُّ إِلَيْهَا شَتَاتِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَمْلِكَ عَلَيْهَا. وَكَانَ بَيْنَ مَلُوكِهَا الْأَوَّلِينَ
الْمُسَمًّى أَمْرُو الْقَيْسِ بَنِ عَمْرٍو الْمَعْرُوفِ بِالْبَدَاءِ الَّذِي طَالَتْ مَدَّةُ مَلِكِهِ إِلَى أَوَاسِطِ
الْقَرْنِ الرَّابِعِ. وَمِمَّا يُجَدَّرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ الْكُتْبَةَ يُوْكَدُونُ تَنْصُرُهُ قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي تَارِيخِهِ
نَقْلًا عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ وَغَيْرِهِ (طَبْعَةُ مِصْرَ ١: ٢٦٣): «وَلَمَّا هَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ
وَلِيَ بَعْدَهُ عَلَى الْعَرَبِ وَسَائِرِ مَنْ بَبَادِيَةِ الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالْجَزِيرَةِ أَمْرُو الْقَيْسِ بَنِ عَمْرٍو
ابْنِ عَدِيٍّ وَيُقَالُ لَهُ الْبَدَاءُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنْصُرَ مِنْ مَلُوكِ آلِ نَصْرٍ وَعَمَّالِ الْفَرَسِ»

وَلَسْنَا نَحْنُ نَرَى فِي الْأَمْرِ عَجَبًا بَعْدَ مَا رَوَيْنَا عَنْ أُمُورِ النِّصْرَانِيَّةِ فِي الْيَمَنِ فَهَذِهِ
الْقَبَائِلُ الْمُهَاجِرَةُ إِلَى الشَّمَالِ كَانَتْ عَرَفَتْ الدِّينَ الْمَسِيحِيَّ فِي مَوَاطِنِهَا فَبَقِيَتْ خَيْرَتُهُ
فِيهَا عِنْدَ انْتِقَالِهَا إِلَى الْعِرَاقِ. يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْقَزْوِينِيُّ مِنْ أَمْرِ «الْأَنْبِيَاءِ» الَّذِينَ
أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى بَنِي حَمِيرَ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَى اللَّهِ قَالَ: «فَبَعَثَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا (لَا هَلْ
الْيَمَنِ) فَكَذَّبُوهُمْ». لَكِنْ الْمَسْعُودِيُّ فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ (٣: ٣٩٣) ذَكَرَ تَوْبَتَهُمْ عَلَى
يَدِ أُولَئِكَ الرُّسُلِ وَانْتِظَامِ أُمُورِهِمْ فَقَالَ: «وَإِذَا زَالَ اللَّهُ أَنْعَامَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَقَالُوا لِرُسُلِهِمْ:

(١) اطْلُبِ الْمَكْتَبَةَ الشَّرْقِيَّةَ لِلْسَّمْعَانِيِّ (٦: ٦٩١-٧٠٤)

(٢) اطْلُبِ تَارِيخَ الرِّهْبَانِ لِتَاوَدُورِيطُسَ (Migne PP. GG. vol. 82, col. 1350)

(٣) اطْلُبِ أَعْمَالَ الْبُولَنْدِيِّينَ فِي الْيَوْمِ ١٨ مِنْ شَهْرِ تَشْرِينِ الْأَوَّلِ. وَمِمَّا رَوَى تَاوَدُورِيطُسُ
الْمَذْكُورُ فِي تَارِيخِهِ (ك ٣ ف ٢٠) أَنَّ بَعْضَ كُتْبَةِ زَمَانِهِ نَسَبُوا قَتْلَ الْإِمْبَرَاطُورِ يَلْيَانَ الْجَاهِدِ
فِي حَرْبِ الْفَرَسِ إِلَى أَحَدِ رُعَاةِ الْعَرَبِ

ادعوا لنا الله ان يخلص علينا نعمتنا ويرد علينا ما شرد من انعامنا ونعطيكم موثقاً ان لا تشرك بالله شيئاً فسألت الرسل برّها فاجابهم الى ذلك واعطاهم ما سألوا فأتست بلادهم واخصبت عمائرهم الى ارض فلسطين والشام». وقال القزويني: «ان ذلك كان بين مبعث عيسى والنبي» فتعين بقوله هذا ان هؤلاء الانبياء او الرسل ما كانوا الا دعاة لدين المسيح كما يستدل عليه من الشواهد السابقة

ولنا دليل آخر على تنصّر تلك القبائل اليمنية في العراق وذلك ما ذكره المؤرخون عنها فقالوا ان قبائل من قضاة من تيم اللات وكتب بن وبرة والاشعريين مع قوم من الازد تحالفوا وتآخوا فدعوا تنوخاً ونزلوا جهات البحرين ثم العراق ما بين الحيرة والانبار وتنصّروا. قال ابن خلكان في ترجمة ابي العلاء المعري (ص ٤٩ éd. de Slane): «تنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك وسُموا تنوخاً. وتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب». اما تنصّرتهم في القرن الرابع فيؤخذ من قول صاحب الاغانى عن سابور ذي الاكتاف لما حاربهم وكان شعارهم شعار المسيحيين. قال (١١: ١٦٢): «ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين... حتى نزلوا الحيرة فهم اول من اخطتها... ثم اغار عليهم سابور الاكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذ: آل عباد الله فسُموا العباد»

ولعلّ الديرين اي دير الجاهم بظاهر الكوفة ودير الحريق قرب الحيرة اللذين ذكرهما ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٥٢، ٦٦٤) قد انشأهما نصارى العرب في العراق تذكراً لاؤلئك الشهداء الذين قتلهم سابور لاجل ايمانهم وفي روايات نقلها ياقوت ما يلتمع بذلك. وجاء في روايات أخرى فيه عن ابن الكلبي ان دير الجاهم بناه بنو عامر شكراً لله على ظفرهم ببني ذبيان وبني تميم بعد حرب وقعت بينهم. اما دير الحريق فبني تذكراً لقوم أحرقوا بالحيرة

وما لا يُنكر وتثبت الشواهد التاريخية ان الاديرة كثرت في اواخر القرن الرابع للمسيح في جهات العراق التي كان يسكنها العرب. فانّ القديس اوگين الذي كان نشر العيشة الرهبانية في بلاد الجزيرة وما بين النهرين ارسل عصبة من تلاميذه حتى اقاصي العراق وما عتّت الآداب الرهبانية ان انتشرت فيها على يدهم اي

انتشار خصّ منهم المؤرخون بالذكر الراهب يونان او يونس الذي شيّد ديرين الواحد في الانبار قاعدة اللخمين قبل سكنائهم في الحيرة على الفرات والآخر بقرب نينوى . وقد عرف العرب الديرين كليهما فذكرهما ياقوت ودعا الاول (٢ : ٧٠١) دير مار يونان والثاني دير يونس قال عن هذا الاخير (٢ : ٧١٠) انه « في جانب دجلة الشرقي مقابل الموصل وبينه وبين دجلة فرسخان وقلّ وموضعه يُعرف بنينوى »

وفي التواريخ الكلدانية القديمة ان يونان المذكور طاف بلاد السواد وبشر العرب بالمسيح وكان قبل ان يزهد بالدنيا يتعاطى العلوم الفلسفية ويأول الطب فحبّه ذلك الى العرب وكافة اهل السواد . ولما ابنتى ديره في الانبار كثر عدد الطالبين للترهب تحت تدبيره

وفي النصف الثاني من هذا القرن الرابع تولّى احد رهبان النصارى اسمه عبدا بناءً الاديرة في انحاء العرب فقدم على جاثليق المدائن المسمى تموز او تومر صا ونال منه الرخصة في ذلك فبنى هو ديراً كبيراً في دير قنّى او درقان وطنه على اسم مار ماري حيث كانت ذخائر ذاك الرسول . وبني تلامذته اديرة اخرى منهم تلميذه عبد يشوع الذي شيّد على نهر صرصر الدير المعروف بالصليب حيث كان ظهر صليب منير في ايام استشهاد المسيحيين على يد سابور باغراء المجوس . وشيّد ديراً آخر في باكسايا في سواد العراق ثم ديراً ثالثاً عند الفرات . واخبر المؤرخ ابن ماري (ص ٢٩) انه تلمذ العرب في متوث وميشان واليامة وردّ بني ثعلبة الى الايمان (١) فجعله تومر صا اسقفاً مقامه في دير محراق . ومنهم تلميذه يبالاها الذي ردّ اقواماً من العرب في ارياف الفرات وابنتى ديراً في دسكرة السواد وديراً آخر على ضفة النهر قيل ان عدد رهبان ديره قد كثر حتى ضاق بهم الدير مع سعته فبلغوا الاربعمائة بنيف وكان الرهبان من انحاء شتى يتكلمون لغات مختلفة فجعلهم اربعا وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الفرض الالهي ليلاً ونهاراً فيتلون الصلوات والتسابيح في لغاتهم اي السريانية واليونانية واللاتينية والقبطية . وكان سبقه الى ذلك في هذه المناسك راهب آخر اسمه اسكندر الذي انشأ طائفة الساهرين (Acémètes) لمواصلة الصلاة ليلاً مع نهار . وقد ذكر سليمان بن ماري في تاريخ فطاركة كرسي المشرق (ص ٢١) وعمر بن متى في

المجلد (ص ٢٨) كثيراً من هذه الاديرة واختصراً توارى عنها عن كتبة معاصرين اخضعهم آحي تلميذ مار عبدا الذي وضع ترجمة حياة معلمه ثم صار بعد ذلك بطريركاً على الكلدان

فهذا العدد الوافر من الاديار وكثرة المترهبين فيها دليل واضح على سطوع ضياء النصرانية بين عرب العراق في ختام القرن الرابع للمسيح . فان كل دير منها كان كينبوع من المياه الحية يسقي تلك الارحاء فينبت للخلاص الثمار الطيبة . وكان المتنصرون يمارسون من الفضائل اسمها ومن الاعمال المبرورة افضلها وأولها حتى انهم ما كانوا يجمعون عن الموت والعذابات لاجل دينهم كما يروى عن السفراء الثلاثة الذين اوفدهم ملك العجم الى القيصر يليانوس المارق سنة ٣٦١ واسماؤهم مانويل (او عمانويل) وشابيل واسماعيل اراد يليانوس ان يغضبهم على السجود للاصنام فأبوا وماتوا في سبيل دينهم القويم في القسطنطينية واعمالهم مدونة في مجموع البولنديين (Acta Sanctorum, d. XVII Junii) . وكان قبلهم سفيران آخران (سنة ٢٥٠) قد وفدا على دقيوس من قبل دولة الفرس اسمهما عبدون وسان وفظلاً الموت على جحود النصرانية فقتلا في رومية وعيدهما في الكنيسة في ٣٠ تموز وبعد هولاء نساك العراق بزمن قليل قام في الكنيسة الانطاكية قديس آخر اشتهر في الشرق والغرب معاً نريد به القديس سمعان العمودي المولود نحو سنة ٣٦٠ للمسيح الذي رقي عموده في الجبل المعروف باسمه في جهات انطاكية واضحى بعد مدة كمنارة استضاء بها العالم كله . وسيرته قد كتبها احد تلاميذه المسمى انطون فنشرت في اعمال الآباء اللاتينيين (Migne, P. L. t. 73, p. 329) وكتبها ايضاً تاودوريطس معاصره الذي كان يتردد عليه وهو من اوثق المؤرخين واصدقهم رواية . وكذلك روى اعماله كثيرون من السريان فنشرت تأليفهم في هذه المدات الاخيرة . ومن يتصفحها يتحقق ما ناله العرب من فضل القديس سمعان . وقد مررنا ذكر الحميريين الذين كانوا يقصدونه من اليمن . وكان العراقيون من العرب ينتابونه بشوق اعظم لقربهم منه . اسمع ما كتبه تاودوريطس اسقف قورش بعد ان شاهد عياناً العجائب التي كان يأتياها العمودي قال عن العرب ما نروي قسماً منه معرباً (١) :

(١) اطلب الباب ٢٦ من كتابه المدعو بفيلوتاوس او الحياة الرهبانية (Migne P. G.,

« انَّ مقام سمعان على عموده قد انار قلوب الالوف المؤلفة من بني اسمايل فكانوا يأتونه افواجاً افواجاً فيتقاطرون اليه تارةً مائتين وتارةً ثلاثمائة واحياناً ألوفاً (ὄσε καὶ χίλιοι) فيجحدون لديه اذاليل اجدادهم وربما حطّموا امامه اصنامهم ولعنوا باغرائه الزهرة وعبادتها النجسة ثم كانوا يتلقّون التعاليم الخلاصية ويدعون للبشارة الانجيلية. وقد حصل لي خطر على حياتي من تراحمهم عليّ لأنّ القديس سمعان كان يأمرهم ان يطلبوا مني البركة الاسقفية مؤكّداً لهم انّها تعود عليهم بالخير فكانوا اذ ذاك يهجمون عليّ من كل جانب من الامام والوراء والجانبين ويركب بعضهم على اكتاف البعض ويمدّون اليّ ايديهم ليلمسوا مني البركة ولولا ان القديس سمعان كان يزجرهم لكنت تأذيتُ من لجاحهم وازدحامهم عليّ »

وقد ذكر هناك تاودوريطس ومثله المؤرخ ايثاغريوس والكاهن قزما معاصره عدّة عجائب وآيات باهرة صنعها سمعان مع العرب وشيوخهم زادت ثقتهم به وتواردهم اليه واقبالهم على استماع اقواله. فن ذلك ما اخبر به عن امير قبيلة نقل اليه مخلاً على سرير من مدينة الرقة فشفاه القديس برسم اشارة الصليب عليه وصبغه بياه المعمودية فعاد كخلع الانجيل حاملاً سريره والحضور كلهم يشكرون الله على هذه النعمة السابعة (١). وكذلك اخبر عن امير آخر كان تنصّر ونذر بين يدي القديس أنّه يصوم عن اكل اللحم فنتي نذره مرةً واكل قطعة من اللحم استحات في جوفه الى حجر كاد يلفظ به روحه لو لم يسرع الى القديس الذي خلّصه بصلاته (٢). وارسلت ملكة العرب من العراق وسألته ان يزيل عقمها وينال لها من الله ابناً ذكراً فنالته وارسلته الى رجل الله لينال بركته

وذكر تلميذه انطون في سيرته (٣) انّ اميراً من امراء قبائل عرب الجزيرة دعاه مالكا (Basilicus) قدم على القديس فوجد سمعان يصلي فوق عموده فجثا تحته ينتظر نهاية صلاته ليطلب بركته واذا بدودة كانت ترعى جسم القديس وكان يحتمل ذلك بصبر حباً بالله سقطت فالتقطها الامير ليحفظها كتذكّار وذخيرة. فلحظ سمعان فعل الامير فصرخ اليه: انك بفعلك هذا اثّيا الرجل الشريف قد كدّرتني فكبف تمسّ ما ينتثر من جسدي من القدر. ففتح الامير يده واذا بالدودة قد استحات الى درّة ثمينة فاراها القديس وقال: ليست هذه دودة بل درّة. فاجابه سمعان: على حسب ايمانك قد صنع بك الربّ فلتكن يدك مباركة طول حياتك. وانطلق الامير فرحاً

(٢) فيه ايضاً

(١) الآباء اليونان (P. G., t. 88, col. 1477)

(٣) اطلب مجموع الآباء اللاتين (Migne : P. L., t. 73, p. 329)

على أن بعض امراء العرب غير المتنصرين لم يرضوا بفعل رعاياهم وخروجهم الى بلاد الرومان وتنصرهم على يد سمعان العمودي. ومما اخبر المؤرخ قزما الكاهن أن ملك الحيرة الذي دعاه بالنعمان وهو النعمان الأول الذي يلقبه العرب بالاعور لما استولى على ملك الحيرة بعد امرى القيس الثاني (نحو سنة ٣٩٠ الى ٤٢٠) امتعض من رحلة اهل الحيرة الى القديس سمعان فاعلن بامر ملكي أنه ينهى تحت عقاب الموت الخروج الى زيارة السائح. فما انتشر هذا الخبر حتى استولى الخوف على رعاياه فرأوا ان الطاعة لهذا الحكم الظالم اولى من التعرض للموت الاحمر. ألا ان الملك لم يلبث ان ندم على ما فعل. ففي ذات الليلة التي وليت صدور الحكم ظهر له القديس في الحلم وفي يده سيف ومعه خمسة رجال لابسين ثياباً بيضاً ناصعة فنظر الى الملك شزراً وبكته على فعله ثم امر الرجال ان يبطوه ويجلدوه جلداً مبرحاً دون ان يرثوا العويله فلما كاد يصير الى التلف امر بالكف عنه ثم سلّ السيف متهدداً وقال: «اياك اياك ان تعود الى مثلها فهذا السيف تقطع مفاصلك» فقام الملك وهو على آخر رمق ولما أصبح الصباح جمع حاشيته والغي حكمه امامهم وحضّ شعبه ان يذهبوا الى القديس كيفما شاؤوا. قال قزما المؤرخ: «وهذا الخبر رواه احد قواد النعمان المسمّى انطيوخس بن سالم وكان سمعه من فم النعمان ولما جاء ليزور القديس اخبر بما سمع امام سمعان نفسه وانا حاضر». وأردف الراوي قائلاً: ومذ ذاك الحين أطلقت الحرية لعرب الحيرة بان يدينوا بالنصرانية ثم قال: والملك النعمان كان يريد بعد ذلك ان يتنصر ويذهب بالدنيا لكنه خاف من سطوة ملك العجم

(قلنا) ولنا في شهادة مؤرخي العرب ما يثبت هذه الرواية ويؤيد صحتها. فان المؤرخين قد رووا ان النعمان الاعور بعد سنين من ملكه اجتمع باحد النسك الصالحين المدعوين بالرابعة فزهدّه بالفانية ودعاه الى ترك الدنيا وعبادة الله فلبى الملك دعوته ولبس معه المسوح وساحا في الارض زهداً ١١. وليس هؤلاء الرابطة على رأينا سوى رهبان النصارى الذين بينا لك وفرة عددهم في جهات العراق وزهدهم بالعالم. وفيما ذكرنا من تاريخ قزما مصداق على هذا الرأي. ولعلّ الدير الذي دعاه العرب بدير الاعور قد ابتناه نعمان الاعور المذكور لولا ان ياقوت (٢):

(٦٤٤) نسب دير الاعور الواقع على قوله بظاهر الكوفة الى رجل من بني حذافة ابن زهر بن اياد وقد مرَّ بك ان بني اياد من اقدم قبائل العرب المتنصرة ولا غرو ان تنصر هذين الملكين زاد النصرانية شأناً وعزاً في العراق. قال قزما بعد رواية انطيوخس بن سالم عن ندامة النعمان ان الدين المسيحي مذ ذاك الوقت نما غواً عظيماً فكثرت عدد الاساقفة والكهنة حتى ضاق عن الحصر. ولما قام الملك ازدشير الاول واضطهد النصارى في ملكه نال عرب العراق قسمٌ من تلك المحن اظهروا فيها من الثبات ما غير بعد مدة افكار الملك فتغاضى عنهم. وقيل ان امرأة الملك ازدشير نالت بشفاعته القديس سمعان الشفاء من مرض عضال فرغبت الى الملك ان يكف الاضطهاد عن النصارى في مملكته.

وفي القسم الاول من القرن الخامس بلغت النصرانية اوج فخرها وازدهارها في العراق. وكان الايمان كاثوليكيّاً محضاً لم يُشَبْ بشيء من اضاليل النساطرة واليعاقبة وكان الاساقفة حريصين على وديعة التعاليم الرسولية كما ترى من اعمال مجمع المدائن الذي عُقد سنة ٤١٠ فشذبت اضاليل آريوس وغيره من المبتدعين.

وفي هذا الزمان عُرف القديس ماروثا رئيس اساقفة ميافارقين الذي حظي لدى ملك العجم ازدشير الثاني وابراً ابنته من داء عقام فنالت من ابها الحرية التامة لنشر النصرانية في العجم. وماروثا من كبار القديسين الشرقيين والمدافعين عن الايمان المستقيم بهتمته عُقد مجمع ثانٍ في المدائن سنة ٤٢٠ لاثبات عقائد الايمان وحرم نسطور وفيه ايضاً اصبحته جهات الجزيرة ولا سيما العراق العربي كصعيد آخر بلغ فيها عدد الزهاد الى ما تجاوز كل احصاء. فكانت الاديرة كمدن واسعة يسكنها الوف من الرهبان يقضون فيها الحياة في الصلاة والشغل. ولو راجعت الفصل الذي خصّه البكري في معجم ما استعجم (٣٥٨ - ٣٨١) وياقوت الحموي (٦١٠: ٢ - ٧٣٩) وغيرهما بهذه الاديرة لرأيت ان بلاد العراق كان لها نصيب كبير منها وهم لم يذكرها غالباً الا ما ورد اسمه في شعر الشعراء كدير الابلق في الاهواز ودير ابي يوسف فوق الموصل قريب من بلد وديارات الاساقف بالنجف بين قصري ابي خصيب والسدير وديري الاسكون بالحيرة وقرب واسط كانت فيهما مدارس للعلوم الدينية ودير اشموني قرب بغداد ودير الاعلى بالموصل على جبل مطّل على دجلة ودير باشهرا بين

سامراً وبغداد ودير بأعربا بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة ودير مخائيل ودير الثعالب منسوب على ما نطن الى بني ثعلبة المنتصرين قريب من بغداد عند الحارثية ودير الجرعة بالحيرة ودير الخوات بعكبرا ودير الحنافس على قلعة جبل تُشرف على دجلة ودينوى ودير دُرُتَا غربي بغداد ودير الدهدار بنواحي البصرة ودير الترندورد في الجانب الشرقي من بغداد ودير ساور غربي دجلة ودير سمالو وكلاهما قرب بغداد ودير السوسي بنواحي سرّ من رأى (وهي سامراً) ودير الشاء بارض الكوفة ودير صباعي شرقي تكريت ودير الطواويس بسامراً ودير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانية ودير العجاج بين تكريت وهيت ودير العاث ودير فثيون وكلاهما بسامراً ودير القباب وتوطا من نواحي بغداد ودير القيّارة عند الموصل ودير كَرْدشِير بين الري و قم ودير كُوم من اعمال الموصل ودير مار فثيون بالحيرة اسفل النجف ودير مار سرجيس قرب سامراً ودير متى قرب نينوى ودير مديان على نهر كرخايا قرب بغداد ودير مر جرجس بالزُرْفَة قرية من منتزهات بغداد ودير مر ماري من نواحي سامراً ودير مر يُحْنَا جانب تكريت ودير ملكيساوا فوق الموصل ودير هزقل في جهات البصرة وغيرها ايضاً تؤيد كثرتها ما قلنا عن انتشار النصرانية في العراق

والعرب لم يعرفوا فقط هذه الاديعة ورووا اسماءها في اشعارهم او ذكروها في جملة اخبارهم بل نسب كثير منها اليهم او لوقوعها في ديارهم او لانهم عُتُوا بتشبيدها وكل ذلك ما يزيد بياناً قولنا في نفوذ النصرانية بين عرب العراق . فمن ذلك ما ذكره البكري وياقوت ايضاً كدير ابن براق بظاهر الحيرة ودير ابن عامر ودير ابن وضح ويسمى ايضاً دير مر عبدا بناء بذات الاكيراخ من نواحي الحيرة عبدا بن حنيف بن وضح اللحياني . ودير حنظلة المنسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك من بني لحم . ودير حنة دير قديم في الحيرة منذ ايام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع . ودير حنة آخر بالأكيراخ بناحية البليخ ذكره البكري (٢٧٢) ثم قال : «والاكيراخ موضع ايضاً بالحيرة فيه دير بناء عبد بن حنيف من بني لحيان الذين كانوا من لحم وملك الحيرة منهم ملكان » ودير خندف وهي ليلى بنت حلوان القضاعي ام ولد الياس بن مضر بن نزار . ودير السوا المنسوب الى رجل من اياد وقيل الى بني حذافة . ودير عبد المسيح المنسوب الى عبد المسيح

ابن عمرو بن بُقَيْلة الغساني الشاعر واحد المعمرين موقعه في ظاهر الحيرة . ودير العذارى بين سرّ من رأى والحظيرة وكان يسكنه عدد من ابكار العباديين وعرب النصارى . روى ياقوت (٢: ٦٨٠) والبيروني في كتابه الآثار الباقية (éd. Sachau p.314) «أنّ احد ملوك الحيرة اراد ان يختار منهنّ له نسوة فصُمن ثلاثة ايام بالوصال فأت ذلك الملك في آخرها ولم يمسنهنّ ومذ ذاك اخذوا يصومون هذا الصوم المعروف بصوم العذارى» . ودير علقمة بالحيرة منسوب الى علقمة بن عديّ بن الرميك من بني لحم ودير عمرو في جبال طي . ودير قرّة المنسوب الى قرّة احد بني حذافة بن زهر ابن اياد . ودير اللجّ للنعمان ملك الحيرة . ودير هند الكبرى وهند الصغرى وسنعود الى ذكرهما

ويخبر عن المتعبدين في تلك الاديرة او القلايى الممتدة بين الحيرة والبصرة أنّهم كانوا يجتمعون في الاعياد فيحتفلون بها برونق وكان اهل تلك الانحاء يخرجون اليهم فيحضرون حفلاتهم ويطلبون منهم شفاء مرضاهم . وكان النساك يعيشون غالباً من صيد الاسماك ومن حسنات المؤمنين

فهذه اديرة عديدة كلّها من بناء نصارى العرب في جهات العراق . فلعمري أنّها من ادلّ الادلّة واجلى البينات على علوّ منار النصرانية بين عرب الجاهليّة

وما قلناه عن الاديرة يجوز قوله عن عدّة كنائس وبيع شيدها العرب و اشاروا بذلك الى ثقاتهم وتحمّسهم في الدين . وكانوا يتفاخرون ببناء البيع في احيائهم . قال الفيروز ابادي : وكان في الحيرة كثير من الكنائس البهيّة . وقال الزبيرقان بن بدر التميمي لما وفد على محمّد يذكر كنائس قومه (سيرة الرسول لابن هشام ٩٣٥) :

نحنُ الكرامُ ولا حيُّ يعادلنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَّبُ البيعُ

وقال في معجم البلدان (٢: ٧٠٣) : «كان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وربّها (كذا) اهل المنذر بالحيرة وغسان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع التزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام» . وقال ابن دُرَيْد في كتاب الاشتقاق (ed. Wüstenfeld.

(226 عن بني عديّ: « ومن بني لحم بنو عديّ بن الذميل بن اسس لهم بيعة بالخيرة وكانوا اشرافاً »

وكان يحقّ بنا ان نضيف الى هذه الشواهد جدول الاساقفة الذين كانوا في القرن الخامس يدبرون كنائس العراق العربي كالانبار والخيرة والبصرة وبيت عربايا وميشان وغيرها لكن ذلك يطول بنا فنشير اليه فقط اشارة خفيفة

لكن الحقيقة تضطرنّا ايضاً ان نذكر ما أصيبت به كنائس بابل والعراق . فانّ في اواخر القرن الخامس نفثت البدعة النسطورية فيها سمّها وخدعت كثيرين من المؤمنين والاساقفة فاعاروا لها اذنًا صاغية وانتموا الى اصحابها . ثم قامت باثرهم البدعة اليعقوبية وانتشرت انتشاراً عظيماً في بلاد الجزيرة وبلغت ايضاً الى انحاء العراق فقامت الحرب الدينية بين البدعتين على ساق وكانتا في البيعة الشرقية كالزوان الذي خنق الزرع الجيد الذي زرعه رب البيت . فلا غرو انّ العرب انقسموا مع اهل تلك البلاد الى قسمين فعدل قسم منهم ولا سيما اهل القبائل الواقعة شرقي الموصل حتى خليج العجم الى النسطورية بينما كان القسم الآخر ومقامهم على الاخص في غربي الموصل وفي ديار ربيعة الى جهات الرها وتحوم حلب وحمص وحماة قد تبع اليعقوبية فابتدأ تقهقر النصرانية منذ ذلك الحين في الشرق فترى تاريخ الكنيسة الشرقية ينحصر غالباً في تاريخ الخصومات والمشاجبات التي سببتها تلك البدعتان او ما كان ينوط بهما من البدع والمشاكل . وزاد في الطين بلةً تداخل ملوك القسطنطينية من الروم في امور الدين فاقاموا نفوسهم كقضاة في المعتقدات المسيحية وكان منهم من يعضد البدع وينتمي اليها جهاراً كما فعل قنسطنسيوس والنس اللذان نصرا الاربوسية وكزينون وانستاس المدافعين عن اليعقوبية وكهرقل الذي دافع عن بدعة المنوثلين فكنت ترى المجامع تتوالى منها كاثوليكية ومنها هرطوقية فتبطل هذه ما اثبتته تلك وكان الاحبار الرومانيون مهتمين وقتئذٍ بتهديب امم البرابرة التي هجمت على المملكة الرومانية فلا يستطيعون ان يداووا اسقام الشرق كما يشاؤون لبعد الشرق عن نظرهم او ايضاً لما كانوا يجدونه في ملوك الروم وبطاركة القسطنطينية من المخالفة لاوامرهم فاصبح الشرق في هرج ومرج واختلت بذلك امور الدين وانتقض جبل الايمان المتين

وان تتبعنا تاريخ النصرانية بين عرب العراق في اواخر القرن الخامس ومدة القرن السادس وجدنا بينهم رجوع صدى لهذه الحوادث الجارية في ظهور انبيهم وهم منوطون في العراق بالكنيسة الكلدانية التي تبعت اضاليل نسطور وفي الجزيرة وديار بكر وربيعه وانحاء الرها بالكنيسة السريانية التي غلبت عليها الهرطقة اليعقوبية وكان ملوك الحيرة اول من تأثر بهذه الحوادث فان السياسة قضت عليهم بان يتبعوا الدولة الساسانية التي بسطت حمايتها على النسطورية وعضدتها في بلاد العراق الى نصيبين وذلك بغضا بملوك الروم الذين كانوا يتقلبون حيناً مع البدعة اليعقوبية وحيناً مع الكنيسة الكاثوليكية. ونرى المؤرخين الروم واللاتين مضطربين في ايضاح تاريخ ملوك الحيرة فتتناقض آراؤهم فيهم اذ كانوا يرونهم في مصاف اعدائهم الفرس فبعضهم يجعلونهم وثنيين وبعضهم يذكرونهم في عداد النصاري ويروي غيرهم عن امراء الجيش ما لا يصح الا عن الملوك وبمعكس ذلك ينسبون الى الملوك ما اتاه الامراء. وترى شيئاً من هذا الاضطراب في رواية السريان والعرب. وها نحن نورد من ذلك ما نراه اقرب الى الحق

خلف المنذر الاول في ملك الحيرة اياه النعمان بعد تنصره وزهده فملك ٤٤ سنة (٤١٨ - ٤٦٢) قضاها في حروب متواترة ضد الروم في خدمة ملوك الفرس لا سيما بهرام جور بن ازدشير الذي كان تربى بين عرب الحيرة. وكان بهرام عدواً للنصارى فامتحنهم في بلاد فارس وجوارها وصادرهم وقتل منهم كثيرين تعيد الكنيسة ذكراً لاستشهادهم وكان المنذر واقف على آرائه وعاد الى شرك آباءه القديم. واخبر سقراط (١) المؤرخ معاصره انه دخل في بلاد الروم فذهب وسلب واحرق وسبي وكان يقصد السير الى القسطنطينية ليفتحها لكنه لم يفلح وأصيب جيشه بكسرة عظيمة وقتل منهم مئة الف على قول سقراط وسبعون الفاً على رأي الكتبة السريان وقام بالملك بعد المنذر ابناؤه الثلاثة بالتوالي اعني نعمان الثاني (٤٦٢ - ٤٧١) المعروف بابن شقيقة صاحب الفرقتين الشهباء ودوسر. ثم الاسود (٤٧١ - ٤٩١) ثم المنذر الثاني (٤٩١ - ٤٩٨) ولا نعلم من امر دينهم شيئاً بل اخبارهم مضطربة لا تؤخذ سنداً لتاريخ

واثبتُ منها اخبار النعمان الثالث ابن الاسود بن المنذر (٤٩٨-٥٠٣) الذي سها عن ذكره معظم مؤرخي العرب الا حمزة الاصفهاني (ص ١٠٤) وقال ان امه كانت تدعى ام المالك وانها كانت ابنة عمرو المقصور احد ملوك كندة وجد امرئ القيس الشاعر غزا ايضا الروم ونهب بلادهم وكان في خدمة الملك قباذ. ولعله هو هو الذي اشار اليه مؤرخو الروم (١) لما ذكروا فتح الفرس لمدينة آمد فقالوا ان ملك العرب طلب من قباذ ان لا يُصيبوا باذى الذين التجأوا الى كنيسة الاربعةين شاهداً وفي هذا دليل الى مياله الى النصرانية لكنه بعد ذلك دالت عليه الدولة فكسره الرومان دفعتين. واخبر يوشع العمودي المؤرخ السرياني (٢) ان النعمان مشى اخيراً الى محاربة الرها مع قباذ ولما نهاهما عن ذلك احد ضباط جيشه النصارى وذكر له قصة الابجر ملك الرها والسيد المسيح غضب عليه وشم دينه وكان ذلك داعياً الى موته اذ انتقض جرحه السابق فمات. فعين قباذ كخلفه في تدبير الملك رجلاً يدعوه ابو الفداء وحمزة الاصفهاني وغيرهما ابا يعفر علقمة وهذا لم يكن من ابناء الملوك ولعله كان فقط ولياً للملك وانما كان من اشراف اللخمين واحد ابناء أسرة بني ذميل النصرانية التي سبق ذكرها فاستخلفه قباذ ولم يتول سياسة الدولة الا ثلاث سنوات ثم اقيم امرؤ القيس الثالث الذي لم تطل مدته (٥٠٥-٥١٢)

وصار الملك من بعد امرئ القيس الى ابنه المنذر الثالث الشهير بابن ماء السماء الذي ملك ٤٩ سنة (٥١٣-٥٦٢) وماء السماء لقب امه ماوية (ويروى مارية) ابنة عوف وقيل بل هي اخت كليب والمهلهل التغلبيين وان اسمها ربيعة والعرب دعوا بقاء السماء لكرمها ورقة طباعها. ويدعى ايضاً هذا المنذر بذي القرنين لضفيرتين كانتا له من شعره. وكان المنذر المذكور من ارفع ملوك الحيرة قدراً واشدهم بأساً وهو الذي انتصر من بليزار احد ابطال الروم في زمانه وكبير قواد يستينان. اما دينه فان شواهد المؤرخين متضاربة في تعريفه. وما يُحصل منها انه عرف النصرانية منذ حداثة سنه لأن امه كانت نصرانية فلا شك انها لقنته منذ صغره مبادئ الدين المسيحي لكنه لما كبر وتولى الملك تحت سيطرة ملوك العجم عدل الى

(١) اطلب تاريخ رورباخر (٨: ٥٥٧)

(٢) اطلب تاريخه (Josué le Stylite, éd. Martin. p. 42)

الشرك ودين المجوسية او بالحري الى مذهب مزدك اي المانوية بايعاز ملك فارس . والظاهر انه في اثناء زندقته استقبل الوفد الذي ارسله اليه ذو نواس بعد قتله نصارى نجران كما اخبر الكاتب المعاصر شمعون اسقف بيت ارشم (١) فطلب منه ان يقتني آثاره ويقتل نصارى الحيرة فأثر كلام ملك اليمى في المنذر واراد ان يختبر صدق ايمان المنتصرين من جيشه فدعا قوماً منهم وعرض عليهم جحود ايمانهم فقام احد صناديد ضباطه فقال له : « ان تنصراً قد سبق جلوسك على عرش المناذرة فهيئات ان تقنعنا بالعدول عن ديننا . وعلى كل حال ان كان رصفائي لا يثبتون في مذهبهم فاني لا اجده مطلقاً ولست اخاف العذاب ولا الموت كما تحققت ذلك لما رأيتني في وقائع الحروب اذ لم يك سيفي اقصر من سواي » . فلما سمع المنذر كلامه عرف انه لا يستفيد شيئاً فعدل عن قصده وترك كلاً من جنوده يتبع دينه . وبقي المنذر على زندقته زمناً وعبد كعبد العرب اللات والعزى . ومما اخبره عنه المؤرخ زكريا الخطيب (٢) وميخائيل الكبير (٣) انه انتهك في بعض حروبه حرمة الكنائس والاديرة فنهب وسلب واسر في اراضي الرومان عدداً من الاسرى بينهم ٤٠٠ من العذارى الراهبات قتلهن وقدمن كذبايح للعزى

على ان المنذر لم يثبت في زندقته بل جحد الوثنية ونبد مذهب مزدك . بل تنصر بعد ذلك كما يؤخذ من شهادات المؤرخين الروم والسريان والعرب . وقد روى صاحب الاغانى (٧٧: ١٩) والقرويني (ص ٢٨٥) وغيرهما خبر تنصره في مطاوي ذكرهم للفرين قالوا ان المنذر المذكور اذ كان قتل في بعض ايام ثلثه اثنين من اعز ندمائه عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل اقام على قبريهما غريين او طربالين واتخذ لهما يومين يوم نعيم كان يغني فيه من اتاه قبل غيره ويوم بوس كان يقتل فيه اول وافد عليه . فقتل في احدى السنين عبيد الابرس الشاعر ثم اتاه في سنة اخرى احد مضيفيه المحسنين اليه في يوم صيده يدعى حنظلة بن ابي عفراء الطائي وهو يرجي خيراً فلم ير المنذر بدءاً من قتله لئلا يحنث برعده الا ان حنظلة طلب تأجيل الحكم

(١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (BO, I, 364)

(٢) اطلب تاريخه (éd. Land III, 244)

(٣) في تاريخه (éd. Chabot II, 178)

لمدة معلومة واتخذ له كفيلاً شريك بن عمرو الشيباني . فلما جاء اليوم الموعود وكاد يُنفذ الحكم في الكفيل رجع حنظلة مستعداً ليُقتل . واذ قضى الملك المنذر منه العجب سأله ماذا دفعه الى القيام بوعده فاجاب ان دينه النصراني دفعه الى ذلك فتنصر الملك واهل الحيرة معه . هذا ما رواه العرب . ومنهم من ينسب الامر الى النعمان الاول وغيرهم يروونه عن النعمان ابي قابوس الا ان اصحاب النقد يرجحون انه المنذر الثالث ابن ماء السماء . وهو يؤيد كما ترى ما قلناه عن تنصر المنذر (١)

اماً حنظلة فروى ياقوت (٢: ٦٥٥) انه بعد نجاته من الموت زهد في الدنيا وابتنى ديراً قريباً من الفرات عند الرّجبة دُعي باسمه دير حنظلة وكان حنظلة عم اياس بن قبيصة الذي صار ملكاً على الحيرة بامر ملك العجم كما سترى

وقد جاء ايضاً في تاريخ ابن العبري (مختصر الدول ١٤٨) ان المنذر كان يعتقد اعتقاد اليعقوبية كنصاري العرب الا ان ابن العبري ليس مصيباً في ذلك ولعله اتخذ بشهادة بعض المؤرخين اليعاقبة مثله . ولنا على صحة ايمان المنذر دليل لاعم وهو ما رواه المؤرخ اليوناني تاوفانوس قال ان ساويرس البطريك السرياني الدخيل اراد ان يجتذب الى بدعته ملك الحيرة فارسل اليه اسقفين ليقتنعه بان في المسيح طبيعة واحدة ليس طبيعتين كما تُعلم الكنيسة الارثوذكسية . فالملك سمع كلامهما ساكتاً ثم فضّ كتاباً كان في يده فبدت عند قراءته الكأبة على وجهه فسأله الاسقفان : ما الامر . فقال : قد ابلغني كاتب هذه الرسالة ان رئيس الملائكة قد توفي فهذا الخبر قد امعني جداً . فضحك الاسقفان حتى قهقهها وقالوا للملك : كيف يمكن ان يموت ملاك لا جسد له فهذا كذب محض . فاردف الملك وقال لهما : وكيف انما تزعمان ان المسيح وهو ذو طبيعة الهية مفردة قد مات . اليس هذا اعظم كذباً وضلالاً ؟ ثم ردّ الاسقفين خائبين (٢)

فيظهر من جواب المنذر لهذين الاسقفين انه ليس فقط كان نصرانياً بل كاثوليكياً يؤيد ذلك المؤرخ فكتور التونوي المتوفى سنة ٥٥٦ فقال ان المنذر تعمّد

(١) وذكر ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٩٩ éd. Reinaud) تنصّر المنذر بقوله :

« وجا (اي بالحيرة) تنصّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة »

(٢) راجع تاريخ تاوفانوس في سنة ٥٥٥ ومقار يخ ايغايريوس (ك ٣ ف ٣٣) وتاريخ

تاودورس القاري (ك ٢) وتاريخ زوناراس (ك ١٤ ص ١٦٠)

على يد اساقفة من انصار المجمع الخلقيدوني (١) وكان هذا المجمع قد عُقد سنة ٤٥١ وحضره اسقفان من العرب اوسطات ويوحنا فوقع كلاهما على اعماله باسم اسقف السراكسة او الشرقيين. وعلى رأي البولنديين المشهورين بتدقيقهم في البحث ان البدعتين اليعقوبية والنسطورية لم تفشوا بين عرب العراق الا بعد اواسط القرن السادس في ايام فيروز ملك العجم لما اطلق الغنان لبرصوما. الا ان السمعاني في المكتبة الشرقية (مج ٣ الجزء ٢ ص ٦٠٥) يرتأي ان البدعتين اخذتا في الانتشار منذ اواسط القرن الخامس ويأتي ببعض الشواهد لتأييد قوله. وكان للنسطورية في العراق السهم الافوز

وكانت وفاة المنذر ابن ماء السماء في يوم حليلة احد ايام العرب الشهيرة بين اللخمين وبني غسان. فضبط زمام الملك ابنه عمرو بن المنذر الشهير بعمر بن هند (٥٦٢ - ٥٧٤) واشتهر كابيه بعدة وقائع مع الروم وعرب غسان وعرب اليامة وغيرهم. اما دينه فالنصرانية لنا على ذلك شاهد جليل رواه ابو عبيد البكري الوزير في معجم ما استعجم (ص ٣٦٤) وياقوت في معجم البلدان (٢: ٧٠٩) في وصف دير هند الاقدم او دير هند الكبرى ام عمرو وابنة الحارث بن عمرو بن حجر الكندي قال:

« وكان في صدره (اي صدر دير هند) مكتوب: بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك وام الملك عمرو بن المنذر أمه المسيح وام عبده وابنة عبده في زمن ملك الاملاك خسرو انوشروان وفي زمن افرائيم الاسقف. فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها ويقومها الى امانة الحق ويكون الاله (وروى ياقوت: الله) معها ومع ولدها الدهر الداهر »

فهذا القول من اوضح البينات على نصرانية عمرو بن هند بل على نصرانية ملوك كندة كما ترى

وخلف عمر بن هند النعمان بن المنذر وهو صاحب عدي بن زيد الشاعر النصراني العبادي الشهير وعلى ما يستنتج من رواية مؤرخي السريان انه كان نصرانياً قبل جلوسه على سدة الملك. اما العرب فيخبرون انه تنصر على يد صهره عدي بن

زيد زوج ابنته هند بنت النعمان ومارية الكندية المعروفة بالحركة. وقد روى غير واحد منهم (راجع الاغاني ٢: ٣٤٠) ان النعمان مر بمقبرة فانشده عدي ابياتاً زهدية (اطلب شعراء النصرانية ص ٤٤١-٤٤٢) كانت سبب تنصره بل روى ابو الفرج انه «لبس المسوح وتنصر وترهب وخرج سائحاً على وجهه فلا يدري ما كانت حاله فتنبصر ولده بعده وبنوا البيع والصوامع»

على انك رأيت مما سبق ان ملوك الحيرة تنصروا قبل ذلك وقد جاءت اخبار النعمان بن المنذر مضطربة فمنهم من اخبر انه قتل بعدي بن زيد فقتله فقام ابن عدي المدعو زيدا كجده فسعى به لدى كسرى انوشروان فحبسه وقتله. وروى غيرهم ولعله الاصح ان قاتل عدي بن زيد انما هو خلفه المنذر ابو قابوس (١٠١). اما ابنته هند فزهدت بالدنيا وعمرت لها ديراً عرف بدير هند. ولهند هذه قصة مشهورة مع سعد ابن ابي وقاص بعد يوم القادسية ثم مع المغيرة بن شعبه الذي خطبها لما تولى الكوفة فردته ردّاً لطيفاً وماتت في رهبانيتها

ومما لا يُنكر ان النصرانية غلبت بعد ذلك على ملوك الحيرة واهلها العرب حتى يجوز القول بانها عمّتهم قاطبة وان المسلمين لما فتحوا مملكة المناذرة وجدوها مملكة نصرانية في دينها وآدابها وعاداتها. ومن بعض اصحابها اخذ العرب كتابتهم كما مر في المشرق (٤: ٢٧٨-٢٨٢) وان كانت بعض فروع الكتابة اتهم ايضاً من نصارى النبط ومن اهل دومة الجندل ومن الحبشة كما ورد هناك ايضاً واثبتته الاكتشافات الاثرية الاخيرة. وكان المتولي على عرب الحيرة في عهد الفتح الاسلامي اياس بن قبيصة الطائي كان كسرى ابرويز ولأه عليهم بعد وفاة المنذر ريثا يعين لهم ملكاً من ابنائه فبقي على ولايتهم الى دخول المسلمين في الحيرة. ونصرانية اياس المذكور ثابتة لا شك فيها كما رأيت (٢)

(١) اطلب اخبار عدي بن زيد في شعراء النصرانية (ص ٤٣٩-٤٧٤)

(٢) اطلب ايضاً شعراء النصرانية (٩٣ و ٩٤)

الباب الثامن

النصرانية في الجزيرة

تتبعنا آثار النصرانية بين العرب في الجاهلية على حدود بحر فارس ثم في جهات العراق ورأينا ما خلفته لنا التواريخ من اخبار الدين المسيحي في الممالك الثلاثة الكبرى التي اقتسمت جزيرة العرب اعني دول الفساسنة والتبابعة والمناذرة . وحتى الآن لم نستوفِ مآثر نصارى العرب على التخوم الفاصلة بلادهم عن البلاد المجاورة فمما لم نذكره حتى الآن السهول الواسعة والبقاع الرحبة الممتدة من جهات الموصل الى مجرى الفرات المتوسطة بين الارمن والشام . فهناك مفاوز متسعة يسقيها النهران الكبيران دجلة والفرات مع عدة انهار تنصب فيها اخصها الخابور . فتلك البوادي التي كانت الامم القديمة تتراحم في ملكها لخصبها العجيب ووفرة خيراتها وسعة غلاتها ازهرت فيها مدن عديدة وحواضر محصرة لم يبق من اكثرها اليوم غير اخرة مهيبه او مدن ثانوية تنبئ بعظم مقامها في القرون الغابرة كنصيبين ودارا ودُنيسر وآمد وميافارقين وسعرت وماردين والرقة ورأس العين وقرقيش وقرقيسيا والرها التي يُطلق على مجموعها اسم الجزيرة

فتلك البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد احببتها منذ سالف الاجيال قبائل العرب سواء كانوا من اهل الحضرة او من اهل المدر اذ كانوا يجدون فيها ما يصلح لغاشهم الساذج ولرعيه مواشيهم فيتنقلون اذا شاءوا من الارياف الى البراري ليس من يتعرض لاستقلالهم او يتداخل في امورهم غير شيوخهم وامراء عشائهم وما يدل على انتشار القبائل العربية في الانحاء المذكورة أعلامها المشيرة الى قاطنيتها كباعربايا وجزيرة ابن عمر وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وغير ذلك مما ينوه اسمه باصل سكانه . فباعربايا او بيت عربايا اسم لثلاثة اماكن احتلها العرب اخصها مدينة كانت قريبة من نصيبين . وجزيرة ابن عمر وعلى الاصح « ابني عمر » هي مدينة موقعها على دجلة يدعوها الكلدان بازبدي ثم نسبت الى ابني عُمر وهما على ما روى ابن خلكان « اوس وكامل ابنا عُمر بن اوس التغلي »

اماً ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر فقد احسن في وصفها ياقوت في معجم

البلدان (٢ : ٦٣٦ - ٦٣٨) فقال عن ديار بكر :

« ديار بكر هي بلاد واسعة تُنسب إلى بكر بن وائل . . . بن ربيعة بن تزار بن معد ابن عدنان وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين . وقد يتجاوز دجلة إلى سمرت وحيزان وحينئذ وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل »

وقال عن ديار ربيعة :

« ديار ربيعة بين الموصل إلى رأس عين ودُنَيْسِر والخابور جميعه وما بين ذلك من المدن والقرى وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسُميت كلها ربيعة فاتَّحَمَ كلهم ربيعة . وهذا اسم لهذه البلاد قديم كانت العرب تحلُّه قبل الاسلام في بواديه واسم الجزيرة يشمل الكل »

وقال في ديار مضر :

« ديار مضر هي ما كان في السهل بقرب من شرقي الفرات نحو حرَّان والرقَّة وشمشاط وسروج وتلَّ مَوْزَن »

أمَّا القبائل التي كانت تسكن في تلك الجهات فكانت من ذرية تزار بن معد كاياد بن تزار بعد فرارهم من نخوم العجم ومُضر بن تزار منهم بنو النمر بن قاسط ولا سيما بني ربيعة منهم خصوصاً بنو تغلب وبني بكر وبني شيبان . قال ابو محمَّد الحسن الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب (ص ١٣٢ éd. D. H. Müller) يذكر منازل تلك القبائل :

« ثم تأتي الفرات من بلد الروم شاقاً في طرف الشام على التواء إلى العراق فغربيته ديار كَلْب وشرقيته ديار مُضَر (فيها) من المدن الرافقة وهي على شط الفرات يسكنها اخلاط مُضر . وحرَّان موضع آلة القياس مثل الاسطرلابات وغيرها . . . لبني قيم ومن يخالط بني سليم . والرُّها لبني سليم وكنيسة الرها التي يُضرب بها المثل . ومَرْبَعَا والخابور لبني عُقَيْل اعلاه ولبني مالك وبني حبيب وبطون تغلب الباقي . ثم آخر ديار مضر رأس العين للنمر ابن قاسط

(ديار ربيعة) وما خلفها . اولها وآخر ديار مضر رأس العين . ثم كفرتوثا لجثم عن اياسرها مارة من موضع الجنات المضروب بها المثل وهي تطل على دارين ثم نصيبين . . . وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب . فمن نصيبين إلى أذرمة والسَّيِّعَة مسيرة يوم وعن اين ذاك جبل سنجار جبل شراة بين تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثم من اين ذلك دُهْنًا إلى رحبة مالك بن طوق وقرقيسيا ثم ترجع إلى أذرمة إلى برقعيد وهي ديار بني عبد من تغلب . . . ثم منها إلى بلد وفيها شراة وغير ذلك إلى حد الموصل . وإن اردت بعد ارض الموصل مزرت بشكرت وكان (نهر) الثرثار عن يمينك . وأكثر اهل الموصل مذحج وهي ربيعة فان

تياست منها وقعت الى الجبل المسمى بالجودي يسكنه ربيعة وخلفه الاكراد وخلف الاكراد الارمن. وان تيامنت من الموصل تريد بغداد لقيتك الحديثة وجبل بارماً يسمى اليوم حمرين. ٠٠ ثم السن والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع في جبل الطور البري وهو اوّل حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها لا يارزهم الى ناحية خراسان الا الاكراد»

فاذ عرفت حدود الجزيرة والقبائل العربيّة المنتشرة فيها بقي علينا ان نبين ما كان للنصرانية من النفوذ بينها فنقول:

انّ اوّل برهان يثبت دخول النصرانية بين عرب الجزيرة ما اصاب هذا الدين من الانتشار السريع الغريب في ما بين النهرين كما تصرّح به كل الآثار التاريخية والكتابية والبنائية كالكنائس الباقية الى يومنا الراقية الى القرن الرابع والخامس للمسيح وكصوامع الرهبان ومغاورهم. فلا يقبل العقل انّ عرب الجزيرة لم ينالوا من الدعوة المسيحية حظّهم كما اصابه اخوتهم في بادية الشام وفي اليمن والعراق ولهم في شطف عيشهم وسلامة طباعهم ما يعدّ قلوبهم لقبول ذلك الزرع الالهي الذي اتى به ابن الله الى الارض وبذرهُ في التربة الجيدة ولاسيما بعد ان عاين اهل الجزيرة مع العرب (اعمال ١: ٢-١١) المعجزات التي جرت يوم حلول الروح القدس في اورشليم ولنا دليل ثانٍ على تدنّي عرب الجزيرة بالنصرانية بعد نبذهم لشرك الوثنية ألا وهو الغيرة الملتهبة التي كانت في قلوب الرسل والدعاة الاولين للنصرانية فانّ بعضهم بلغوا الى اقاصي الارض كما رأيت فما قولك بالبلاد المجاورة لليهوديّة التي كثرت فيها المعاملات مع فلسطين منبع الدين المسيحي

ثالثاً وان استفتينا التواريخ القديمة والتقاليد المحليّة والطقوس السريانيّة وجدناها كلها تتفق على ذكر دعوة العرب الى الايمان بالمسيح كدعوة بقيّة اهل الجزيرة. قال عبد يشوع الصوباوي في ذكر ادي رسول الجزيرة ما تعريبه: «قد اقبلت الرها ثم نصيبين وسائر العرب وكل تخوم الجزيرة الكهنوت المقدس من ادي احد السبعين تلميذاً». وقال ايليا الاسقف الدمشقي يذكر ادي وتلميذه ماري: «وكان الداعي والمنصر والتلميذ والمدير بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد... ونواحي الاعراب من التلاميذ السبعين ادي وماري (١). وقال ماري بن سليمان (éd. Gismondi): (p. 2) «وتوجه آحي وماري (تلميذا ادي) الى نصيبين واعمداهما وانفذ

ماري الى المشرق وآحي الى قردى وبازبدى ثم توجه ادي الى المشرق وبدأ بناحية حزة والموصل واجرمي وعاد الى مدينة الرها واستباح فيها بعد ١٢ سنة ٠٠٠ وقال ايضاً: « وادي قصد مع آحي ومار ماري بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب (والصواب: العرب) ». وجاء في اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمر بن متى الطيرهاني (ص ١ éd. Gismondi) مصرحاً: « ثم انه (اي ماري) بادر الى تلامذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن »

ويمكننا ان نضيف الى هذه الشهادات ما روينا سابقاً عن تبشير عرب العراق فان الشواهد المروية هناك عن الرسل وتلاميذهم تصح في عرب الجزيرة. ومثلها اقوال المؤرخين في بشارة الرسول برتلمئوس للعرب. وكذلك ورد في السنكسارات القديمة وفي خطط المقريري (١) ان يهوذا الرسول المعروف بتداوس « كرز في سورية والجزيرة »

رابعاً وان تحطينا عهد الرسل الى القرن الثاني والثالث للمسيح رأينا بلاد الجزيرة زاهرة بالدين النصراني. ففي الرها كانت الترجمة الاولى للكتب المقدسة الى السريانية وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة في اواخر القرن الاول للمسيح او اوائل الثاني (٢) وهناك تولى طايطيانوس تلميذ القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القسم الثاني من القرن الثاني تنسيق الاناجيل الاربعة برواية واحدة تعرف بالديايطاسارون (٣). وهناك تنصّر الابا جرة ملوك الرها سواء يُسَام بَصَّة المكاتبة بين السيد المسيح والابجر المعروف باوخاما كما تعتقده الكنائس السريانية او يوئل تنصّرهم الى ايام كراكلا برجوع اجر التاسع (١٧٩-٢١٤) وهناك عقد مجمعان واحد ذكره اوسابيوس في تاريخه (ك ٥ ف ٢٢) نحو سنة ١٥١ للمسيح التأم فيه ١٩ اسقفاً للنظر في امر الفصح وتعيين يومه (٤). والآخر عقد بعده بزمان قليل للفحص عن اقوال بعض

(١) اطلب المخطوط طبعة بولاق (٤٨٣:٢)

(٢) راجع ويسمان (Wiseman: *Horæ syriacæ*) وتاريخ الآداب السريانية لرّيت

(ص ٢) (٣) اطلب المشرق (١٠٠:٤)

(٤) اطلب مجموع المجامع لماني (Mansi, *Collectio Conciliorum* I, 719 et 727)

المبتدعين ككتاودوطس وابيون وارتيمون حضره ١٤ اسقفاً (١) فكفى بعدد هؤلاء الاساقفة دليلاً على انتشار الدين المسيحي في زمن قريب من رسل الرب يؤيد ما جاء في تقاليد كنائس الجزيرة عن اسماء عدة اساقفة رعوا المومنين قبل القرن الرابع في مدن عديدة كنصيبين وبازبدي (جزيرة بني عمر) وآمد والرقه وهلم جراً
اماً كون العرب هناك كانوا من جملة المتنصرين فيشهد عليه ابن ديسان الذي عاش في الرها (١٥٤ - ٢٢٢) فيذكر اهل الرها واهل حضر (٢) وكانوا من عرب قضاة عليهم ملكٌ يمتدُّ ملكه في انحاء الجزيرة فقال عنه عدي بن زيد:
واخو الحضر اذ بناه واذم دجلة تجي اليه والخابور

خامساً ثم جاء القرن الرابع والخامس فكانا زمن انتصار الدين المسيحي في العالم الروماني فظهرت النصرانية في كل روتقها وجلالها في انحاء الجزيرة فاستقت القبائل العربية هناك من مواردها العذبة وكان ذلك على الاخص بواسطة الرهبان والسياح الذين اختاروا بلاد الجزيرة ليقدموها بفضائلهم كما قدس سيّاح مصر بلاد الصعيد. وكان منشئ العيشة الرهبانية في الجزيرة القديس اوگين من تلامذة القديس انطونيوس الكبير. وقد اجمع المؤرخون الكلدان والسريان انه قدم من مصر في العشر الثاني من القرن الرابع وسكن في جبل نصيبين المسمّى جبل الازل وبشر بالايمان في نصيبين وعمد عاملها واولاده وطاف بلاد قردي وبازبدي وجهات نصيبين حيث كانت قبائل العرب وتلمذ الناس وبني الاديرة منها دير الزعفران مقام بطاركة اليعاقبة في يومنا وهو قرب ماردين وتلمذ له عدد من الرهبان. وكانت وفاة مار اوگين في نصيبين

ويؤيد شهادة السريان المؤرخ اليوناني المعاصر سوزومان (٣) في الكتاب السادس من تاريخه (الفصل ٣٤) فقال عنه ان اوگين وهو دعاه اونس (Aones) جاري القديس انطونيوس بنشره المناسك الرهبانية في الجزيرة وفي تخوم العجم وقال عنه انه سكن في نواحي نصيبين في فادانا (Phadana) ثم انتقل المؤرخ الى ذكر

(٢) اطلب كتاب (الشرائع لابن ديسان

(١) في Mansi ibid.

(Bardesane: le Livre des Lois des Pays, p. ١٥٩)

(٣) اطلب مجموع الآباء بين (Migne, PP. GG. LXVII, 1391)

تلاميذه او المتشبهين بسيرته فذكر في جبل سنجار باتأوس واوسابيوس وبرجس وكالس وآبا ولعازر الذي سُقِف بعد ذلك على نصيبين وعبدالله وزينون وهليودورس وذكر في حرّان اوسابيوس الحليس وبروتوجان الذي تولى الاسقفية على حرّان بعد بيتوس

وذكر السريان من تلامذة مار اوگين القديس شليطا الراهب الذي بشر بالايمان في بازبدى ثم سابا الذي عمر هناك ديراً ويوحنا الذي كان يطوف القرى وينصر الناس وآخا اخا يوحنا (١٠١) ثم تبعهم آخرون كثيرون وعَمَّروا الاديرة العديدة حتى صارت بعض انحاء الجزيرة كمدن رهبانية لاسيا الامكنة المقفرة والجبال كالجليل المعروف بطور عابدين في شمالي شرقي ماردين وجبل الازل السابق ذكره وجبال الموصل والرها. وزعم بعض المؤرخين ان بين هذه الاديرة ما كان يبلغ عدد رهبانه عدة الاف منها للرجال ومنها للعذارى (٢) وقد بقي من هذه الاديرة الى يومنا آثار ظاهرة وبقايا معتبرة. فان حضرة القسّ اسحاق ارملة وصف في مقالة نفيسة الاديرة التي تُرى آثارها بقرب ماردين فقط (اطلب المشرق ١٢: ٧٦٠)

واشتهر مع هؤلاء كثيرون من كبار المعلمين والاولياء كالقديس يعقوب النصيبيني والقديس افرام والاساقفة القديسين برسيس واولوجيوس ورثولا والقديس بوليان سابا

فهؤلاء كلهم او اكثرهم اختلطوا بعرب الجزيرة ونصروهم ودعواهم الى الدين المسيحي. وكانت سيرتهم الملائكية تؤثر في اهل البادية فكانوا يقصدونهم ويلتمسون صلواتهم ويطلبون منهم شفاء امراضهم فينالون غالباً ملتسمهم ويقبلون دين المحسنين اليهم فيعتمدون. وذلك منذ القرن الرابع كما تشهد عليه نصوص المؤرخين حتى امكن السمعاني ان يقول في مكتبته الشرقية (٤: ٥٩٨): ان العرب الذين كانوا يسكنون في الجزيرة ونواحي الكلدان والخليج العجمي عدلوا الى الدين المسيحي قبل السنة ٣٢٠ المسيح بهمة اساقفة الرها والمدائن والرهبان المنتشرين بينهم ومُنَّ شهد على تنصر العرب المؤرخ اليوناني سوزومان فقال في تاريخه (ك ٦

(١) اطلب تاريخ ماري بن سليمان (ص ٢٦) والمكتبة الشرقية للسمعاني (٤: ٨٦٥)

(٢) اطلب تاريخ العيشة الرهبانية تاودوريوس Theodoret: Hist. religiosa. c. 30

ف (٣٤) عن الرهبان: «انَّ هؤلاء النساك قد جذبوا الى دين المسيح كل السريان تقريباً وعدداً عظيماً جداً من الفرس والعرب بعد ان انقذوهم من عبادة الاصنام». وقد مرَّ بك ما رواه تالدودريطس عن القديس سمعان العمودي وقبائل العرب التي تنصَّرت على يده. وكان كثير منها تقاطرت اليه من العراق واليمن فما قولك بالقبائل التي كانت قريبة منه كقبائل الجزيرة

سادساً وكما شهد كتبة السريان واليونان على نصرانية قبائل الجزيرة كذلك وافقهم كتبة العرب على هذا الامر كما ستري

اعلم انَّ مؤرخي الاسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهلية ذكروا غير مرة نصرانيتهم وصرَّحوا كما بينا سابقاً بنصرانية بني اياد بن نزار (المشرق ١٤: ٨٨٩) سواء قيل انهم تنصَّروا قبل دخولهم في حكم الرومان او بعد خروجهم من بلاد فارس اذ لحقوا بالجزيرة. وكذلك اثبتوا نصرانية ربعة المحتلين في ديار ربعة وديار بكر. قال ابن قتيبة في كتاب المعارف (طبعة مصر ص ٣٠٥): «وكانت النصرانية في ربعة». وقال صاحب السيرة الحلبية (ج ٣ ص ٩٥): «ومن قبائل العرب المتنصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام». وبقيت بعض هذه القبائل على نصرانيتها زمناً طويلاً بعد الاسلام كما ترى في الآثار الباقية وفي كتب العرب والسريان بل ربما ذكروا اساقفة لبني معد وتنوخ وعقيل (١) وجاء في ترجمة ماروثا اسقف تكريت انه جعل تحت حكمه ثلاثة اساقفة كانوا يدبرون قبائل العرب وهم اسقف بيت رمان او بيت رزيق ثم اسقف بني جرم واسقف بني ثعلبة (٢)

وكان نصارى غربي الجزيرة يترددون الى مشهد القديس سرجيوس او سرجيس الشهيد في الرصافة (Sergiopolis) ويعظمونه وكانت صورته مع الصليب على رايتهم الحربية. قال الاخطل (اطلب ديوانه ٣٠٩):

لما رأونا والصليب طالما ومار سرجيس وموتاً ناقما
وابصروا راياتنا لواصلاً خلوا لنا راذان والمزارعا

(١) اطلب الآثار السريانية مجموعة لند (Land: Anecdota Syriaca, I, 47, 50)

وفي منتخبات لاگرد (Lagarde: Analecta Syriaca, p. 108)

(٢) اطلب السمعاني (المكتبة الشرقية ٢: ٤١٠)

وقال جرير:

فبالصليب ومار سرجس تتقي شهباء ذات مناكبٍ جمهوراً

وقال ايضاً:

يستنصرون بمار سرجس وابنه بعد الصليب وما لهم من ناصرٍ

ثامناً ويؤيد شهادة العرب عن النصرانية في الجزيرة ما روه عن اديرتها هناك
فمما ذكره ياقوت (في معجم البلدان ٢: ٦٤١ - ٧١٠) دير الابيض قرب الرها
وهو مشرف على حران . ودير أحويشا بسعرت (قال : فيه ٤٠٠ راهب) . ودير باثاوا
بقرب جزيرة ابن عمر . ودير باعربا بين الموصل والحديثة . ودير باغوث بين الموصل
وجزيرة ابن عمر . ودير باطابا بين الموصل وتكريت . ودير بالخيال (او مخائيل)
في اعلى الموصل . ودير الرصافة قرب الرقة . ودير الرمان بين الرقة والخابور .
ودير الزرنوق على فرسخين من جزيرة ابن عمر . ودير الزعفران (مر ذكره) . ودير
زكي على باب الرها . ودير صلوبا من قرى الموصل . ودير عبدون قرب جزيرة
ابن عمر . ودير العذارى من اعمال الرقة بين الموصل وبارجمي . ودير قنسري على
شاطئ الفرات في نواحي ديار مضر على اربعة فراسخ من منبج كان يسكنه ٣٧٠
راهباً . ودير الكلب بين الموصل وجزيرة ابن عمر كان الناس يلتجئون الى رهبانه اذا
أصيبوا بداء الكلب فيبرأون . ودير لبي على الفرات من منازل بني تغلب . ودير
مار سرجيس على الفرات . ودير متى بشرقى الموصل شهير . ودير مرتوما بيمافارقين .
ودير مرجيس فوق بلد بينها وبين جزيرة ابن عمر . ودير مرماعوث على شاطئ
الفرات . ودير مريوحنا الى جانب تكريت على دجلة . ودير منصور مُطل على
نهر الخابور . ودير يونس في جانب دجلة مقابل الموصل

غير ان النصرانية في الجزيرة منذ اولسط القرن الخامس تشوّهت باضاليل البدع
ولاسيما البدعة اليعقوبية التي انتشرت في تلك الجهات انتشار العدوى القاتلة ففصلتها
عن مركز الوحدة وواقعها في لجّة الضلال

قال يوحنا الافسي في تاريخه السرياني ان ما جرى بين قبائل العرب المنتصرة

من الجدال بسبب المجمع الخلقيدوني شئت شمل كثيرين منهم حتى اصبحوا خمس

عشرة فرقة. ومثله قال ميخائيل الكبير وابن العبري في تاريخهما الكنسي (١٠١) على انّ الكتبة اليعاقبة يلقون التبعة على الكاثوليك وكان الاخرى بهم ان يلقوها على سوء تصرفهم وعصيانهم على المجمع المسكوني وكان رهبان النساطرة واليعاقبة يتسابقون الى عرب البادية ليثبوا بينهم زؤان اضاليلهم. كأخودمه (٥٥١ - ٥٧٥) تلميذ يعقوب البردعي الذي اخبر عنه ابن العبري في تاريخه الكنسي (٢) « انه لما صار مفراناً على المشرق ذهب ليدعو الى النصرانية القبائل العربية الساكنة في الحميم وردّ منهم كثيرين وجعل عليهم كهنة ورهباناً وابتنى لهم ديرين يدعى الواحد دير عين قنّا والاخر دير جشان بقرب تكريت »

واشتهر بين اليعاقبة بعد ذلك « جرجس اسقف العرب » فان هذا كان من علماء عصره نقل الى السريانية عدّة تأليف لليونان منها كتاب الاورغانون لارسطو وألف التأليف العديدة في شرح الكتاب المقدس واسرار الكنيسة وغير ذلك وكان كرسيه في عاقولاء بين قبائل العرب. وميامره بالسريانية شهيرة. كانت وفاته سنة ٧٢٤ م وفي اخبار الاخطل وقومه وحروبهم مع زفر بن الحارث وقبائله القيسية شواهد لامة تبين انّ النصرانية بقيت بين عرب الفرات زمناً طويلاً بعد الاسلام في عهد بني امية

الباب التاسع النصرانية بين عرب شمالي سورية

انّ في شمالي سورياً مفاوز متسعة تمتدّ من نواحي دمشق الى تدمر شرقي جبل الشيخ ثم حمص وحماة وتبلغ الى جهات حلب وتتناول البوادي الفسيحة التي تنبسط في تلك الانحاء شرقاً حتى نهر الفرات. فهذه الصحاري الرخبة كانت ايضاً من قديم الزمان محطاً لقبائل العرب تجول في بسطتها دون ان يضايقها سكّان المدن وهناك تسرح

(١) اطلب كتاب العلامة نولدك في امراء غسان T. Noeldeke: *Die Ghassânischen*

Fürsten, p. 31-32

(٢) اطلب طبعة ابّولوس (Abbelos: *Greg. Barhebraei Chron. Ecclesiasticum*,

مواشيها وترعى ابلها في ايام الربيع فاذا اشتد عليها القَيْظُ تقربت من الارياض او جاورت ضفاف الفرات

فتلك البلاد الواسعة كانت في القرون السابقة للاسلام دياراً لقبائل عربية جليلة اخصها بنو كلب كانوا يسكنون منها القسم المتصل بالفرات شرقاً في البداء المعروفة بالسماوة. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ١٢٩): «اما كلب فساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة احد. ومن كلب بارض الفوطة عامر بن الحصين وابن رباب المعقلي»

وقال في موضع آخر عن قبائل الجهات التي نحن في صدها:

وان جُزئت جبل عاملة تريد قصد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسان من آل جفنة وغيرهم. فان تياسرت من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعت في ارض جهراء... ثم من ايسرهم تما يصل البحر تنوخ... ثم تقع في نصارى وغير ذلك الى حد الفرات الى بالس في برية خساف وهي من الدهناء ومنها مخرج الى تدمر ذات اليمين وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة

« وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه الى ناحية السماوة والفرات من المدن تلّ منس وحرص وزعرايا ومنبج. ومنبج بينهم وبين بني كلاب الى حد وادي بطنان »

لا شك ان كل هذه النواحي التي كان عرب البادية يقيمون فيها لم تحرم من الدعوة النصرانية ولو لم يكن لنا حجة لتأييد قولنا غير موقع ديارها لكفى به دليلاً لانها واقعة كما ترى بين فلسطين والشام وجهات انطاكية وحلب وانحاء الرها وكلها بلاد اصابته سهماً معلّى من الدعوة المسيحية لقربها من ينابيع الخلاص فلا غرو ان تكون جرت اليها منها جداول قبل بقية الاقطار بعد صعود الرب بزمن قليل

وفي هذه الأنحاء. بل في القرى أيضاً. تعددت في القرون النصرانية الأولى الكراسي الاسقفية ليس في المدن فقط بل في القرى أيضاً حتى الصغيرة (μικρονομία) كما يشهد على ذلك القديس باسيليوس في رسالته ١٩٠ الى امفيلوخوس^{١)} وورد في الآثار الكتابية او التواريخ القديمة أسماء عدة اساقفة كانوا يسوسون

الرعايا المتفرقة في المقاطعات التي نحن في صددنا وقد وقع كثيرون منهم على أعمال
المجامع النيقاوي والقسطنطيني والافنسي والحلقدوني
وقد اثبت حضرة الاب سبستيان رنزال في مقالته عن زينب (المشرق السنة
الاولى ص ٩٨٧ - ٩٩٠) ما كان للنصرانية من النفوذ في تدمير والبلاد المجاورة
لها في القرن الثالث للمسيح بفضل السلام السائد على تلك الانحاء . كما ظهر ذلك
النفوذ ايضاً في المجمع المنعقد سنة ٢٦٩ في انطاكية للحكم على بولس السيساطي
فحضره ثمانون اسقفًا وحرّموه

وقد صرح في ذلك القرن ديونيسيوس الاسكندري بنصرانية تلك الاصقاع
حيث كتب للبابا القديس اسطفانس (١) : « ان اقاليم سوريا كلها مع بلاد العرب التي
تمدّها بصدقاتك وبلاد ما بين النهرين تصادق على تعاليمك »

ويؤيد ذلك اخبار السياح الذين سكنوا في تلك الاقفار فاجتذبوا اليهم القبائل
المجاورة لهم كالقديس ملكوس او مالك الذي روى قصته العجيبة القديس
ايرونيوس (٢) وكالقديس اليان الواسع الشهرة في القريتين (المشرق ٩: ٦٥٨)
والقديس سمعان العمودي الذي مر ذكره وكان مقامه في شمالي سوريا في الجبل المنسوب
اليه . وقد افاد تاودوريطس (٣) في تاريخه ان الاسماعيليين اي العرب كانوا يتقاطرون
الى عموده وانه نصر منهم الوفا مؤلفة - Ismaelitarum millia innumera-
(bilia) وفي حياة القديس نونوس انه لما كان في بعلبك عمّد ثلاثين الفاً من العرب (٤)
ويضاف الى ما تقدّم ما وجدّه الاثريون في شمالي سوريا من الآثار النصرانية
العديدة كبقايا اديرة واخربة كنائس ونقوش نصرانية بديعة غنيت بها متاحف اوربا
وقد رأينا بعض تلك الابنية في سياحتنا الى بادية تدمر (في المشرق ٩: ٩٥٣)

ومن ذلك اثر فريد اكتشفه رحالة اوربي قبل ١٢ سنة في زبد ليس بعيداً عن
حلب فيه كتابة بثلاث لغات يونانية وسريانية وعربية تاريخه باليونانية سنة ٨٢٣
للاسكندر الموافقة لسنة ٥١٢ للمسيح . وهو اول اثر يُعرف بالقلم العربي كتب ١١٠

(١) راجع التاريخ الكنسي لاسابوس الكتاب السابع الفصل الخامس

(٢) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne P. L. XXIII, 55)

(٣) اعمال الآباء اليونان (Id., P. G. vol. 74 col. 1041)

(٤) فيها (Id., P. G. vol. 83 col. 668)

سنوات قبل الهجرة. وهذا الاثر نصراني محض نُقِر في حجر ليوضع على مشهد أُقيم هناك لتذكّار الشهيد القديس سرجيوس. وهذا يثبت ما قلناه سابقاً عن تعبد العرب لذلك الشهيد. واخبر ساويرس البطريك الدخيل وزعيم البدعة اليعقوبية ان عرب البادية كانوا اذا تنصّروا يطلبون المعمودية في كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة حيث قُتل شهيداً (روى ذلك في ميمره السابع والخمسين الذي قاله في ٧ تشرين الاول سنة ٥١٤ اعني سنتين بعد تاريخ الاثر المذكور) (١)

ومن الشواهد التاريخية المثبتة تنصّر العرب في شمالي سوريا ما رواه ميخائيل الكبير وابن العبري عن يوحنا اسقف افسس من كتبة القرن السادس انه لما حصل الانقسام بين الملكيين واعداء المجمع الخلقدوني تفرّق العرب النصارى وسكن منهم قسم في بادية تدمر في النبك والقريتين وحواريين. وبقي هؤلاء العرب على نصرانيتهم زمناً طويلاً بعد الفتح الاسلامي كما يشهد عليه ياقوت الحموي (٤: ٧٧) حيث قال عن القريتين في زمانه « ان اهلها كلهم نصارى »

ولنا في كتب العرب ما يزيل كل ريب عن القبائل المنتصرة في شمالي سورية وقد رأيت في ما نقلناه عن وصف الجزيرة للهمداني ان السهول الواقعة بين الشام وحلب والفرات كان معظم سكّانها من غسان وتغلب وتنوخ وعلى الاخص من بني كلب الذين تفرّدوا بسكنى السهولة الممتدة من الشام الى نواحي الموصل وكانوا يسكنون خصوصاً في جهات تدمر وسلمية حتى سُميت تلك الجهات بادية كلب. فهذه القبائل كلها كانت نصرانية فاماً غسان وتغلب وتنوخ فقد مرّت الشواهد على نصرانيتها فبقيت قبيلة بني كلب. ودونك الادلة على تدثّنها بالدين المسيحي

ان بني كلب بطن من قضاة وهي القبيلة اليمنية الاصل التي اجمع الكتبة على تنصّرها عموماً كابن قتيبة واليعقوبي والنويري وخصّوا بالذكر بعض بطونها كبني سليج وبني جرم. ثم ليس في كتب المؤرخين اشارة الى شرك كلب بل كثيراً ما يصرّحون بنصرانية اعيانهم كبجدل بن غنيف من سادتهم وهو ابو ميسون زوجة معاوية وكقرافصة الكلبي ابني نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفان وذكر في المقتضب لياقوت (ص ٣٦) وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة « ان



الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا
 هدايته وهدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا

الآثر المكتشف في زبد قريبا من حلب وفيه كتابة بثلاث لغات يونانية وسريانية وعربية تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح . والكتابة العربية طُبعت منفردة

بني كلب كلهم كانوا نصارى». وكذلك ذكر ابن خلدون في تاريخه (٢: ٢١٩) انهم دخلوا في دين النصرانية

ولما ظهر الاسلام كان بنو كندة وبنو كلب من جملة الذين لم ينكروا دينهم كما اخبر بذلك ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wüstenfeld, p. 282) وكذا روى ياقوت في المقتضب عن مدرك كلب اي اهل البادية فقال: «اسلمت كلب غير مدرها كانوا نصارى» وبقي الذين اسلموا منهم على عاداتهم النصرانية كما روى في كتاب البلدان لابن الفقيه (ص ٣١٥) فقال عنهم: «انهم مسلمون في اخلاق النصارى». واخبر ابن قتيبة في عيون الاخبار (ص ١٧٤) والجاحظ في البيان والتبيين (٢: ٦٢) ان بعض من اسلم منهم كانوا يضربون الناقوس ويترددون الى الكنيسة التي تعمدوا فيها

وكان من جملة امرائهم الذين يتولون تدبيرهم ابو كرب الذي عُرف بنصرانيته فنحنه يستنيانوس الملك تدبير قبائل السماوة كما روى المؤرخ پروكوبيوس (١) وربما دعا المؤرخون هذه القبائل المتنصرة بالمستعربة واليهم التجأ الروم عند ظهور الاسلام لمحاربة خالد بن الوليد. قال ابن البطريق في تاريخه عن هرقل انه «استجلب المستعربة من غسان وجذام وكلب ولخم وكل من قدر عليه من الاعراب وأمر عليهم قائداً من قواده يقال له ماهان» (٢)

فترى من هذه النصوص ان كتبة العرب ايضاً يوافقون اليونان والسرانيان في نسبة النصرانية الى القبائل المتفرقة في شمالي سورية

ونختم هذا الفصل بأثر جميل وجد في بعض مخطوطات لندن السريانية التي وصفها العلامة ريت في قائمة المتحف البريطاني تحت العدد ٧٥٤ وهو مجموع رسائل قديمة راقية الى اواخر القرن السادس للمسيح. من جملتها رسالة مضمونها دستور الايمان كتبها رؤساء اديرة اقليم البلاد العربية (قَمْعٌ وَمَتْلٌ وَأَوْحَلٌ) ووجهوها الى يعقوب البرادعي ليردلوها فيها بدعة يحيى النحوي في تثليث الجوهر الالهي (Trithéisme) وذلك بين السنتين ٥٧٠ و٥٧٨ وهذه الرسالة قد نشرها المنسيور

(١) اطلب (Procopé, de B. P., I, 19)

(٢) اطلب الصفحة ١٦ من الجزء الثاني من طبعتنا

لامي (M^{re} Lamy) رئيس كلية لوفان في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٨ (ص ١١٨-١٣٨) وهي موقعة بامضاء ١٣٧ رئيساً على ١٣٧ ديراً موقعها كلها في اقليم العربية الممتد شرقي بلاد الشام الى جهات الفرات (١٠). فناهيك بهذا العدد العديد شاهد جليلاً على انتشار النصرانية بين عرب الشام وسورية. على ان هؤلاء العرب كانوا جنحوا الى البدعة اليعقوبية كما ترى. وايد ذلك ابن العبري في تاريخه الكنسي حيث قال (ج ١ ص ٢١٧) : « ان كل قبائل العرب التي كانت في البادية (يريد بادية الشام والفرات) كانوا معارضين للجمع الخلقيدوني ولا يرضون بمشاركة الخلقيدونيين ». فهذا القول مع ما فيه من المبالغة لا يخلو من الصحة. وعلى كل حال يثبت قولنا في شمول النصرانية لعرب بلاد الشام والفرات الى حدود العراق

والمستشرقون في عهدنا يرتأون هذا الرأي. قال الهولندي دوزي (B. Dozy) في مقدمات كتابه عن الاسلام. (الترجمة الفرنسية لشوفان V. Chauvin, p. 13) « كان عرب سورية يدينون بالنصرانية » (Les Arabes de Syrie professaient le Christianisme) ويشاركه في هذا الرأي غيره من العلماء كنولدك وغولدتسير (J. Goldziher) ولورمان (Lenormand) بل كل من اهتم بعض الامم بتاريخ العرب في الجاهلية

الباب العاشر

النصرانية في الحجاز ونجد

تتبعنا كما رأيت آثار النصرانية في اطراف بلاد العرب على كل جوانبها فلم يبق علينا الا ذكر اواسطها لنرى ما كان للدين المسيحي من التأثير في القبائل الساكنة في الحجاز ونجد وبذلك تتم الاجاثنا عن تاريخ النصرانية في كل انحاء جزيرة العرب

الحجاز على مقتضى تعريف العرب جبل ممتد من تخوم صنعاء في اليمن الى

(١) اطلب مقالة العلامة نولدك في بحثه الجغرافي عن مواقع هذه الاديرة في المجلة الاسيوية

الالمانية (ZDMG, XXIX, 441-449)

تقوم الشام من جنوب جزيرة العرب الشرقي الى شمالها الغربي وقد دُعي حجازاً لانه
يحجز غور تهامة على سواحل خليج العرب عن بلاد نجد في اواسط الجزيرة . ويدعى
الحجاز ايضاً بجبل السَّراة وهو اعظم جبال العرب وفيه اشهر مدنها اي مكة والمدينة
وتدخل فيه دومة الجندل حتى آيلة على بحر القلزم التي نعتها ياقوت بأخر بلاد الحجاز
فتلك البلاد كانت قديماً عريقة في الوثنية ولاسيما في عبادة قوَّات الطبيعة
واخصها النيران العظيمان الشمس والقمر ثم الزهرة . على ان دُعاة الدين المسيحي لم
يجمعوا عن دعوة اهلها الى النصرانية كما تشهد عليه شواهد ثابتة نقلها قدماء
الكتابة من يونان وسريان وعرب . وقد اثبتنا سابقاً شهادة ابن خلدون (ج ٢ ص ١٥٠
من تاريخه) في بعثة الرسول برتلماس « الى ارض العرب والحجاز » . وسبقه الى مثل
ذلك الطبري في تاريخه (طبعة ليدن ج ١ ص ٧٣٨) حيث قال : « وكان ممن توجه
من الحواريين . . . ابن تلم (اي برتلماس) الى العربية وهي ارض الحجاز »
وكذلك ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ١٧٢ ، ed. Wüstenfeld) :
« وبعث من الحواريين . . . ابن تلم الى الاعرابية وهي ارض الحجاز » . وجاء في ترجمة
القديس يعقوب اسقف اورشليم (ص ١٧) انه « نصر ارض فلسطين وما يليها من
ناحية حمص وقيسارية والسامرة وبادية الحجاز »

ثم في تاريخ الطبري قصة ظريفة عن رسول السيد المسيح الى العرب نزويها بحرفها
دون القطع بصحتها قال (١ : ٧٣٨ - ٧٣٩) :

حدثنا ابن حميد . . . عن ابي سليم الانصاري ثم الزرقي قال : كان على امرأة مناً نذر
لتظهن على رأس الجماء جبل بالعقيق من ناحية المدينة (قال) فظهرت معها حتى اذا استوينا على
رأس الجبل اذا قبر عظيم عليه حجران عظيمان حجر عند رأسه وحجر عند رجله فيهما كتاب
بالمسند لا ادري ما هو . فاحتملت الحجرين معي حتى اذا كنت ببعض الجبل منهطاً ثقل عليّ
فألقيت احدهما وهبطت بالآخر فمرضته على اهل السريانية هل يعرفون كتابته فلم يعرفوه .
وعرضته على من يكتب بالزبور (اي العبرانية) من اهل اليمن ومن يكتب بالمسند فلم
يعرفوه . فلما لم اجد احداً ممن يعرفه القيته تحت تابوت لنا فكث سنين . ثم دخل علينا
ناس من اهل ماه من الفرس يبتغون (ويروي : يبيعون) الخرز فقلت لهم : هل لكم من كتاب .
فقالوا : نعم . فاخرجت اليهم الحجر فاذا هم يقرأونه فاذا هم بكتابتهم : « هذا قبر رسول الله
عيسى بن مريم عليه السلام الى اهل هذه البلاد » . فاذا هم كانوا اهلها في ذلك الزمان مات عندهم
فدفنوه على رأس الجبل

فهذه شهادة جلية تشير الى محيى احد رسل السيد المسيح الى الحجاز قريباً من

المدينة. ومن عجيب امر كاتبها انه يعتبر كالنصارى « عيسى بن مريم » الها اذ قرينة الكتابة تبين ان الرسول المذكور ليس هو عيسى بل هو مرسل من « الله عيسى »

﴿ ايلة ﴾ كما مر في طرف الحجاز من جهة الغرب كان اهلها قبل الاسلام نصارى ويهوداً. ولا يبعد ان النصرانية دخلت فيها بعد المسيح بزمان قليل لقربها من بلاد الشام وفلسطين. وما لا يُنكر ان صاحبها كان نصرانياً لما ظهر رسول العرب واسمه يوحنا بن رؤبة صالحه نبي الاسلام على جزيرة كانت تبلغ ٣٠٠ دينار. وفي كتاب وفادات العرب على محمد لابن سعد (éd. Wellhausen, *Skizze*. IV, ٢٧) ما حرقه :

«قال وقدم يحنه بن رؤبة على النبي وكان ملك ايلة . . . واقبل ومعه اهل جرباء واذرح . فاتوه فصالحهم وقطع عليهم جزيرة معلومة . . . اخبر عبد الرحمن بن جابر عن ابيه قال : رأيت على يحنه بن رؤبة يوم أتى النبي صلياً من ذهب وهو معقود الناصية فلما رأى رسول الله كفر وأوماً برأسه فاوماً اليه النبي أن ارفع رأسك . وصالحه يومئذ وكساه رسول الله برد ينة . . »

وجاء في كتاب التنبيه والاشراق للمسعودي (طبعة ليدن ص ٢٧٣) ان « يحنه بن رؤبة كان اسقف ايلة وانه قدم على محمد سنة ٩ للهجرة وهو في تبوك فصالحه على ان لكل حالم بها ديناراً في السنة »

﴿ دومة الجندل ﴾ حصن كان بين المدينة ودمشق على سبع مراحل من دمشق وقيل على خمس ليال ويبعد عن المدينة ١٥ ليلة وقيل ١٣ كان مبنياً بالجندل اي الصخر وكان حوله مدينة واسعة يحيط بها سور. وكان صاحب دومة الجندل أكيدر الملك ابن عبد الملك السكوني . وكانت دومة الجندل عند ظهور نبي الاسلام كلها نصرانية عليها اسقف تابع لمدينة دمشق كما ورد في كتاب « مدينة الله انطاكية » من مخطوطات مكتبتنا الشرقية . وكان ملكها أكيدر نصرانياً فبعث اليه محمد رسول الاسلام خالد بن الوليد في ربيع الاول من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦ م) فاسره

والعرب يذكرون عدة غزوات لدومة الجندل عند ظهور الاسلام . قال في تاريخ الخميس (١١:٢) « ان دومة كان عليها قبل الاكيدر المسمى اصبع بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً وان عبد الرحمان بن عوف غزا دومة الجندل ففتحها وتزوج

ابنة الاصبع قماضر». وكان الروم عادوا فملكوها قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراق (ص ٦٤٨) يذكر غزوة غزاها رسول الاسلام لدومة:

وفيه (اي السنة الخامسة للهجرة) كانت غزوة دومة الجندل وهي اول غزوة النبي للروم وكان صاحبها اي دومة اكيدر بن عبد الملك الكندي يدين بالنصرانية وهو في طاعة هرقل ملك الروم وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم (قال) فبلغ اكيدراً سيره فهرب وتفرق اهل دومة وصار اليها فلم يجد بها احداً فاقام اياماً وعاد الى المدينة. ثم بعث اليه خالداً السنة التاسعة للهجرة فاخذه اسيراً وفتح الله عليه دومة.

وقال ابن سعد في كتاب وفادات العرب (ص ٢٧) بعد ذكره لمحنة بن روبة صاحب آية: «قال ورأيت اكيدر حين قدم به خالد وعليه صليب من ذهب وعليه الديباج ظاهراً». وفي معجم البلدان لياقوت (٢: ٦٢٦) ان خالداً حاربته السنة تسع للهجرة وافتتح دومة الجندل عنوة وقتل اخاه حسان. قال: «ثم ان النبي صالح اكيدر على دومة وامنه وقرر عليه وعلى اهله الجزية وكان نصرانياً...». وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٦١-٦٣) انه اسلم ثم ارتد بعد وفاة محمد فاجلاه عمر من دومة الجندل فيمن اجلى من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة فقتل في موضع منها قرب عين التمر وبني به منازل سماها دومة باسم حصنه فغزاها خالد سنة ١٢ للهجرة وقتل اكيدر

اما اهل دومة الجندل فكانوا من بني السكون وهم فرع من بني كندة وكانوا نصارى كما ورد في سيرة الرسول لابن هشام. وكذلك كان يسكن دومة الجندل قوم من بني كلب الذين سبق بيان نصرانيتهم (١)

﴿ وادي القرى ﴾ هو واد بين الشام والمدينة يُعدّ من الحجاز ومنه كانت دومة الجندل ودُعي هذا الوادي بوادي القرى لكثرة القرى الواقعة فيه لوفرة مياهه وخصبه منها الحُجر وكان اليهود يسكنون هذا الوادي اولاً ثم نزلته قضاة وهي من اثبت القبائل في النصرانية ومنهم بنو سليح الذين ذكر المؤرخون تنصرهم في الشام (٢) وفي وادي القرى كان يسكن قوم من الرهبان ذكروهم شعراء العرب قال جعفر بن سراقه (الاغاني ٧: ١٦١):

(١) اطلب تاريخ العرب في الجاهلية لكوسان دي برسغال: (Caussin de Perceval

Eesai sur l'Hist. des Arabes, I, 214; II, 232, 265)

(٢) في التاريخ المذكور (Id. I, 212, 231)

ونحن منعنا ذا القرى من عدوتنا وعذرة اذ نلقى يهوداً وبعثنا
منعناه من علينا معداً واتم سفايف روح بين فرح وخيبر
فريقان رهبان باسفل ذي القرى وبالشام عرافون فيمن تنصرا

﴿ تيماء ﴾ هي بلدة في الحجاز بين الشام ووادي القرى وفيها كان الابق
حصن السموءل. والشائع ان السموءل كان يهودياً الا أننا لما طبعنا لأول مرة ديوانه
اتينا في المقدمة ببعض الشواهد المثبتة نصرانيته (١) كاطله الغساني وكذكره في شعره
لبعض تلامذة المسيح بل تصرّح باسم السيد المسيح في قصيدة لامية وجدت في
الموصل حيث يقول

وفي آخر الازمان جاء مسيحننا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل

ولعل الصواب انه كان من احدى الشيع اليهودية المنتصرة (Judéo-chrétien).

وقد ذكر العرب ان قوماً من نصارى طي كانوا ايضاً يسكنون تيماء (٢)

﴿ تبوك ﴾ مكان حصين بين وادي القرى والشام على اربع مراحل من
الحجر كان به عين ونخل. ملكه المسلمون سنة ٩ للهجرة بعد ان حاربوا فيه الروم
ومعهم نصارى العرب من عاملة ولخم وجذام. وكان اهل تبوك من نصارى قضاة
قال ابن خلدون نقلاً عن ابن سعيد (٢: ٢٤٩): « وكان لقضاة ملك آخر في كلب
ابن وبرة بن تغلب يتداولونه مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل
وتبوك ودخلوا في دين النصرانية ». ثم ذكر مهاجرة كلب بعد الاسلام فقال :
« وبقيت بنو كلب في خلق عظيم على خليج القسطنطينية منهم مسلمون ومنهم
متنصرون »

﴿ معان ﴾ قال ياقوت (٤: ٥٧١): « هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء
الحجاز من نواحي البلقاء » وكان اهلها نصارى تحت حكم الروم والمالك عليها عند ظهور
الاسلام فروة بن ابي عامر شيخ بني جذام النصارى. وبقرب معان عند مؤتة التي
دعاها تاوفانوس المؤرخ (Théophane, I. 515. éd. Bonn) باسم (Moθous)
حدثت وقعة سنة ٨ للهجرة بين جيوش المسلمين تحت امرة زيد بن حارثة وجعفر
ابن ابي طالب وعبدالله بن رواحة و (بين) جيوش الروم تحت قيادة تاودورس

(١) راجع المشرق السنة ١٢ (١٩٠٩ ص ١٦٣)

(٢) اطلب ايضاً Arnold Mulheisen: Islam: History and relations to Chris-

tianity, p. 34)

المعروف بالنائب وقد روى مؤرخو العرب أنَّ عدد الروم كان مئة ألف ومعهم من عرب النصارى مئة ألف آخرون (١) فكان الانتصار للروم وهُزم المسلمون وقُتل قادتهم. لكنَّهم عادوا بعد ذلك بسنة فغلبوا الروم وفتحوا معان واستولوا على جهات البلقاء وقيل أنَّ فروة صاحب معان اسلم

✽ المدينة ✽ كان اسمها في الجاهلية يثرب دُعيت بذلك على ما قيل باسم بانيها احد ابناء آرام وفي تقاليد العرب أنَّ أول من سكنها العمالة ثم هاجر إليها اليهود في ازمة مختلفة قبل المسيح على عهد موسى ويشوع بن نون وداود ثم في زمن خراب اورشليم وهيكلها على يد الاشوريين ثم بعد المسيح عند فتح الرومان للقدس الشريف فخرج منهم الى يثرب بنو قريظة والنضير وبَهدل ونزلوا واديين اسمهما بطحان ومهزور (٢) وبنوا هناك الاطام اي المنازل المحصنة

وكانت ديانة هذه القبائل اليهودية كما هو بديهي. غير انهم اختلطوا بقبائل أخرى عربية كان البعض يسكن في جوار يثرب والبعض الآخر هاجر إليها من اليمن بعد تفرق اهل سوا كان بسبب سيل العرم كما روى العرب او لعل أخرى وما لا سبيل الى انكاره أنَّ النصرانية دخلت يثرب بعد السيد المسيح بقبائل كما رأيت في ما نقلناه عن دعوة الرُّسل في الحجاز ووجود قبر واحد منهم في جبل العقيق من ناحية المدينة على ما نقله الطبري (ص ١٠٧)

وليس من المستبعد أنَّ بين القبائل اليهودية المهاجرة من اورشليم قوم عرفوا النصرانية ودانوا بها ولاسيا اولئك المنتصرين الذين سبق خروجهم فتح حاضرة بلادهم فالتجأوا الى المدن الواقعة ما وراء الاردن. فانهم اذ رأوا ما حلَّ بالمدينة المقدسة من الدمار توغلوا في بلاد العرب وسكنوا في جهاتها الداخلية والظاهر أنَّ بعض تلك البدع المعروفة بالبدع اليهودية النصرانية (sectes)

(١) هكذا روى العرب ومثلهم روى السريان كالباس النصيبني اطلب تاريخ البعقوبي (٦٦:٢) ومعجم البلدان لياقوت (٦٨٨:٤ و ٥٧١) ثم de Goeje: Mémoires d'Hist. et de Géogr. Orientales, 2 éd., 1900, p. 6-9

(٢) راجع كتاب الاغاني (٩٥:١٩) وروايات الاغاني (٢:١-٥) راجع أيضاً مجلة الدروس اليهودية (10) Revue des Etudes Juives VII, 167 et X,

(judéo-chrétiennes) شاعت خصوصاً في نواحي العرب كشيعة الناصريين (Nazaréens) والابيونيين (Ebionites) والكسائيين (Elkesaites) وقد ذكرهم الكتبة الكنسيون في القرون الاولى كالوسابيوس المورخ (١) واوريجانوس المعلم (٢) ويوستينوس الشهيد (٣) والقديس ابيفانيوس (٤) في تاريخ الهرطقات والقديس هيرونيموس في كتاب الاعلام (٥) وتاودوريطس (٦) وصاحب الفلسفات (٧) وذكروا علاقاتهم مع المسيحيين .

واستشهدوا بما كان لديهم من الآثار النصرانية . وقد وجد الاثريون في زماننا بعض تلك الآثار المكتوبة بالحرف السرياني الفلسطيني ونشروها بينها فصول انجيلية وطقوس ورُتب بيعية

وبعض هذه البدع التي انتشرت في جهات العرب بالغ اصحابها في اضاليلهم فنبذ النصارى مزاعمهم وقبحوها كالقطاريين (Collyridiens) الذين كانوا يبالغون في عبادة مريم العذراء فيقدمون لها نوعاً من القرابين اخصها اقراص العجين والقطائر وقد ذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب الهرطقات (٨) ولعل هؤلاء المبتدعين هم الذين دعاهم ابن بطريق (٩) بالمرمية والبربرانية فافادنا انهم كانوا يقولون « ان المسيح وامه الهان من دون الله » . وقد وصفهم بذلك ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ودعاهم بالمرمانيين او المريمانيين . وعلى هذا البناء شرح مفسرو القرآن قوله : في سورة المائدة « اتخذوني وامى الهين » وقالوا في شرح قوله في سورة النساء « ولا تقولوا

(١) اطلب تاريخه (Eusèbe, H. E., IV, 17 et 22)

(٢) اطلب رده على قلسوس (Origenes c. Celsum, II, 3 et Hom. III, in Gen. n° 5)

(٣) اطلب مذاكراته (Justini Dialog., c. IV, LXIII et LXXX)

(٤) كتاب الهرطقات (Epiphan., Hæres. XXIX, 7, 9, 15, et XXX, 15-19)

(٥) اطلب (Hieron : De situ et nominibus, Migne, XXIII, p. 888)

(٦) كتابه في خرافات الامم (Theodoret, fabul. I, et II, 18)

(٧) اطلب (Philosophoumena, VII, 12, IX, 13, X, 17 et 29)

(٨) اطلب (Epiphan., Hæres. 10)

(٩) راجع طبعنا (١٢٦)

ثلاثة ، اي لا تقولوا الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم (كذا ورد في شرح البيضوي والزمخشري وغيرهما)

وقام غيرهم في انحاء العرب وتطرفوا على عكس ذلك فانكروا على العذراء مريم دواها في البتوآية فسمّوهم لذلك بالمعادين لمريم (Antidicomarianites) وذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب البدع (١)

وروى القديس ايلاريوس في رسالته الى قسطنطين الملك (٢) انّ فرعاً من اشياع اريوس ظهروا في جهات العرب وهو يدعوهم اقاقيين باسم اقاقيوس زعيمهم كانوا يذهبون الى ان السيد المسيح ليس هو ابن الله لزعيمهم انّ من قال ذلك جعل الله زوجة فخلطوا بين الولادة الجسدية والولادة الالهية الروحية الازليّة المثبتة في الكتب المنزلّة

وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في احدى المقالات المنشورة في المشرق (٦٠:٦) بدعة أخرى وجد منها بقايا في العراق تُعرف بالداوذة او الداوديين يعظم اصحابها داود النبي ويكرمون السيد المسيح لكنّهم يجعلونه دون رتبة داود فكلّ هذه البدع وغيرها التي شاعت خصوصاً بين القبائل اليهودية المنتصرة الساكنة في حدود الشام والحجاز شوّهت المعتقدات النصرانية الصحيحة في تلك البلاد وبقي الامر على ذلك حتى قدمت الى يثرب بطون من عرب اليمن كبني الحرث ابن بهثة وبني شطيّة من غسان ولاسيما بني الاوس والخزرج من الازد الذين لحقوا بها بعد سيل العرم . لكنّهم اقاموا فيها كما روى صاحب الاغاني (٩٥:١٩) في جهد وضيق المعاش يرتزقون من الزراعة وكانت الاموال لليهود حتى قام بينهم في اواسط القرن السادس للمسيح احد شيوخهم وهو مالك بن عجلان فأوفد الى ملك في الشام من ملوك غسان يدعى ابا جبيّة فاستنجده على يهود يثرب فأُنجده ووقعوا باشراف اليهود حتى ذلّوا وصار الامر الى الاوس والخزرج منذ ذاك الحين الى ظهور الاسلام ومنهم كان الانصار . وقد وقعت بين الاوس والخزرج حروب رواها صاحب الاغاني (٢: ١٦٧ - ١٧٠) لا حاجة الى ذكرها

(١) اطلب (Epiph., Hæres. 78)

(٢) اطلب مجموعة مين (Migne, PP. LL., X)

امّا دين الاوس والخزرج وبقية القبائل غير اليهودية التي كانت في يثرب وجهاتها فيظهر انه كان في اول امرها الشرك وانها كانت تعبد المناة كما روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٤٣٤ من طبعة لندن) لكنها عدلت بعد ذلك الى النصرانية . ولنا على الامر ادلة نزيها هنا عن مصادر موثوق بها قد رأيت في اول هذا الباب ان دعاة الدين المسيحي دخلوا بلاد الحجاز منذ قرون النصرانية الاولى بل روى اول مؤرخي الاسلام ابو جرير الطبري تقليداً عن اهل المدينة ذكروا فيه وجود قبر لاحد رسل السيد المسيح في جبل العقيق المجاور لبلدهم (راجع ص ١٠٧)

ومن الادلة على نصرانية عرب المدينة ان الاوس والخزرج ينتسبون الى الحارث ابن ثعلبة فيرتقي نسبهم الى بني غسان . ونصرانية غسان ثابتة لا يشك فيها الا من كابر الحق كما رأيت . افليس من الصواب ان يقال ان الاوس والخزرج دانوا بديانة غسان . وزد على ذلك ان ابا جنيمة الغساني ملك الشام المعروف بنصرانيته ما كان لينصر الاوس والخزرج على يهود المدينة كما مرّ بك لولا علمه انهم يدينون بدينه ولنا على ذلك برهان آخر اقرب وادل وهو الاسم المطلق على اهل مدينة يثرب الذين كانوا يدعون باهل الكتاب . قال الشهرستاني في الملل والنحل (ص ١٦٢ من طبعة لندن) : « الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاميون والامي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة » فينتج عن قوله هذا ان اهل المدينة كانوا منقسمين قسمين قسم يهودي كقريظة والنضير وقسم نصراني وهم عرب الاوس والخزرج وقضاة الذين كانوا يسكنون المدينة بل ربما غلب اسم اهل الكتاب على النصارى كما افاد القسطلاني . ويؤيد ذلك ان احد زعماء الاوس يوم مهاجرة محمد الى المدينة كان يدعى « ابا عامر الراهب » وفي اسمه دليل على دينه . فهذا حارب محمداً وانصاره في أحد ثم خرج مع آله الى ثقيف وهو الذي سماه رسول الاسلام بالفاسق (١)

وجاء في التقويم القديم للكنيسة الكلدانية الذي نشره الخوري بطرس عزيز

(١) راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٥٦١-٥٦٢ ثم (Sprenger : *Leben d. Mo--*

سنة ١٩٠٩ (ص ٨) ان النساطرة « اقاموا مطروبوليطاً في يثرب وأنه كان فيها ثلاث كنائس على اسم ابراهيم الخليل وآيوب الصديق وموسى الكليم » وهي رواية وجدناها في تقويم آخر مخطوط لاهل الموصل والله اعلم بصحتها

على ان وجود النصارى في المدينة قبل الاسلام وفي اوائل ظهوره لمن الامور التي لا يمكن نكرانها. لان النصارى كانوا بلغوا اقاصي تخوم العرب فما قولك بالبلاد المجاورة لممالك الروم. وهذا ما اقر به المستشرقون في كتبهم الحديثة . قال احد ائمتهم العلامة قُلهاوزن (١): « ان محمداً وجد الطريق ممهدة في المدينة بواسطة اليهودية والنصرانية لان هناك كان يهود كثيرون ثم لوقوع المدينة على حدود الرومان واليونان وتحت نفوذ النصارى الاراميين . » ومثله قال هرتويغ درنبورغ الموسوي من اساتذة اللغات الشرقية في باريس المتوفي سنة ١٩١٠: « كان للنصرانية تبعه متعددون في جزيرة العرب فكانت مالكة على شمالها بدولتي الحيرة وغسان وعلى وسطها في المدينة وعلى جنوبها باسقفيات اليمن (٢) »

وبقي النصارى في يثرب حتى بعد وفاة نبي الاسلام كما يدل عليه قول حسان ابن ثابت في دليته التي رثى بها محمداً (طبعة ليدن Hirschfeld, p. 59):

فرحت نصارى يثرب وجودها لما توارى في الضريح المُنحَد

ولعل النصارى واليهود بقوا في المدينة الى عهد عمر بن الخطاب الذي اخرج الفريقين من جزيرة العرب استناداً الى ما روي في الحديث: « لاخرجن النصارى واليهود من جزيرة العرب »

ولما اراد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) ان يجدد عمارة المسجد

(١) هذا قوله بالحرف في كتابه عن ملك العرب WELLHAUSEN: *Das arabische Reich und sein Sturz* (p, 4): « In Medina war der Boden für Mohammad vorbereitet durch das Judentum und Christentum ; es gab dort viele Juden und die Stadt lag an der Grenze desjenigen Teils von Arabien, der unter griechisch-romischem und christlich-aramaischem Einfluss stand. »

(٢) ودونك قوله: H. DERENBOURG: *Opuscles d'un Arabisant* (p. 16): « Le Christianisme comptait en Arabie de nombreux adhérents ; il dominait le Nord par les rois de Hira et de Ghassan, le Centre par Médine, le Sud par les évêchés du Yémen »

الكبير المعروف بمسجد النبي في المدينة كان بُناته من نصارى الروم والقبط كما روى المؤرخون. واخبر الطبري (١١٧: ٢) « انَّ ملك الروم بعث إليه بمائة عامل ومائة الف مثقال ذهب واربعين حملاً من الفسيفساء فبنوا المسجد وجعلوا طوله مائتي ذراع في مثلها ». وقيل انَّ بعض المدنيين لم يستحسنوا العمل اذ رأوه شيئاً بكنيسة

﴿ مَكَّة ﴾ كما عرفت النصرانية في يثرب في عهد الجاهلية كذلك نالت مَكَّة نصيباً من ذلك الدين. وها نحن ننقل ما رواه قدماء الكتبة اثباتاً لهذا الرأي قدّمنا في أوّل هذا الفصل ما اثبتته المؤرخون اليونان والسريان والعرب عن الدعوة النصرانية في الحجاز اجمالاً. ومَكَّة في الحجاز بل حاضرة الحجاز فبديهي ان يقال انَّ الدين المسيحي دخل ايضاً مَكَّة كسواها من الجهات الحجازية. وان قيل انَّ مَكَّة واقعة في اقاصي الحجاز اجبنا انَّ كلام الكتبة يشمل كل جهات العرب حتّى اقصاها. قال تاودوريطوس المؤرخ الكنسي (١) في القرن الخامس للمسيح عن القيصر فالنس انَّهُ لما اضطهد الكاثوليك فرّقهم في كل البلاد حتى نفى منهم كثيرين في اقاصي تحوم العرب (per ultimos fines Arabiæ)

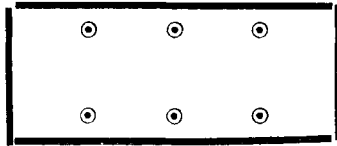
واقدم ما رواه كتبة العرب صريحاً عن النصرانية في مَكَّة ما ورد في اثناء تاريخ جهم الثانية قالوا انَّ جهم استولوا بعد بني اسماعيل على الحجاز وصارت اليهم سدانة بيت الحرم في مَكَّة ومفاتيح الكعبة. امّا زمن دولة بني جهم فلم يتفق الكتبة في تعريفه والعلماء الاوربيون مجمعون على انَّ جهم الثانية قامت قبل تاريخ الميلاد بقليل. ومن عجيب ما رواه مؤرخو العرب كابن الاثير وابن خلدون وابي الفداء (٢) وغيرهم انَّ سادس ملوك جهم يُدعى باسم نصراني وهو عبد المسيح بن باقية بن جهم. فمنهُ يتعيّن انَّ النصرانية دخلت مَكَّة قبل بني الازد وتغلّب بني خزاعة اعني بعد موت السيد المسيح بزمن قليل. وهذا يوافق نصوص الكتبة المروية سابقاً عن تبشير رسل المسيح في الحجاز.

(١) راجع تاريخه في اعمال آباء اليونان (Théodoret, H. E. l. IV, c. 15 ; Migne P. G., t. 82 col. 1158)

(٢) اطلب تاريخ عرب الجاهلية لكوسان دي برسفال (C. de Perceval: Essai sur l'Hist. des Arabes avant l'Islamisme I, 199)

وفي كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (١٠٩: ١٣) ان بيت الحرام كان له في عهد بني جرهم « خزانة وهي بئر في بطنه يُلقى فيه الحلى والمتاع الذي يهدى له وهو يومئذٍ لاسقف عليه ». فقوله « اسقف » يريد به حبر النصراني المعروف . وهو اثبات لما روى مؤرخو العرب عن نصرانية الملك الجرهمي عبد المسيح بن باقية ولنا في كتب العرب دليل اعظم يثبت انتشار النصرانية في مكة قبل الاسلام وذلك في اقدم تواريخ مكة الذي عنوانه « كتاب اخبار مكة شرّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار تأليف ابن الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقى » المطبوع في ليبسيك (éd. Wüstenfeld. 110 – 112) انه كانت في دعائم الكعبة « صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة وصورة ابراهيم خليل الرحمان وصورة عيسى ابن مريم » ثم قال ما حرفه (ص ١١١) :

« فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله صلعم البيت فارسل الفضل بن العباس ابن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم امر بثوب فبلّ بالماء وامر بطمس تلك الصور فطمست . قال ووضع كفّيه على صورة عيسى بن مريم وآمه عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور الا ما تحت يدي فرفع يديه عن عيسى بن مريم وآمه . . . وحدثني جدي قال حدثنا داود بن عبد الرحمان عن ابن جريج قال : سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن ابي رباح وانا اسمع : أدركت في البيت تمثال مريم وعيسى ؟ قال : نعم ادركت فيها (كذا) تمثال (ص ١١٢) مريم مزوّفاً في حجرها عيسى ابنها قاعداً . مزوّفاً . وكانت في البيت اعمدة ستّ سوارى وصفها كما نُقطت في هذا الترييع



قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب : قال ابن جريج فقلت لعطاء : متى هلك ؟ قال : في الحريق في عصر ابن الزبير . . . قال ابن جريج : ثم عاودتُ عطاء بعد حين فخطّ لي ستّ سوارى كما خططتُ ثم قال : تمثال عيسى وآمه عليهما السلام في الوسطى من اللاتي تليّن الباب الذي يلينا اذا دخلنا . . . (ص ١١٣) . اخبرني محمد ابن يحيى عن الثقة عنده عن ابن اسحاق عن حكيم بن عباد بن حنيف وغيره من اهل العلم ان قريشاً كانت قد جعلت في الكعبة صوراً فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام . قال ابن شهاب قالت اسماء بنت شقر : ان امرأة من غسان حجّت في حاج العرب فلما رأت صورة مريم في الكعبة قالت : يا بني انت وامي انك لعربية . فامر رسول الله صلعم ان يحوا تلك الصور الا ما كان من صورة عيسى ومريم »

وما رواه هنا الازرقى ذكره كُتُبة آخرون كالهروي والبيهقي وابن العربي . وفيه شاهد جليل على تنصُّر قسم من قريش في مكة . ويؤيد ذلك احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخه (طبعة ليدن ١ : ٢٩٨) حيث قال : « اَمَّا مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَقَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي اسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى مِنْهُمْ عُمَانُ بْنُ الْحَوِيثِ بْنِ اسَدٍ وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بْنِ اسَدٍ »

ولذلك ترى الشعراء النصارى في الجاهلية لم يأنفوا اذا حلفوا ان يجمعوا بين الصليب والكعبة قال عدي بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٤) :
سعى الأعداء لا يألون شراً عليك وربَّ مكة والصليب

وقال الاعشى :

حلفت بثوبي رهب الدبر والتي بناها قُصَيُّ والمضاضُ بن جرهم

ولعلَّ ذلك ايضاً ما حمل نصارى العرب على ان يعظِّموا الكعبة في الجاهلية لما كانوا يرون فيها من الآثار النصرانية فضلاً عن ذكر ابراهيم الخليل الذي كان يُكْرَمُ هناك مع ابنه اسماعيل حيث جعل التقليد العربي ظهور ملاك الربِّ لأمِّه هاجر (تكوين ٢١ : ١٧) في هذا المكان . قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٦٢٢) « وايست أمة في الارض ألا وهم يعظمون البيت . . . وانه من بناء ابراهيم حتى اليهود والنصارى »

ومما يدلُّ على آثار النصرانية في مكة او قربها المكان المعروف بموقف النصراني ذكره في تاج العروس . وكذلك مقبرة النصارى . قال الازرقى في اخبار مكة (ص ٥٠١) : « مقبرة النصارى دُبر المقلع على طريق بئر عنيسة بذي طوى » والمقلع « الجبل الذي باسفل مكة على عین الخارج الى المدينة » . ونظنَّ انَّ « مسجد مريم » الذي ذكره المقدسي في جغرافيته (ص ٧٧) بجوار مكة دعوى باسم مريم العذراء ، لأثر ديني كان هناك في عهد الجاهلية

ومما يثبت نفوذ النصرانية في مكة على عهد الجاهلية نهضة الحنيفية هناك فإنَّ العلماء الذين درسوا تعاليم تلك الشيعة وما بقي من اخبار اصحابها في تواريخ العرب كسپرنغر (Sprenger) (١) وولهُوزن (Wellhausen) (٢) وكوسان دي پرسثال

(١) اطاب كتابه (Sprenger : Das Leben u. d. Lehre des Mohammad)

(٢) اطلب (Wellhausen : Skizze u. Vorarbeiten, III, 87 seq.)

(C. de Perceval) (١) وغيرهم فكانت نتيجة أبحاثهم أن الحنيفية في الجاهلية كانت شيعة نصرانية خالطتها بعض تعاليم من غيرها وربما أراد بها شعراء الجاهلية والكتبة القدماء النصرانية بعينها. قال شاعر هذيل (Hudheil 18 : 11) :

كَأَنَّ تَوَالِيَهُ بِمَلَا نَصَارَى يَسَاقُونَ لِاقْوَا حَنِيفًا

أراد بالحنيف الراهب يذهب النصارى لملاقاته. وروى صاحب الاغاني (ك ١٦ ص ٤٥) ويقوت في معجم البلدان (٥١ : ٢) لأين بن خريم قوله في وصف الحمرة :

وَصَهْبَاءُ جَرَجَانِيَّةٍ لَمْ يَطْفُ بِهَا حَنِيفٌ وَلَمْ تَنْفِرْ (٢) بِهَا سَاعَةً قَدَرُ
وَلَمْ يَشْهَدْ الْقَسُّ الْمُهَيَّمَنُ نَارَهَا طَرُوفًا وَلَا صُلَى (٣) عَلَى طَبْخِهَا حَبْرُ

أراد بالحمرة قربان النصارى والحنيف هنا بلا شك الراهب بدليل ذكره في البيت الثاني القس والخبر. وأعلّ أبا ذؤيب قصد أيضاً الراهب حيث قال مشيراً إلى اصوام الرهبان (تاج العروس ٣ : ٣٣٩) :

أَقَامَتْ بِهِ كَمَقَامِ الْحَنِيفِ مِ شَهْرِيْ جَمَادَى وَشَهْرِيْ صَفَرٍ

ويؤيد رأي هؤلاء الكتبة في نصرانية الخنفاء أن معظم الذين ورد ذكرهم في التاريخ يقال عنهم أنهم تنصروا. وأشهرهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وكان ابن عم خديجة زوجة رسول الاسلام الاولى وقيل بل كان عمها اخا ابياها قال ابن هشام في سيرة الرسول (١٥٣ : p. Wüstenfeld, ed.) : « وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب وسمع من اهل التوراة والانجيل (٤) ». وقال الاسحاقي في تاريخه الاكبر (٥) : « كان ورقة امرءا قد تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربية من الانجيل ما شاء ان يكتب »

ومنهم عبيد الله بن جحش بن رثاب. قال ابن هشام (ص ١٤٣-١٤٤) :
« هاجر عبيد الله مع المسلمين الى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة ابنة ابي سفيان

(١) كتابه (Essai sur l'Hist. des Arabes, I, 321)

(٢) روى ياقوت : ولم ينفر

(٣) في ياقوت : ولم يحضر (يحضر؟)

(٤) اطلب كتابنا شعراء النصرانية (ص ٦١٦)

(٥) في نسخة مكتبة باريس (Mss. arab. de Paris. n° 735 ff. 88)

مسلمة فلما قدماها تنصّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانياً. قال ابن اسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: كان عبيد الله بن جحش حين تنصّر يؤمر بأصحاب رسول الله صلعم وهم هنالك في ارض الحبشة فيقول: فقننا وصأصأتم اي أبصرنا وانتم تلتسمسون البصر ولم تبصروا بعد.

ومنهم عثمان بن الحويرث الذي ذكر نصرانيته اليعقوبي. وروى ابن هشام (ص ١٤٤) عن ابن اسحاق قوله (١): «وأمّا عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر وتنصّر وحسنت منزلته عنده». كانت وفاته في الشام

ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي ذكر ابن هشام (ص ١٤٨) وصاحب الاغاني تردده في دينه واجتماعه بأخبار النصارى ورهبانهم بعد اعتزاله الاوثان ومنهم امية بن ابي الصلت الذي ترى ديوانه مشحوناً بتعاليم النصارى مع منقولات متعددة عن الاسفار المقدسة كسفر الخليفة وخلقة آدم وسقوط الابوين الاولين باغراء الحية والطوفان وذكر الانبياء والملائكة والسيد المسيح ومريم العذراء (٢) وكان في مكة من النصارى غير هؤلاء الخنفاء منهم ابو قيس صرمة بن ابي انس الذي روى عنه ابن الاثير في اسد الغابة (٣: ١٨) انه «كان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح»

ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول المسلمين كان نصرانياً ثم اسلم وكذلك ذكر صاحب الاغاني (١٥: ٢) نصرانية عتبة بن ابي لهب صهر نبي الاسلام

وكان ابو سفيان زعيم مكة صهرًا لبشر اخي أكيذر صاحب دومة الجندل وكان كلاهما نصرانياً وبشر هو الذي علم اهل مكة الخط العربي ومما يفيد تاريخ النصرانية في مكة ذكر المعاملات التجارية التي كانت متواصلة بين اهلها ونصارى قبائل العرب الواردين اليها ونصارى الحبشة وغيرهم فان اختلاط اولئك النصارى باهل مكة اثر فيهم تأثيراً عظيماً واجتذب كثيرين منهم الى

(١) اطلب مقالتنا المعنونة الاحداث الكتابية في شعراء الجاهلية (ص ٢٠ - ٢١)

(٢) اطلب مقالتنا «الاحداث الكتابية والتشابه النصرانية في شعراء الجاهلية»

(ص ٢٠-٢١)

الدين المسيحي . ومما يؤيد ذلك أنَّ ابا عامر الراهب الذي حارب رسول الاسلام في مكة وأُحد قد لقي المسلمين « في الاحابيش وعُبدان اهل مكة » كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٥٦١-٥٦٢)

وفي كتاب الخراج (ed. Th. Juynboll, 1896, p. ٥٣) ما نقله الكاتب عن ابي الحويرث قال « ضرب الرسول صلعم على نصراني مكة ديناراً كل سنة » وفي هذا دليل على بقاء النصرانية في مكة في أيام نبي الاسلام ولم تخل بقية مدن الحجاز من آثار النصرانية كالطائف على مسيرة يوم من مكة (١) ومنها كان امية بن ابي الصلت الشاعر النصراني ينتسب الى ثقيف اهل الطائف (٢) . وكعكاظ التي كان يجتمع في سوقها العرب فيتناشدون ويتفاخرون وهناك خطب قس بن ساعدة اسقف نجران كما رووا . وفي التقويم النسطوري (ص ٨) الذي اشرنا اليه سابقاً فطبعة حضرة الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ ان النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من اهل دينهم والله اعلم

وان توغلت في قلب جزيرة العرب ورقيت ما يرتفع في اوساطها من التلال والمشارف لقيت بلاد نجد التي افاض شعراء العرب في مدحها لطيب هوائها وجودة تربتها كقول بعضهم :

فيا حبذا نجد وطيبُ ترابه إذا هضبتُ بالعشي هواضبه
وريحُ صبا نجد إذا ما تنسَمْتُ ضحى أو سرتُ جنحَ الظلام جنائبه
بأجرع ممرع كان رياحه سحابٌ من الكافور والمسك شائبه
واشهد لا انساه ما عشتُ ساعة وما انجاب لي عن نهار يعاقبه

ففي نجد وجهاته وجدت النصرانية لدعوتها قلوباً تقبلتها بالترحاب فهناك كانت عدة قبائل عرفت بتدوينها بدين السيد المسيح كطيء والسكون والسكاسك وكندة وقد مرَّ بك أنَّ ثمَّ كانت اديرة لرهبان النصارى كدير سعد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيى قرب جو من ديارهم

(١) وكانت ثقيف تسكن الطائف ومنها كان ابو رغال الذي تقدَّم الحبش وصار دليلهم لمحاربة مكة

(٢) راجع ترجمته في شعراء النصرانية (ص ٢١٩-٢٢٩)

اماً نصرانية قبائل نجد فلنا عليها عدة شواهد . قال السائح الانكليزي پلغراف في كتاب رحلته الى جزيرة العرب (ج ١ ص ٦١) عن بلاد الجوف : « ان اهل الجوف لا يعرفون عن اصلهم وتاريخهم الا القليل لكن التقاليد المحلية تزعم ان تلك البلاد كانت قبلاً تدين بالنصرانية وان انصار النبي كعلي وخالد بن الوليد اضطروا الى استعمال اقطع الادلة اي السيف ليدخلوا اهلها في الاسلام (١) » وقال في محل آخر (ص ١١١) : « قبل الاسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة راتعة في مجبوحة السلام الذي فقدته بعد ذلك . وكان اكثرها يدين بالنصرانية بل يرجح انها حفظت دينها بعد الاسلام الى خروج بني امية عليها (٢) » وخص بالذكر تلك القبائل المنتصرة فقال (ص ٨٤) ان عرب نجد قبل الاسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطى . وقد لقي ذاك السائح هناك عدة آثار وابنية سمع الاهلين ينسبونها الى قدماء النصارى من جعلتها بير شقيق الذي نزل بقربه

وليس كلام هذا الرحالة حديث خرافة بل تؤيد روايته الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد . وكانت اعظم تلك القبائل كندة ومنها السكون والسكاسك الذين ذكر تنصرهم ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٤٩) . وكان لكندة بيت ملك فتولوا على بني معد في انحاء نجد واوهم حُجر آكل المرار ثم خلف حُجر بنوه من بعده ومنهم كان امرؤ القيس الشاعر

اماً نصرانية كندة فلا شك فيها وقد اثبتنا ذلك في مقالة خصوصية حيث

(١) هذا نصه بالحرف : Les Djawfites savent peu de chose sur leur origine et leur histoire ; les anciennes traditions locales prétendent pourtant que le pays était chrétien, et que pour le convertir à l'islamisme, les sectateurs du prophète, Ali et Khalid - ebn - Walid durent employer le plus tranchant de tous les arguments, le glaive. » (Palgrave: *Voyage dans l'Arabie Centrale*. I, p. 61)

(٢) وهذا قوله : « Les tribus du centre de la Péninsule jouissaient d'un calme et d'une prospérité qui plus tard leurs furent étrangères. La plupart avaient embrassé la foi chrétienne et probablement la professaient encore à l'époque ou elles repoussèrent l'invasion des Ommiades. » (Id. I, 111)

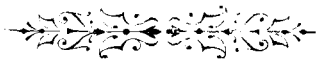
رددنا على مزاعم حضرة الاب انستاس الكرملي في مزدكية امرى القيس (راجع المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٩٩٨ - ١٠٠٦) . وقد ذكرنا الكتابة التي وضعتها على صدر ديرها هند الكبرى بنت الحارث الكندية حيث تفتخر بكونها « أمة المسيح وامّ عبده (اي عمرو بن هند) وبنت عبده » (اي الحارث بن عمرو بن حجر ملوك كندة) . وروينا ايضاً النصوص اليونانية التي نقلها فوتيوس في مكتبته (Migne - P. G. III, 46 — 47) عن المعاهدات التي ابرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في أيام انسطاس ويوستينوس ويستينيان ولولا نصرانية كندة لما تسامحوا بذلك على الاطلاق . ويؤيد قولنا في دين كندة عبد المسيح الكندي في رسالته الى الهاشمي في أيام المأمون . وقد ذكر هذه الرسالة ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٠٥ من طبعة ليبسيك) قال الكندي (ص ١٢٤ من طبعة لندن سنة ١٨٨٠) :

« ولسنا نجب ان نفتخر بما لنا من السبق والنسق في العريضة وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لابائنا واجدادنا . فقد علم كل ذي علم ولب كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكننا نقول ما قاله رسول الحق بولس : ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانه غاية الفخر والشرف . فليس لنا اليوم فخر نفتخر به إلا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبه نختدي الى العمل الصالح ونعرف الله حق معرفته ونتقرب اليه وهو الباب المؤدي الى الحياة والنجاة من نار جهنم »

وقال في محل آخر (ص ١٠٣) يشير الى دين كندة اجداده :

« ولولا ان الديانة عندي اشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسعني السكوت . . . لكنني رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرف به وافتخر بمكاني منه وارغب الى الله في إيماتي على هذه الديانة وحشري عليها فانه غاية املي ورجائي الذي ارجو به الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السماء والخلود فيها بفضلِهِ واحسانِهِ وسعة رحمته »

فصح اذن ان بلاد نجد لم تشذ عن سواها في قبول الدين النصراني فشاع فيها كما شاع في بقية انحاء العرب . وبه نختم هذا الفصل الذي تحررنا فيه تاريخ النصرانية في جميع جهات العرب



الفصل الثاني

في قبائل العرب المنتصرة

هذا فصل نجعله كتتمة الفصل السابق فنسرد فيه على سياق حروف المعجم اسماء القبائل المنتصرة في عهد الجاهلية مع الادلة على نصرانيتها
 ١ ﴿الازد﴾ اسم عام يشمل القبائل الحميرية نسبة الى الازد بن غوث ابن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ. ونصرانيتهم مثبتة بنصرانية القبائل المتفرعة منهم وهي القبائل التي خرجت بعد انفجار سد مأرب فسكنت في انحاء الجزيرة وسيأتي ذكرها

٢ ﴿امرو القيس﴾ بنو امرئ القيس من بني زيد مناة بن تميم. ومن صرح بنصرانيتهم ابن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخه (ج ١ ص ٢٩٨) (ed. Houtsma) قال: «وتنصر من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة». والى نصرانية بني امرئ القيس يشير ذو الرمة الشاعر حيث يقول:
 ولكن اهل امرئ القيس مشرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

٣ ﴿الاوس﴾ رويناه في الباب العاشر من فصلنا الاول (ص ١٠٨) اقوال الكتبة في نصرانية الاوس بعد احتلالهم في مدينة يثرب وانهم المشار اليهم باهل الكتاب اي النصارى

٤ ﴿اياذ﴾ من اقدم القبائل العربية المنتصرة. نقل السيوطي في الزهر (١٠٥: ١) قول ابي نصر الفارابي في القبائل العربية التي لم يؤخذ عنها اللسان العربي لفساد لحق بأعنتها: «ولم يؤخذ (اللسان العربي) لا من قضاة وغسان واياذ لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية» يريد اللغة الآرامية التي شاعت بين العبرانيين بعد جلاء بابل. وقال البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨) (ed. Wüstenfeld): «دانت اياذ لغسان وتنصروا». وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ id.): «اياذ قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالت عليهم الفرس في الغداة فدخلوا الروم فتنصروا»

٥ ﴿ بكر ﴾ بن وائل قبيلة كبيرة اخت تغلب وقرينتها في القوة والدين كانت ساكنة في الجزيرة واليهما نسبت ديار بكر. أما نصرانيتهما فثابتة من كل الوجوه لا يُشكّ فيها. قال صاحب سيرة الرسول المعروفة بالحليّة (٩٥:٣): « من قبائل العرب المنتصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام »

٦ ﴿ بلي ﴾ بلي بن عمرو اخوة بهراء قضاعة مثلهم كانوا نصارى وحاربوا مع بهراء ونصارى العرب جيوش المسلمين كما ذكر الطبري (٢٤٧٤:١)

٧ ﴿ بهراء ﴾ فرع من قضاعة اشتهروا بالنصرانية كما رأيت آنفاً بنص السيرة الحليّة . وقال اليعقوبي في تاريخه (٢٩٨:١): « تنصر ٠٠٠ من ربيعة تغلب ومن اليمن طي ومذحج والبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم » وجاء في كتاب البلدان للاصطخري (طبعة ليدن ص ١٤ ed. de Goeje) : « ان بعض العرب تنصر ودان بدين الروم مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام » وجاء في ترجمة ابي العلاء المعري لابن خلكان : « تنوخ احدى القبائل الثلث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب » ومثله الفيروزآبادي حيث قال : « كانت النصرانية في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وتغلب وبعض طي » وسبق الطبري (ج ١، ٢٠٨١) كل هؤلاء فجعل بهراء في عداد نصارى العرب انصار الروم . فترى ان نصرانية بهراء شائعة في التاريخ

٨ ﴿ تغلب ﴾ بن وائل هي القبيلة المعدية الشهيرة وشقيقة بكر . كانت بلغت في الجاهلية مقاماً قلما ادركته قبيلة عربية اخرى قال عمرو الشيباني يصف شرف تغلب : « كانت تغلب بن وائل من اشد الناس في الجاهلية وقالوا: لو ابطأ الاسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس (١) » . وكانت تغلب مع شدتها عريقة في الدين . قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته يفتخر بشرف ودين نساء قومه :

ظمائن من بني جُشم بن بكر جمعن بميسم شرفاً ودينا

أما هذا الدين فكان دين النصرانية كما هو مشهور . والشواهد على ذلك لا تحصى كما رأيت آنفاً من نصوص اليعقوبي والاصطخري والفيروزآبادي وابن

خلكان. وزد عليها قول ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨): «نزلوا (اي العرب) على خفارة فارس والروم حتى ان بعضهم تنصر ودان بدين النصرانية مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام». وتجذ في الباب الثامن من الفصل السابق شواهد اخرى تؤيد الامر ولا تدع ريباً لمستريب. قال جابر بن حني يرد على بهراء (اطلب شعراء النصرانية ص ١٩٠):

وقد زعت بهراء ان رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى الدّم...

بل لدينا ادلة واضحة على ثبوت النصرانية في تغلب حتى القرن الثالث والرابع بعد الاسلام وجاء في سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٦ من طبعة مصر ١٢٩٩) ان بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فأعلنوا بنصرانيتهم

٩ ﴿ تميم ﴾ هو ابن مرة بن اذ من بني مضر العدنانيين وكانوا عدة قبائل ودخلت النصرانية في كثير منها كبني امري القيس وبني شيبان وبني ايوب ابن قلام الذي منهم كان الشاعر النصراني الشهير عدي بن زيد. وجاء في التذكرة الحمدونية (ص ١٧ و ١٨ من نسخة برلين) في وصاة الحرث بن كعب لبنيه انه «بقي على دين عيسى بن مريم مع تميم بن مر واسد بن خزيمه» فجعل النصرانية في قبائل تميم بنسبتها الى رأسهم وشيخهم تميم بن مر

ولما وفد بنو تميم على محمد كان احد زعمائهم الزبوقان بن بسدر ومما افتخر به البيع التي كان يشيدها قومه كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩٣٥):

نحن الكرام ولا حي يبادلنا منا الملوك وفيما تُنصب البيع

ومن تميم في الجاهلية كان اسقف نصراني يدعى محمداً وهو محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم التميمي (١)

(١) اطلب حياة محمد لسپر نغر (Sprenger: Das Leben d. Mohammad, I, 161). وفيه تفنيد لقول بعض الزاعمين ان اسم محمد لم يعرف في الجاهلية قبل نبي الاسلام. قال ابن بري (في تاج العروس ٢: ٢٢٩) «ومن سمي بمحمد في الجاهلية سبعة محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي ومحمد بن عتوارة الليثي الكناني ومحمد بن أحيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن حمران بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن خراعي بن علقمة ومحمد بن حرماز بن مالك التميمي

١٠ * تنوخ * احدى قبائل اليمن ونصرانيتها مُجمع عليها فإن الطبري (٢٠٦٥:١ و ٢٠٨١) واليعقوبي (٢٩٨:١) في تاريخهما والاصطخري في كتاب مسالك الممالك (ص ٢٤) وابن خلكان (ج ١ ص ٤٢) والفيروزابادي في معجمه يجعلون كلهم تنوخ من جملة القبائل المنتصرة بل ورد في كتب السريان ذكراً لاسقف التنوخيين (١)

١١ * ثعلبة * بنو ثعلبة ثلاثة أبطن من طي وهم ثعلبة بن ذهل و ثعلبة بن رومان و ثعلبة بن جدعاء يقال لهم ثعالب طي. ورد في الباب الثامن من الفصل السابق ذكر اساقفتهم. وقد عرف كتبة اليونان والرومان والسريان نصرانيتهم فذكروهم غير مرة ويجعلونهم من الطائعين الخاضعين للروم « **لهمنا وحمه** » **وهمنا وحمه** كتاب المستطرف (ج ١ ص ١٣٥) قال: « روي أن بني ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقالوا: يا امير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا. قال: نصارى؟ قالوا: نصارى. قال: ادعوا الي حجاجاً. ففعلوا جزاً نواصيتهم... » ويوجد غير هؤلاء ايضاً عرفوا ببني ثعلبة اشهرهم بنو ثعلبة بن شيان من بطون تميم

١٢ * جذام * بن مالك بن نصر قبيلة يمنية من الازد كانت تدين بالنصرانية قال صاحب السيرة الحلبية (٩٥:٣): « من قبائل العرب المنتصرة بكر ولحم وجذام ». وكذلك الفارابي في الزهر (١٠٥:١) يجعل جذام من النصارى الذين « يقرأون بالعبرانية ». وفي الفتوحات الاسلامية للبلاذري (٥٩ و ١٣٥) وفي الطبري (١٧٠:٢) وفي تاريخ ابن بطريق (طبعتنا ج ٢ ص ١٣) ترى جذاماً في جملة قبائل العرب المنتصرة التي تحارب جيوش المسلمين مع غسان و كلب ولحم

١٣ * جرم * بن ريان هم من قبائل قضاة ونصرانيتهم ثابتة كنصرانية قضاة. وقد مرّ بك في الباب الثامن من الفصل الاول ذكر اسقف لبني جرم. وكانت النصرانية في جرم منذ زمن قديم فإن السريان ذكروا ديراً ابتناه الرهبان في ديار جرم منذ اواسط القرن الرابع (٣). وقد روى قزما الرحالة الهندي في سفره

(١) اطلب النخب السريانية (Lagarde: *Analecta Syriaca* p. 128)

(٢) اطلب (G. Rothstein: *Die Dynastie der Lahmidien in al-Hira*)

(٣) اطلب المكتبة الشرقية للسماعي (Assemani: BO, II, 41)

الى الهند ان بين الدائنين بالنصرانية في زمانه اي القرن السادس للمسيح كان
النبط وبنو جوم (١)

١٤ ﴿ جرهم ﴾ نقلنا في جملة آثار النصرانية في مكة ما رواه كتبة
العرب عن دين بني جرهم وعن ملكهم عبد المسيح واسقفهم في مكة . فليراجع
١٥ ﴿ الحداء والسنط ﴾ فروع من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن
تميم . كانوا يسكنون الحيرة ويدينون بدين اهلها . قال طخيم بن ابي الطخماء الاسدي
يحدثهم (الكامل للمبرد ص ٢٦ ed. Wright) :

بنو السمط والحداء كل سَمِيدَعٍ لَهُ فِي الْعُرُقِ الصَّالِحَاتِ عُرُقُ
وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أَحْبَبْتُ وَبِرَّحُ فُلَيْ نَحْوَهُمْ وَيَتَوَقَّ

١٦ ﴿ الحارث بن كعب ﴾ قبيلة يمنية كبيرة تنتسب الى مذحج الى
كهلان احتلت نجران ونواحيها وتنصرت وحسنت نصرانيتها ويظهر ان الحارث بن
كعب جد هذه القبيلة مات نصرانياً فأننا قد وجدنا في النسخة الخطية من التذكرة
الحدونية (Ms. Berlin, *Ablwardt*, n^{os} 8359 et 60 ff. 17) ما حرفه (٢) :

« اوصى الحرث بن كعب بنيه فقال : يا بني قد اتت علي مائة وستون سنة ما صافحت
يمني غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا بحت لصديق بصر ولا طرحت عندي مومسة
قناعاً ولا بقي على دين عيسى ابن مريم احد غيري وغير قيم بن مرّ واسد بن خزيمه . فوتوا
على شريعتي واحفظوا وصيتي والحكم فأتقوا يكفكم المم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم
وايأكم والمعصية لئلا يحل بكم الدمار وتوحش منكم الديار . . . فان لزوم الخطية تعقب البلية »

وهناك حاشية رواها ابن حمدون : « ان النصارى في العرب كثير وبني الحرث
ابن كعب كلهم نصارى »

وكانت نجران تحت حكم بني الحارث لما قصدها ذو نوء اس ملك حمير اليهودي
فافتتحها وامتحن اهلها باخاديد النار فمات منهم عدد دثر مفضلين الموت الاحمر على
ججود الدين . وبعد ظفر الحبش بذي نوء اس عاد بنو الحارث بن كعب الى امرة
نجران وكان من اشرافهم بنو عبد المدان بن الديان الذين شادوا كعبة نجران
وكنيستها المعروفة بالقليس التي افاض الكتبة في وصف محاسنها كما رأيت في

(١) اطلب مجموعة مين (Migne, PG., t. 88 col. et 446)

(٢) ثم وجدنا هذه الوصاة في كتابين من مخطوطات باريس ومخطوطات مكتبتنا

الباب المختصّ بنصرانية اهل اليمن . وبقي بنو الحارث بن كعب على نصرانيتهم بعد ظهور الاسلام كما يؤخذ من كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen, Skizzen, IV, ٨) حيث صالحهم نبي المسلمين على شروط عددها هناك ولم ينبذوا دينهم . ومما رأيناه في احد مخطوطات مكتبة قديمة في حلب منسوباً الى شاعر من بني الحارث الابيات الآتية المشيرة الى دينهم القويم :

ألا اننا من معشرٍ سبقت لهم ايادي من الحسنى فعوفوا من الجبل
ولم ينظروا يوماً الى ذات محرمٍ ولا عرفوا إلا التقيّة في الفعل
وفينا من التوحيد والعقل شاهدٌ عرفناه والتوحيد يُعرف بالعقل
نُعّين من فوق السماوات كلها معاينة الاشخاص بالجواهر المجلي
ونعلم ما كنّا ومن اين بدونا وما نحن بالتصوير في عالم الشكل
وانّا وان كنّا على مركبة الثرى فارماحنّا في عالم النور تستعلي
وما صعدت لم تختبره وانما رأت ذاتها بالنور في العالم العقلي
فلم ترضَ بالدينّا مقاماً فاثرت حقيقة ممثولٍ وجلّت عن المثل

١٧ ﴿ حمير ﴾ اخبار تنصرها مرّت في باب النصرانية في اليمن فعليك بها . وزد على نصوصنا قول الفيروزابادي : « ان كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصّروا »

١٨ ﴿ حنيفة ﴾ بنو حنيفة بطن كبير من بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة وقد مرّ ذكر تنصّرتهم في اثناء ذكر « النصرانية في حضرموت وعمان واليمامة والبحرين » وفندنا هناك ما روي عن عبادتهم لصنم من عجّين بل وجدنا في ذلك الهجو دليلاً على نصرانيتهم لاشارته الى القرّبان الاقدس . ومثله قول الآخر :

أكلت رَجّاً حنيفةً من جو عٍ قديمٍ ومن اعوانٍ

ومن حنيفة كان هُوَذة بن عليّ المعروف بذي التاج ملك اليمامة الذي مرّ ذكره . ومنهم كان مسيلمة بن حبيب الذي ناصب محمّداً وتبعه اهل اليمامة واستفحل امره وكاد يظهر على الاسلام لولا خالد بن الوليد الذي غلبه وقتله . ومما يدلّ على نصرانية بني حنيفة ما ذكره ابن سعد في كتاب الوفادات (Wellhausen, p. 46) حيث روى خبر وفودهم على محمّد الى ان قال : « اعطاهم رسول الله اداةً من ماء فيه فضل طهوره فقال : اذا قدمتم بلدكم اكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا

الماء واتخذوا مكانها مسجداً ففعلوا» . ثم يذكر ان « راهب البيعة هرب فكان آخر العهد به » . فذكره لبيعة بني حنيفة وراهبها دليل ساطع على نصرانيتهم

١٩ ﴿ الحَرْج ﴾ بنو الحَرْج كبنى الاوس كانوا يسكنون المدينة ويُعدُّون من اهل الكتاب اي النصارى (يراجع ما سبق عن النصرانية في المدينة)
٢٠ ﴿ ربيعة ﴾ هو اسم يطلق على القبائل العديدة المنتسبة الى ربيعة بن ثار وهي اكبر قسم من القبائل العدنانية الاربع اعني انمار واياذ وربيعه ومضر . وقد انتشرت النصرانية في ربيعة حتى اوشكت تشمل كل بطونها وفروعها فترى من ثم كتبة العرب اذا ذكروا النصرانية في الجاهلية جعلوها خصوصاً في ربيعة قال الفيروز ابادي : « وكانت النصرانية في ربيعة » . وشهد بذلك قبله ابن قتيبة في المعارف (ص ٣٠٥ من طبعة مصر) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ٢١٧) والقاضي ابن صاعد في كتاب طبقات الامم (ص ٤٣ من طبعتنا) وغيرهم كثيرون . فقولهم « ان النصرانية كانت في ربيعة » باطلاقه يدل على ان هذا الدين كان الغالب عليهم على اختلاف قبائلهم . ويؤيد ذلك ما روينا عن نصرانية اعظم قبائل ربيعة كبكر وتغلب وامرئ القيس وحنيفة وشيبان الخ . فنهايك بذلك شاهداً على شيوع النصرانية بين العرب

٢١ ﴿ السكاسك والسَّكُون ﴾ قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢١) « ومن قبائلهم السكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان وهما ابنا اشرس بن ثور بن كندي (١) . ومما يؤيد تنصرهما انهما كانتا في دومة الجندل التي مر ذكر نصرانياتها ونصرانية صاحبها أكيدر السكوني . وقد صرح ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٤٩) بنصرانية السكون قال : « وكان لقضاة ملك اخر في كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانية وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون » . وكان السكون والسكاسك يسكنون ايضاً في حضرموت محالفين لبني الحرث بن كعب اهل نجران كما اخبر الطبري ولما ظهر الاسود العنسي محارباً لمحمد نبي الاسلام

(١) والصواب ما قاله ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٨) « كندة هو كندي واسمه نُوز »

كان السكون والسكاسك من انصاره (١) وكذلك نراهم يحاربون خالداً مع بني كلب وغسان وبهراء وكلهم من نصارى العرب

٢٢ ﴿سليح﴾ هي القبيلة العربية التي سبقت الفسانيين في الشام ودانت بالنصرانية قال المطهر المقدسي في كتاب البدء المنسوب لابي زيد البلخي (éd. Huart, III, p 208): «وأول من دخل الشام سليح وهم من غسان ويقال من قضاة فدانت بالنصرانية وملك عليها ملك الروم رجلاً يقال له النعمان بن عمرو ابن مالك». وقال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣: ٢١٦): «وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت فللكها الروم على العرب الذين بالشام». وكذلك ابن واضح اليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨): «تنصر... من اليمن طي ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولحم». وسبقهم الطبري في تاريخه (١: ٢٠٨١) فجعل سليحاً مع قبائل نصارى العرب المحاربين مع الروم. وبنو سليح يُدعون أيضاً بالضجاعم او الضجاعة نسبة الى احد اجدادهم قال في التاج (٨: ٣٧٣): «ضجعم ابوبطن من العرب وهو ضجعم بن سعد بن عمرو الملقب بسليح بن حلوان بن عمران». وقد ذكر الطبري (١: ٢٠٦٥) الضجاعم مع قبائل النصارى المحاربة لخالد بن الوليد. ومن ملوك الضجاعم في الشام داود بن هبولة المعروف باللقى وكان نصرانياً (٢) وقال بن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩): «يضاف اليه دير داود في الشام»

٢٣ ﴿شيبان﴾ حي من بكر بن وائل. قال في التاج (١: ٣٢٨): «هما شيبانان: احدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة الخ. وهما قبيلتان عظيمتان على بطون وافخاذ». ونصرانية القبيلتين شائعة كنصرانية جذرهما بكر بن وائل. وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر قريباً من دجلة حيث انتشرت النصرانية انتشاراً تاماً. وبنو شيبان يُعرفون غالباً ببني ثعلبة في

(١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٤

(٢) اطاب (Caussin de Perceval : Hist. des Arabes, II, 201-202)

تواريخ الروم والسريان (راجع ما قلناه عن ثعلبة) . ومن شيبان كان حارث بن عبّاد سيّد شيبان في حرب البسوس وقرن المهلهل . ومنهم بسطام بن قيس احد فرسان العرب المشهورين وسيّد شيبان في يومي غبيط ومحطط اللذين ذكرهما ابن عبد ربه في العقد الفريد (٨٨ : ٣ - ٨٩) وابن الاثير في تاريخه (٢٥٠ : ١) . وقد صرّح ابن عبد ربه هناك بنصرانية بسطام ويدعوه ايضاً حنيفاً فيثبت ما قلناه عن نصرانية الخلفاء . ومنهم ايضاً نابغة بني شيبان الشاعر الاموي الشهير له ديوان لم يُطبع حتى الآن . وقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (١٥١ : ٦) نصرانيته . وكذلك هاني بن قبيصة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٦) : « كان شريفاً عظيم القدر وكان نصرانياً وادرك الاسلام فلم يُسلم ومات بالكوفة »

٢٤ ❖ ضبيعة ❖ كانوا اخوة بني شيبان ويُعرفون مثلهم بالثعالب يشاركونهم بكل احوالهم وهم نازلون في ديارهم ويدينون بدينهم ومنهم كان الشاعر الجاهلي الشهير طرفة بن العبد صاحب المعلّقة

٢٥ ❖ طي ❖ من اكبر قبائل العرب واطولها باعاً وارقاها حضارةً واشتهت على خطوط الزمان . اصلهم من اليمن ينسبون الى طي بن ادد بن كهلان . وكانت ديارهم في نجد حيث الجبلان المعروفان بجبلي طي وهما أجا وسلماء وكانوا يسكنون في اطراف اليمامة في نواحي تيماء وكانوا يدينون اولاً بالوثنية . وقد ذكروا لهم صنماً كانوا يعبدونه يسمّى الفلّس او الفلّس لم يتفقوا في تعريفه . وما لا يُنكر ان النصرانية كانت كثيرة الانتشار بينهم . قال ابن واضح اليعقوبي (٢٩٨ : ١) : « تنصّر من احياء العرب . . . من اليمن طي ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم » فجعل طيئاً في مقدّمة القبائل المنتصرة . وقد اخبر ابن العبري في تاريخه الكنسي (Barhebraei Chronicon Eccl., III, 100) ان « احوذما » المفيان سنة ٨٧٠ لليونان (اي ٥٥٩ للمسيح) تنقل بين العرب الطائيين وردّ كثير منهم . وكان اسم الطائيين عند السريان يعمّ كل العرب لكنهم يخصّصون به بني طي ايضاً ويذكرون نصرانيتهم . ومن آثار النصرانية في طي اديرة للرهبان في انحاءهم مرّ لنا ذكرها . كدير عمرو في جبال طي (ياقوت ٦٨٢ : ٢) وكدير الثعالب لبطون من طي قريباً من بغداد (ياقوت ٦٥٠ : ٢) . ومن مآثر النصارى الطائيين

انَّ قوماً منهم وضعوا الخطَّ العربي كما شهد على ذلك قدماء الكتبة (راجع المشرق ٤: ١٩٠١) ص ٢٧٨) وقد صرَّح مؤلفو العرب بنصرانية كثيرين من الطائيين كحنظلة الطائي باني دير حنظلة (ياقوت ٢: ٦٥٥) الذي بسببه تنصَّر النعمان صاحب الغريين . وكاياس بن قبيصة بن ابي عفراء الذي ملك مدَّة بالخير . وكالي زبيد الشاعر النصراني وكعدي بن حاتم الطائي سيد بني طي قال ابن سعد في وفادات العرب (Skizzen, IV, ٥١) : « عدي بن حاتم كان على النصرانية » ومثله ياقوت (٣: ٩١٣) . والمستشرقون اليوم مجمعون على نصرانية طي . وقد مرَّ بك قول الرحالة پلغراف (ص ١٢٢) . وكذلك العلامة قلهو سن (١) خصَّ طيئاً بالعلائق القديمة مع النصرانية وختم قوله بهذه الالفاظ « لولم يظهر الاسلام لاضحت بعد زمن قليل بلاد شمالي العرب من البحر الاحمر الى خليج العجم كلها نصرانية (٢) »

٢٦ * عاملة * قبيلة ينتسبون الى عاملة بن سبا من بني قحطان وقد سكنوا العراق ثم انتقلوا الى جهات الشام واليهام تنتسب جبال عاملة . وكانوا يدينون بالنصرانية كجميع عرب الشام . وقد ذكر البلاذري بني عاملة في فتوح البلدان (ص ٥٩) في جملة العرب المنتصرين الذين حاربوا في تبوك رسول الاسلام سنة ٩ للهجرة مع الروم ولحم وجدام . وكذلك الطبري في تاريخه (ج ١ ص ٢٣٤٦) نظم عاملة في جملة احلاف الروم . قال في تاريخ سنة ١٤ : « لما اصاب الروم سار هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ومعه من المستعربة لحم وجدام وبلقين وبلي عاملة وتلك القبائل من قضاة وغسان بشر كثير »

٢٧ * العباد * قال ابن خلكان (éd. de Slane, 98) : « العباد عدَّة بطون من قبائل شتى نزلوا الخيرة وكانوا نصارى يُنسب اليهم خلق كثير منهم

(١) اطلب كتابه عن اديان العرب : Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 231
(٢) وهذا نصُّه الاصلي : « In der Mitte zwischen den Qudâa und der Rabi'a - Tamîm hatten die Taiji, vielleicht von Mesopotamien her, alte Beziehungen zum Christentum. Waere nicht der Islam dazwischen gekommen; so waere voraussichtlich binnen kurzem das ganze noerdlich Arabien, vom Roten bis zum Persischen Meerbusen, christlich gewesen. »

عديّ بن زيد العبادي الشاعر « . وقد روى هشام بن الكلبي (اطلب تاريخ ابن خلدون ١٦٩: ٢ - ١٧٠) عن نصارى العرب في العراق ما نصه :

وكانت بيوتهم على ريف العراق يتزلون الحيرة وكانوا ثلث فرق : الاولى تنوخ ومنهم قضاة . . . وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضعونها غربي الفرات بين الانبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الإقامة في مملكة اردشير وخرجوا الى البرية . والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة واطنوها . والثالثة الاجلاف الذين تزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين من طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم فللك هؤلاء الاحلاف الحيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومه . . .

أما تسميتهم بالعباد فإنّ أبا الفرج في الاغانى (١١ : ١٦٢) علّلها بكونهم قاتلوا سابور ملك العجم واتخذوا كشعارهم « يا آل عباد الله فستوا العباد »

٢٨ * عبد الدار * كانوا فرعاً من تخم وسكنوا مدّة مكّة وكانت لهم فيها الرفادة والسقاية . ثمّ لحقوا بعرب العراق وتنصروا وسكنوا الشام وجبال فلسطين (١)

٢٩ * عبد القيس * هي قبيلة من ربيعة كانت ساكنة في تيماء وبصرى وبلاد البحرين وكانت النصرانية غالبة عليها ووفدت على محمد سنة ٨ للهجرة مع سيدها بشر بن عمرو المعروف بالجارود وكان نصرانياً (٢) . ومن هذه القبيلة كان بجيرا الراهب النسطوري (٣) . قال الخفاجي في نسيم الرياض وشرحه على الشفاء (ج ٢ ص ٢٣) : « بجيرا اسمه جرجس ويقال جرجيس بيا . كان من عبد القيس نصارى تيماء او بصرى . » ومنهم الرثاب ابن البراء الشنّي قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٧) : « وكان (الرثاب) على دين عيسى عليه السلام وكانوا سمعوا في الجاهلية منادياً ينادي : ألا انّ خير الناس رثاب الشنّي »

٣٠ * عبس وذبيان * هما ابنا بغيض بن غطفان من قبائل مضر (٤) . ليس لدينا شواهد صريحة على نصرانيتها وانما يستدلّ عليها ببعض الدلائل فمن

(١) اطلب سيرة محمد (Sprenger III, 432) ثمّ (Wellhausen, Skizzen, IV, 108)

(٢) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٢٠١) ثمّ (Sprenger III, 372) و Wellhausen,

ibid. 155)

(٣) اطلب مروج الذهب طبعة باريس (٣ : ٢٥٧)

(٤) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٢٠٥ - ٢٠٦)

ذلك تنصّر قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سيد بني عبس في أيام داحس والغبراء . قال ابن الاثير في تاريخه (٢٤٢ : ١ - ٢٤٣) انه تاب الى ربه « فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهب به » . وكذلك الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان منادماً للملك الحيرة النعمان بن المنذر مع سرجون بن توفيل (ويروى نوفل) وكان النعمان نصرانياً وسرجون ايضاً نصراني رومي (١) فلا يُحتمل ان يكون الربيع بن زياد من عبدة الاصنام . وادلّ من ذلك على النصرانية في عبس ظهور رجل بينهم من بني مخزوم بن عبس يدعونه خالد بن سنان ويدكرون انه كان نبياً . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٧٠) : « ذكر عن النبي صلعم انه قال (عن خالد بن سنان) : ذاك نبي ضيعه قومه » . قال العصامي في كتاب سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (٢) : « روي ان خالد بن سنان كان في زمن كسرى انو شروان وانه كان يدعو الناس الى دين عيسى وكان بارض بني عبس واطفاً النار التي كانت تخرج من بئر هناك وتحرق من لقيته من عابر سبيل » . وذكر العصامي في الكتاب عينه نبياً آخر لبني عبس اسمه حنظلة ابن صفوان (ص ٦٩) قال انه دعا قومه الى الله تعالى وصنع المعجزات ثم قتله قومه اماً ذبيان فشقيقة عبس ولا يبعد انها دانت بالنصرانية . وما لا ينكر ان شاعرها الكبير النابغة الذبياني كان نصرانياً بشهادة تاج العروس (١ : ٣٣٧) نقلاً عن الصغاني والاصمعي قال في بيان معاني الصليب : « والصليب العلم . قال النابغة :

ظَلَّتْ اِفْطِيعُ اِنْعَامٍ مُؤَبَّلَةٌ لَدَى صَلِيبٍ عَلَى الزُّورَاءِ مَنْصُوبِ

... وقيل سَمَّى النابغة العلمَ صليباً لانه كان نصرانياً »

٣١ ﴿ عَجَل ﴾ قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اخوة بني حنيفة وكلهم نصارى كما سبق فتبعتهم عجل في دينهم . وعجل احدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار (٣) وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي وكان على شيبان هاني بن

(١) اطلب الاغاني (١٤ : ٩٤ و ١٦ : ٢٢) ثم شعراء النصرانية (ص ٧٨٩)

(٢) من مخطوطات مكتبتنا الشرقية (ص ٦٩)

(٣) اطلب الاغاني (ج ٢٠ ص ١٢٢ - ١٤٠)

قبصة النصراني (الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٦) . وقد روى ابو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية (ed. Sachau, p. 314) « ان العذارى النصرانيات من العرب ضمن شكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنصروا عليهم » ثم نسب اليه صوم العذارى الواقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلاثة ايام - وبقيت عجل على نصرانيتها حتى بعد ظهور الاسلام فخاربت خالد بن الوليد وجيوش المسلمين تحت قيادة جابر بن بجير وعبد الاسود النصرانيين كما روى الطبري (ج ١ ص ٢٠٣٢-٢٠٣٣) وابن خلدون (ج ٢ (تتمة) ٨٠) وقال كلاهما هناك ان عبد الاسود وجابر كانا سائرين في نصارى العرب « من عجل وتيم اللات وضيعة » . ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم الى ايام بني امية والدليل على ذلك ان الطبري صرح بنصرانية سيد بني عجل أبجر بن جابر (الطبري ج ١ ص ٣٤٦٠) . وبقي ابنه حجار على دينه كما يشهد عليه هجاء قاله فيه الشاعر عبدالله بن الزبير وكان حجار من اشرف اهل الكوفة ودونك الشعر (الاغاني ١٣ : ٤٦ - ٤٧) :

سلي النصارى سذت عجلًا ومن يكن كذلك اهل ان يسود بني عجل
ولكنهم كانوا لثامًا فسدتهم ومثلك من ساد اللثام بلا عقل
وكيف بعجل ان دنا الفصح واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلي
وعندك قسيس النصارى وصلبها وغانية صها مثل جنى النحل

فغاظ هذا الشاعر بني عجل لما تهددوه بالقتل لهجوه سيدهم فقال :
تهددني عجل وما خلت اتي خلاة لعجل والصليب لها بعل...

يريد اكرام بني عجل للصليب على مالوف عادة النصارى

٣٢ عقيّل بطن من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من غطفان . كان يسكنون اليمامة وكان اهل اليمامة كما سبق من اتباع النصرانية . وقد خصوا بالذكر عقيلاً وذكروا لهم اساقفة . وأما ظهر الاسلام دانوا به مدة حتى وفاة محمد ثم ارتدوا الى دينهم فاضطر ابو بكر الصديق الى ان يرسل اليهم بعثة لمحاربتهم وكان قسم من بني عقيّل يسكنون ايضاً في الجزيرة عند نهر خابور مع نصارى تغلب وبكر (راجع ص ٩٤)

٣٣ غسان لا حاجة الى الاطالة في ذكر نصرانية غسان وقد مرّ

لنا كلام مُسهب في ذلك . وليس بين كتبة العرب من يعدد القبائل المنتصرة إلا

ذكر في مقدمتها او في جملتها قبيلة غسان كلاصطخري في مسالك الممالك (ص ١٤)
واليعقوبي في تاريخه (٢٩٨ : ١) وابن سعد في كتاب الوفادات (ed. Wellhau-
sen, Skizzen, IV, 7) والسيوطي في الزهر والفيروزآبادي في مقدمة المحيط (١)
واشتهر منهم بنو جفنة ملوكهم الذين امتدحهم النابغة الذبياني بحسن الدين فقال :
جملتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

٣٤ ﴿ فرسان ﴾ هي قبيلة من تغلب واليهم نسبت جزائر فرسان . قال
ابن الحائك في كتاب الاكليل (٢) : « من جزائر اليمن جزائر فرسان وفرسان
قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم
بأس ٠٠٠ ويحملون التجار الى بلد الحبش ولهم في السنة سفرة وينضم اليهم كثير
من الناس ونسأب حمير يقولون انهم من حمير » . وفي تاج العروس (٣٠٦ : ٤)
« ان فرسان لقب عمران ابن عمرو ٠٠٠ بن تغلب قيل لقب به لجيل بالشام اجتاز فيه
وسكن ولده به ثم ارتحلوا باليمن ونزلوا هذه الجزيرة فعرفت بهم فلما اجدبت
نزلوا الى وادي موزع فغلبوا عليهم وسكنوا هنالك . ومن الفرسانيين جماعة يقال لهم
التغاب يسكنون الربع اليامي من زبيد »

٣٥ ﴿ قریش ﴾ أتينا في مطاوي كلامنا عن مكة بذكر آثار النصرانية
في مكة بين قریش مع الشواهد على ذلك . فليراجع

٣٦ ﴿ قضاة ﴾ أشرنا مراراً الى نصرانية هذه القبيلة التي كانت تعد
من أمهات القبائل والى نصرانية بطونها كجرم بن ريان وسليح وکلب بن وبرة
وتيم اللات . ومن صرحوا بدينها النصراني ابن واضح اليعقوبي في تاريخه قال
(٢٣٤ : ١) : « كانت قضاة اول من قدم الشام من العرب ٠٠٠ فدخلوا في دين
النصرانية فلما ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب » . وقد مر قول
الفارابي (اطلب الزهر ١ : ١٠٥) عن نصرانية قضاة . ومثلها الفيروزآبادي حيث

(١) وممن اتسعوا في تاريخ غسان العلامة نلذك في كتابه (Die Ghassanischen Fürsten
aus dem Hause Gafnas) وكذلك الرحالة دوسو ومنهم بالتحس الديني في النصرانية
(Les Ghassanides . . . فقال عنهم : (Dussaud : Les Arabes en Syrie avant l'Islam .)
fervents chrétiens et fondateurs de monastères, p. 52)

قال: « كانت النصرانية في ربيعة وقضاة وهراء وتنوخ وبعض طي » وقد افادنا ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٥٨) ان دِيرَ خِنْدَفٍ في نواحي خوزستان قد بنته ليلى القضاية المعروفة بخندف ام ولد الياس بن مضر (١)

٣٧ ﴿ القين ﴾ او بَلَقَيْن هم بطن من قضاة بنو القين بن جسر بن الاسد بن وبرة ومن الشواهد على نصرانيتهم ما رواه الطبري في تاريخه (١ : ٢٣٤٧) عن هرقل انه سنة ١٤ للهجرة سار لمقاتلة المسلمين في اليرموك وكان معه من القبائل النصرانية المستعربة « لخم وجذام وبلقين وبلي وعاملة وتلك القبائل من قضاة » وكانت هذه القبائل حاربت مع الروم سابقاً في تبوك سنة ٧ للهجرة (٢)

٣٨ ﴿ كلب ﴾ بن وبرة قبيل عظيم من قضاة يُقسم الى عدة بطون . وهم من اعرق العرب في النصرانية واقدمهم عهداً فيها . كما رأيت في تاريخ الشام والجزيرة (٣) وقد عرفت قبيلة كلب بشرفها وعزها . ومن امرائها النصارى زهير بن جناب احد المعمرين . ومنهم بجدل بن أنيف النصراني حمو معاوية بن سفيان كان له كنيسة في دمشق . ومنهم دحية بن خليفة قال ابن دريد (في الاشتقاق ٣١٦) : « هو الذي كان جبريل عليه السلام ينزل في صورته (كذا) » . ومنهم فرافصة النصرانية زوجة عثمان وقد دعت ابنة لها بريم . وبقيت كلب مدة على نصرانيتها بعد الاسلام الا بعضهم وفي المقتضب لياقوت (٤) : اسلمت كلب غير مدره كانوا نصارى . وفي سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢) « ان محمداً دعا الى الاسلام قوماً من كلب يعرفون بني عبدالله فلم يقبلوا منه . وكانت كلب تسكن بقاع الشام حتى نسبت اليها . قال ياقوت في معجم البلدان (١ : ٦٩٩) : « البقاع . . يقال له بقاع كلب قريب من دمشق وهو ارض واسعة بين بعلبك وحمص »

(١) وقد اقرَّ بنصرانية قضاة العلامة فلهووزن فقال : « كل قبيلة قضاة كانت متصرة في القرن السابق للاسلام » (In dem Jahrhundert vor dem Islam hatten alle Quda'a-staemme es (das Christentum) angenommen. Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 231) (٢) اطلب (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, 292, 295) III. راجع ايضاً تاريخ الطبري (١ : ١٨٧٢)

(٣) اطلب الباب التاسع من الفصل الاول (ص ١٠٤-١٠٥) ثم راجع تاريخ ابن خلدون (٢ : ٢٤٩) (٤) اطلب (Lammens: *Etudes sur Mo'awia*, 287-289)

ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة غيرة وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لهذه العين عين الجرّ. وبالبقاع هذه قبر الياس النبي عم (١) «

٣٦ ﴿ كندة ﴾ سبق الكلام عن كندة ونصرانية اهلها في اثناء كلامنا عن النصرانية في الحجاز ونجد. وقد روى ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبي المسلمين قال (ص ٢٨٢): « اتى (النبي) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مُليح فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فابوا عليه » ومن رجال كندة عبد المسيح عاقبُ نجران في اول الاسلام والعاقب عندهم دون السيد. ومنهم ايضاً جُحيّة بن المضرب الشاعر الذي ادرك الاسلام ومات على نصرانيته كما روى في الاغاني (١٦: ٢١)

٣٧ ﴿ لحم ﴾ احد احياء اليمن الكبرى الشهيرة بنصرانيته. قال صاحب السيرة الحلبية (٩٥: ٣): « ومن القبائل المنتصرة بكر ولحم وجذام . وكذلك يعقوبي (٢٩٨: ١) جعل لحمًا من جملة القبائل النصرانية في اليمن . ومثلها السيوطي في الزهر (١٠٥: ١) . وبقيت لحم على دينها زمنًا بعد الاسلام فتراها محاربةً لجيوش المسلمين مع جذام وعاملة وغسان (اطلب فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٩ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٨١) . ومن لحم كان ملوك الحيرة الذين روينا اخبارهم وذكرنا تنصر كثيرين منهم . ومن لحم كان بنو عدي بن الذميل النصاري الاشراف الذين ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٦) بيعتهم في الحيرة

ومن اللخمين بنو صالح الذين اختارهم يوستنيان ملك الروم لحراسة دير طور سينا كما ذكر ابن بطريق في تاريخه (راجع طبعتنا ص ٢٠٤) . وذكر كتّبة العرب عدّة اديرة وبيعاً بناها اللخميون كدير علقمة ودير حنظلة اللخمي وبيعة عدي بن الدُميك (لعلها الذميل) اللخمي (ياقوت ١: ٧٩٦)

٣٨ ﴿ مازن ﴾ بطن من الازد كانوا في العراق يدينون بالنصرانية . وقد ذكر لهم البلاذري في فتوحاته (ص ٢٨١) بيعةً فقال : « وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الازد من بني عمرو بن مازن وهم من غسان »

٣٩ ﴿ مذحج ﴾ قبيلة يمنية تنسب الى مذحج وهو مالك بن ازد بن ادد بن كهلان ذكرها ابن واضح يعقوبي في تاريخه (٢٩٨: ١) مع القبائل المنتصرة

(١) لعله يشير بذلك الى « قب الياس » لكن قبر الياس النبي لا يُعرف مكانه

فقال: « تنصّر من اليمن طيٌّ ومذحج الخ » . وكانت مذحج تسكن في جهات الموصل (ص ٩٤) ومن مذحج كان بنو الحارث بن كعب اهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني

٤٠ ﴿ معدة ﴾ ابو القبائل العدنانية . ورد ذكر نصارى معدة واساقفة معدة في تواريخ السريان كما سبق . وكثيراً ما كانوا يطلقون اسم المعديين على العرب المنتصرين كقولهم جرجس اسقف المعديين (١) وكذلك كانوا يدعون بني كلب النصارى بالمعديين (صَدَّبْتُمْ اَهْلَهُمْ فَحُكِّمُوا) ومثلهم بنو عقيل (صَدَّبْتُمْ وَمَعَ حَبْصَ حَمَلًا) (٢)

٤١ ﴿ مَهْرَة ﴾ حيّ عظيم من قضاة ونصارى مثلهم ينتسبون الى مهرة بن حيدان وكانوا يسكنون اليمن مع الحميريين وكان اميرهم عند ظهور الاسلام الحارث بن عبد كلال وفد على نبي المسلمين كما روى الطبري (ج ١ ص ١٧١٧) مع ماوك حمير

٤٢ ﴿ ناجية ﴾ هم بنو ناجية بن عقال قوم الفرزدق ينتهي نسبهم الى تميم . ولنا على نصرانيتهم في الجاهلية شاهد باهر في ما رواه الطبري في تاريخ سنة ٣٨ (ج ١ ص ٣٤٣٤ - ٣٤٣٥) حيث حدث عن ابن الطفيل ما حرقه :

« قال كنت في الجيش الذي بعثهم علي بن ابي طالب الى بني ناجية فقل : فاتمينا اليهم فوجدناهم على ثلث فرق فقال اميرنا لفرقة منهم : ما انتم . قالوا : نحن قوم نصارى لم نر ديناً افضل من ديننا فثبتنا عليه . فقال لهم : اعزلوا . وقال للفرقة الأخرى : ما انتم . قالوا : كنا نصارى فاسلمنا فثبتنا على اسلامنا فقال لهم : اعزلوا . ثم قالوا للفرقة الثالثة : ما انتم . قالوا : نحن قوم كنا نصارى فاسلمنا فلم نر ديناً هو افضل من ديننا الاول فقال لهم : أسلموا . فابوا فقال لاصحابه اذا مسحت راسي ثلاث مرات فشدوا عليهم فاقتلوا للمقاتلة واسبوا الذرية فجئ بالذرية الى علي فجاء مصقلة بن هبيرة فاشتراهم بمائتي الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها علي فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية فقبل لعلّي : ألا تأخذ الذرية . فقال : لا . فلم يعرض لهم

٤٣ ﴿ النبط ﴾ سواء عدّ النبط من العرب او من عنصر آخر لا شك انهم اختلطوا بالعرب في انحاء شتى من بادية الشام وارياف العراق وتحوم مصر . . . وتدوينهم بالنصرانية قديم تشهد عليه عدة شواهد لكتبة السريان واليونان والعرب

رويناها في الفصل الاول الباب الثالث. وقد صرح بذلك قزما الرحالة الهندي في القرن السادس للمسيح وغيره كثيرون. وكان لهم كنائس يطيفون بها في مناسكهم واليها اشار متعم النويري يصف ناقته :

بُجْدَةٌ عَسِي كَأَنَّ سَرَاتِحَهَا فِدَنٌ تُطِيفُ بِهِ النَّبِيطُ مَرْفَعٌ

٤٤ ﴿ النَّحْع ﴾ بطن من مذحج السابق ذكرهم. كانوا نصارى يسكنون نواحي نجران. ومنهم كان بنو عبد المدان بن علة بن سعد العشيرة وهو مذحج من سادة اليمن. وكان زُرارة النخعي من اشرافهم وفرسانهم. قال ابن سعد في الوفايات (ed. Wellhausen, *Skizzen*, IV, ٦٩) : « هو زُرارة بن قيس بن الحرث بن عداء وكان نصرانياً » وجاء مثل ذلك في أسد الغابة لابن الاثير (ج ٢ ص ٢٠٢)

٤٥ ﴿ النمر بن قاسط ﴾ حي من ربيعة نزلوا في الجزيرة مع بني تغلب وبني بكر. وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة أنهم دانوا كلهم بالنصرانية وفي المعارف لابن قتيبة « ان تنوخ ونمر وكلب ثلاثتهم اخوة ». وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٧) ان بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين ترم مع تغلب واياذ والقبائل العربية المنتصرة. وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب (الطبري ج ١ ص ١٩٧٣)

٤٦ ﴿ يشكر ﴾ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانية كالخوتهم من بكر. وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار. وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معهم وكفى بذلك دليلاً على دينهم

هذا ما امكننا جمعه من آثار النصرانية في قبائل العرب ولوسمح لنا الوقت بمراجعة كثير مما لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا أدلة غير التي ذكرنا. ولا بُدَّ هنا من تنبيه القراء الى امر مهم وهو ان قدماء الكتبة ما كانوا غالباً ليكتروا بذكر اديان قبائل العرب لاسيما قبل الاسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهلية او اسم المشركين دون الافراز بين النصارى وغيرهم. وكانوا لا يرون في نصرانيتهم امراً غريباً على خلاف اليهود فانهم اذا ذكروا قبيلة يهودية عرفوا دينها سواء ارادوا بذلك تعييرها او قصدوا بيان اصلها الاجني

(تم الجزء الاول. ويليه الجزء الثاني في الآداب النصرانية بين عرب الجاهلية)

افادات واصلحات

(ص ٨ س ٥-١٢) ومن فندوا رأي رينان في التوحيد الغريزي بين قدماء العرب المستشرق الشهير يوسف هالوي (Joseph Halévy) في مقالاته عن الكتابات المكتشفة حديثاً في بلاد العرب (١) بهمة الرحالين اليها كالانكليزي دوغتي (Dough-ty) والقنصل الفرنسي هوبر (Huber) والاستاذ اوتنغ (Euting) وكذلك العلامة الاثري فيليب برجه (Ph. Berger) في كراسته عن كتابات تيماء (Inscriptions de Teimâ) ويتضح من هذه الاكتشافات ان عبادة الاصنام كانت شائعة في جزيرة العرب ومنظمة فلها هياكل وكهنة وذبائح وآلهة متعددون خلافاً لما زعم رينان رغبةً في معاداة الوحي

(ص ١٠ س ٢١ وهذا بعض قول اسحاق الانطاكي (ed. Bickell, I. (244-246 في الزهرة وعبادتها عند العرب ثم عدوهم الى دين المسيح

[illegible]

مستحقه مدد حوالي ۱۵۰۰

« لهذا الكوكب (اي الزهرة) كانت قبائل انباء هاجر (العرب) تقدم الذبايح (لتتال نساؤهم موهبة الحسن والجمال) لكنّ نساءهم كبقية النساء فنهينّ جميلات وانهنّ قبيحات. ومنذ اقبلت النساء العريئات على (عبادة) شمس البرّ (اي المسيح) فانهنّ جحدن (عبادة) ذاك الكوكب (الزهرة) الذي عبدنه باطلاً. فانّ اولئك الافراء (اي العرب) حنوا رؤوسهم للنير واناثم (خضعن) للتأديب. والنساء اللواتي تربّين في المقدس (اي البيعة) ابدلن (عبادة) الزهرة بعبادة المسيح واختلطن معنا بصلاحنّ »

(ص ١٢ س ١١) في تاريخ الجاهلية لابي الفداء (Fleischer: *Abulfedæ* Hist. anteislamica, p.180) ما حرفة عن اصنام العرب قال :

(١) اطلب مقالاته المعنونة (Découvertes épigraphiques en Arabie) نشرها في مجلة الدروس اليهودية (Revue des Etudes Juives, IX, 1884, p. 1 et 164)

« وصف (من العرب) عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم مختصة بالقبائل فكان وذ لكاب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل وبنو المذحج ولقبائل من اليمن وتسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمدان (لهمدان) واللات لتقيف بالطائف والعزى لقرش وبني كنانة ومناة للاوس والحزرج وهبل اعظم اصنامهم وكان هبل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلة على الصفا والمروة »

(ص ١٤ س ١٧ ذو الخلصة) المرجح ان ذا الخلصة لم يكن صنماً بل بيتاً او بالحري بيعة نصرانية لقبائل اليمن . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٤٦١) :
« الخلصة بيت اصنام لدوس وخثعم وبجيلة . . . وقيل هو الكعبة الياينية التي بناها ابرهة بن الصباح الحميري . . . وقيل كان ذو الخلصة يسمى الكعبة الياينية وبيت الحرم الكعبة الشامية »
وقد ذكر ياقوت الكعبة الياينية في محل آخر (٢ : ٧٠٣) ودعاها بدير نجران وعليه يجب القول ان القبائل التي كانت تحج اليها اعني خثعم وبجيلة ودوس كانت نصرانية

(ص ١٦ س ٢ الذبائح) جاء في شرح المفضليات لابن الانباري (ed.)
(Lyall, p. 228-229) في قول سلامة بن جندل « كأن اغناها انصاب ترجيب »
ان العرب « كانوا يذبحون في رجب »

(ص ٣٠ س ١٢ نصرانية غسان) يضاف الى ما ورد هنالك لليعقوبي قوله (ج ١ ص ٢٣٣) بعد ذكره لتنصر بني سليح في الشام : « وتنصرت غسان مملكة من قبل صاحب الروم » وجعل تنصرها على عهد « جفنة بن علية (ثعلبة) بن عمرو بن عامر » . وكذلك الفيروز ابادي في مقدمة قاموسه : « ان كثيراً من ملوك الحيرة واليمن تنصروا واما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى » وقد افادنا ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٧١) عن اخبار غسان بعد الاسلام ما حقه : قال :

« وقامت غسان بعد منصرفها من الشام بارض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة فتجهزوا الى جبل شرکس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطس الذي يده خليج القسطنطينية وفي هذا الجبل باب الابواب وفيه من شعوب الترك المنتصرة والشرکس وارکس واللاص وكسا ومعهم اخلاط من الفرس واليونان »

(- س ٢٢) اصلح : كتاب التنبيه والاشراف (بالفاء)

(ص ٣٣ س ١١ - ١٢ تنصر القيصر فيلبس العربي) قال اوروزيوس (اوروشيوس) المؤرخ الاسباني في القرن الخامس للميلاد عن فيلبس العربي « ان

فيلبس سبق كل الامبراطرة (القياصرة) في دينه بالنصرانية - Hic (Philippus)

Arabs) primus Imperatorum omnium Christianus fuit- (*Paul-Orose, Hist.VII, c. 20*)

(ص ٣٥ س ١٩-٢٥ ماوية) جاء في تاريخ سوزمان (Sozomène, H. E., V, c. 1) ان الروم لما ساروا لمحاربة الغوطيين الزاحفين على القسطنطينية استعانوا بفرقة من العرب الخاضعين لماوية
(ص ٣٦ س ١٦ نفي الشهداء في بلاد العرب) قال تاودويطس المؤرخ في القرن الخامس عن قالنس القيصر الروماني « انه نفى كثيرين من المعتزين بالايان في الرها الى حدود العرب » Qui (Valens) multos confessarios fidei Edessenos in finibus Arabiae dispergi jussit (*Theodoret, H.E. IV. 18*)

(ص ٣٧ س ٥) اصلح : غسان . . . و حوران - س ٢٣ : Du'ssaud
(- س ١٣ اساقفة العرب) وقد ذكر القديس ابيفانيوس في القرن الرابع (*Epiphanius : Anaceph. n° 12*) اساقفة اقيموا على قري العرب (*μητροπολιται 'Αραβίας*)

(ص ٣٩ س ١٧) اصلح : judéo-chrétiens
(٤٠ س ٣ البلقاء) ومن مدن البلقاء عمان . وفي وفادات العرب لابن سعد (ed. Wellhausen, 20) ان فروة بن عمرو الجذامي كان عاملاً على عمان من ارض البلقاء وكان نصرانياً فاسلم عند ظهور الاسلام فغضب عليه هرقل وقتله صلباً
(ص ٤٥ س ١٣ و ٢٦ اضطهاد دقيوس) اخبر اوسابيوس في تاريخه (Eusèbe, H. E., VI, c. 39) « ان كثيرين من النصارى هربوا الى بلاد العرب لما ثار اضطهاد القيصر دقيوس »

(ص ٥٣ س ١٤) أصلح : يُنسب اليهم

(ص ٥٤ س ١٦ الفيلسوف النصراني پنتانوس في بلاد العرب) راجع في مجلة الكلية الكاثوليكية (*Université Catholique, 1853 XXXV, p. 329*) للمستشرق البلجيكي نيث (F. Nève) مقالة مسهبه يثبت فيها ان الهند المذكورة في تاريخ پنتانوس انما هي اليمن ليس الا قال :

« Quand nous lisons (dans Eusèbe) que Démétrius archevêque d'Alexandrie donna en 189 à S. Pantène la mission d'annoncer l'Evangile dans les Indes, nous ne pouvons entendre par ce terme que l'Arabie Heureuse ». Cfr. aussi *Annales de Philosophie*, 3^e série, t. XIII, XIV (p. 7) et XV »

(ص ٥٦ س ٧-٨. الرحمان) اسم الرحمان ورد مراراً في الكتابات الحميرية المكتشفة حديثاً ولاسيما في الكتابات النصرانية اطلب مجلة الاسيوية الالمانية (Fell : *Sudarab. Studien*, ZDMG, 1900, LIV, p. 252)

(ص ٦٠ س ١٠. شهداء نجران) راجع في المجلة الاسيوية الالمانية (ZDMG XXXV, 1881, 1-75) مقالة مطوّلة في الآثار العربية والسريانية والحبشية المنوطة باخبار اولئك الشهداء للعلامة الالمانى فال (Fell : *Die Christenferfolgung in Südarabien*)

(ص ٦٢ س ١٥) اصلح : J. Halévy

(- س ٢٤. سدّ مأرب) في رواية كتبة العرب عن هذا السدّ اشارة الى نبيّ دعا اهل اليمن الى التوحيد فابوا الاصفاء اليه فعاقبهم الله بانفجار هذا السدّ. فنجد في خبرهم عينه مع ما فيه من المزاعم الباطلة اشارة الى الدعوة النصرانية لدى ذكرهم ذلك النبي الذي دعاهم الى الله فقتلوه وهو على رأينا احد دعاة النصرانية وشهادتها في اليمن . دونك شيئاً من روايتهم نقلًا عن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (ed. de Goeje, p. 114) :

« كان اهلها (اي اهل سبأ) . . . اغنياء صاحب صامت ومواشي فلم يكونوا يرون لاحد على انفسهم طاعةً الا لمن قد ملكوه على انفسهم وانقادوا لرئاسته وكان لهم اوثنان يعبدونهما فبعث الله عزّ وجلّ اليهم نبياً اقام فيهم زمناً يدعوهم الى الله فكذبوه فاعدتهم وخوفهم وحنهم على شكر الله على ما انعم عليهم فلم يلتفتوا الى قوله واستهانوا به وقالوا: آتينا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وذبحوه ذبحاً . . . فانبت ذلك السدّ واتى على اهل هاتين المدينتين (يريد سبأ المنقسمة الى مدينتين عظيمتين) . . . فلما حلّ بهم هذا الحدث آمنوا بالله وسألوه العفو وانابوا وخضعوا فقبل الله تعالى ذلك منهم وقوّاهم وجمع كلمتهم وآيد امرهم . . . »

(ص ٦٤ س ١١-١٢. كنيسة صنعاء) قرأنا في احد مخطوطات باريس (de Slane, *Mss. Arab. Paris*, Ms 701 ff. 71) عنوانه « تاريخ صنعاء اليمن

لاحمد الرازي » كتبه سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) ما حرفة :

« حدث غسان بن ابي عبيد قال دخل عيسى بن مريم صلى الله عليه في موضع الكنيسة (يريد في صنعاء!) فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على اثر مصلاه. وهذه الكنيسة في وقتنا خربة وهي اسفل زقاق المنصبين في صنعاء في الجانب الغربي محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء. وقد بقي من هذه الكنيسة ضبر شبه اسطوان على حرف الطريق الى سوق العطارين والى درب دمشق. وقد ادركت عقوداً كثيرة كانت باقية الى سنة ٣٩٠ »

(ص ٦٨ س ١٤ . حضرموت) روى الطبري في تاريخه (ج ١ ص ١٨٥٢ - ١٨٥٦ و ٢٠٠٥ - ٢٠٠٧) ان قسماً من قبيلتي السكون والسكاسك النصرانيتين كانوا يسكنون في حضرموت

(ص ٦٩ س ٨ . النصرانية في سقطرى) ومن اثبتوا دخول النصرانية في جزيرة سقطرى المؤرخ فيلواستورج (Philostorge, P. G., LXV, p. 470-482) من كتبة القرن الرابع للمسيح. وبقيت النصرانية فيها اجيالاً طويلة بعد الاسلام. قال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣: ٣٧): « وظهر المسيح فتنصر من فيها (اي جزيرة سقطرى) الى هذا الوقت ». وفي معجم البلدان لياقوت (٢: ١٠٢): « ان في سقطرى من جميع قبائل مهرة وبها عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى » ثم قال « واما اهل عدن فانهم يقولون لم يدخلها من الروم احد ولكن كان لاهلها رهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة »

ومثلها الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر (ed. Jaubert. I. 47). وافادنا الرحالة ماركوبولو في اواخر القرن الثالث عشر ان سقطرى كانت خاضعة لبطارقة الكلدان الذين كان يرسلون لها مطارنة. عرف منهم مار دوا سنة ٨٨٠ وقرياقوس سنة ١٢٨٢ فغلبت النسطورية على اهلها. ولما دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٣ وجدوا اهلها نصارى كان استولى على جزيرتهم حديثاً عرب اليمن سنة ١٤٨٠ فخاربوهم سنة ١٥٠٧ وضبطوا جزيرتهم مدة

(- س ٢١ . القديس فرنسيس كسفاريوس) لم ينس القديس كسفاريوس جزيرة سقطرى بعد رحلته الى الهند بل ارسل اليها مرسلين يسوعيين بلغ عددهم سنة ١٥٤٩ اربعة وتبعهم غيرهم من المرسلين سنة ١٥٦٢. الا ان غزوات العرب المتوالية لم تعد تسمح لهم بالسكنى هناك (راجع مقالة مطولة للكاتب الفرنسي رومان دي كليون (F. Romanet de Caillaud) في مجلة الارض المقدسة (La Terre

(Sainte. 1889, pp. 174 et 187) وترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس

الجديدة للاب برو (A. Brou: St François Xavier. I. 120)

(ص ٧٠ س ١١ البحرين) ومن المحدثين الذين اشاروا الى تنصر عرب البحرين قبل الاسلام الرحالة بالعرف (Palgrave) في سفره الى اواسط جزيرة العرب (ج ٢ ص ٢٠٢) . راجع ايضاً ما نقلناه عن ياقوت (٣ : ٨٧٣ - ٨٧٤) في ذكر فرسان (ص ١٣٧)

(ص ٧٧ س ١٢ - ١٥ . تنصر امرئ القيس البدء) وقد سبق الطبري ابن خلدون في رواية تنصر امرئ القيس حيث قال في تاريخه (ج ١ ص ٨٣٤ - ٨٣٥) :

« وكان من عمال سابور بن اردشير وهرمز بن سابور ويهرام بن سابور بعد ملك عمرو ابن عدي على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية (العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن عمرو بن عدي يقال له امرؤ القيس البدء وهو اول من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمال ملوك الفرس »

وفي مروج الذهب للمسعودي (٣ : ١٩٩) ان ام امرئ القيس البدء كانت غسانية اسمها مارية اخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان

(ص ٨٧ س ٢٢ - ٢٣ . النعمان ابن شقيقة) نقل ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٧١) عن البيهقي ان النعمان ابن الشقيقة « هو اول من تنصر » وقد رأيت سابقاً ان امرء القيس البدء هو اول ملوك المناذرة المنتصرين قبل ذلك بزمان طويل (ص ٨٩ س ١٥ - ١٦ . تنصر المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء)

يزاد الى ما روينا ما قاله ابو الفداء في تقويم البلدان (ed. Reinaud, p. 299) : « كانت الحيرة منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصر المنذر بن امرئ القيس وبني بها الكنائس العظيمة » . ومن الحيرة كان احد كبار السياح المعروف بمار يوحنا (Chabot : Le livre de la Chasteté., p. 28) الذي تنسك في جبل الازل في دير معرّتا . قال مؤلف كتاب العفاف السرياني (**صالح وبعدها**) انه « كان من الحيرة عربي الاصل من اسرة شريفة وبعد ان درس في مدرسة نصيبين ترهب في دير معرّتا وكرّمه الله بعمل المعجزات »

(ص ٩٠ س ١٠ - ٢٠) هذا الخبر المروي عن المنذر رواه المؤرخ اللاتيني وكتور التوني (Victor Tununensis, †556) المتوفى سنة ٥٥٦ م في تاريخ سنة ٥١٢ بما حقه :

« Alamundarus Saracenorum rex a defensoribus Synodi Chalcedonensis baptizatus, Theopaschitas episcopos a Severo Antiochensi episcopo ad se cum litteris missos, barbaram mirabiliter propositionem concludens atque superans. Deum immortalem ostendit » (Migne P. L., LXVIII, p. 95)

(ص ٩٢ س ٣. تنصر النعمان بن المنذر) زعم عمرو بن متى (ed. Gismond, p. ٤٨) وسليمان بن ماري (Id. p, ٥٦) ان النعمان بن المنذر مرض مرضاً شديداً فشفاه الاسقفان النسطوريان شمعون اسقف الحيرة وسبريشوع اسقف لاشوم مع الراهب ايشوع زخا. وانه اعتمد من بعده ولداه المنذر والحسن قال: « وكان الحسن اشدهم تمسكاً بالنصرانية وكان لا يمنع تقدّم المساكين اليه اذا دخل البيعة » (ص ١٠٢ س ٢٣) اصلح: « بل في القرى ايضاً تعددت ٠٠٠ الكرايمي الاسقفية ليس في المدن فقط »

(ص ١٠٦ س ١٧) اصلح: الباب العاشر

(ص ١١٢ س ٥. النصرانية في المدينة) ومن الآثار المنبئة بوجود النصرانية في المدينة دير كان على جبل قريب من المدينة يدعى بسَلْع فُنُسب اليه دير سَلْع وقد ذكره الطبري في تاريخه وكان هذا الدير صار بعد ذلك في ايدي اليهود فجعلوه مقبرة وفيه دُفن الخليفة عثمان بعد قتله (راجع الطبري ج ١ ص ٣٠٤٧)

(ص ١١٤ س ٢١. ابو عامر الراهب) هو ابو عامر عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن امية من بني عمرو بن عوف ذكره ابن الاثير في اسد الغابة (٤: ٤٨٨) وذكر في تاج العروس (٤: ١٧٣) له ابنة تدعى شمساً

(ص ١١٩ س ٥. الحنيف بمعنى النصراني) جاء في العقد الفريد لابن عبد ربّه في وصف يوم الغبيط (٣: ٨٨) « انّ عتيبة قال لبسطام بن قيس سيد بني بكر: استأسر لي ٠٠٠ فناده بسطام: ان كررت فانا حنيف. وكان بسطام نصرانياً »

(ص ١٢٥ س ٧. بهراء) شهد على نصرانيتها ايضاً ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨) قال « انّ بعضهم (اي بعض العرب) تنصر ودان بدين النصرانية مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام » (ص ١٢٦ س ٢٤ - ٢٥) محمد بن حمران كان من نصارى مذحج وكان

معاصراً لامرئ القيس وهو الذي سمّاه امرؤ القيس بالشويعر. امّا محمد بن خزاعي

فكان من بني ذكوان بطن من سليم قدم على ابرهة ملك اليمن فتنصر ومات على دينه (Sprenger : *Mohammad*, I, 161)

(ص ١٢٨ س ١٤-١٩) وصية الحرث بن كعب (قد وجدنا هذه الوصية في كتب أخرى منها خطية ومنها مطبوعة كما رويناها . ثم وقفنا على رواية مختلفة اثبتتها العلامة غولتسير (Goldziehr) في كتابه (Abhandl. z. arab. Philologie, XLIII) وفيها يقول الحارث « انه على دين شعيب » وروايتنا هي الاصح كما يلوح من القرائن . وقد روى ايضاً غولتسير « أسيد بن خزيمه » بدلاً من « اسد » (ص ١٢٩ س ١٥) ومن المحدثين الذين صرحوا بنصرانية بني حنيفة ارندل (Arnold Mulheisen : *Islam and its Relations to Xth*, p. 34) وكذلك حضرة الاب لامنس في كتابه عن معاوية (ص ٤٣١)

(ص ١٣٠ س ٣ . خثعم) قد ذهلبنا عن ذكر نصرانية قبيلة خثعم . وقد شهد على الامر ياقوت في معجم البلدان (٧٠٣ : ٢) حيث قال عن دير نجران في اليمن وهو المسمى كعبة نجران او الكعبة اليمانية (راجع صفحة ١٤٣) : « وكان بنو عبد المدان بنوه مرَبَّعاً مستوي الاضلاع والافطار مرتفعاً عن الارض يُصعد اليه بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجونه هم وطوائف من العرب ممن يحل الاشهر الحرم ولا يحج الكعبة ويحج خثعم قاطبة »

فبقوله ان بني خثعم كانوا يحجون دير نجران اوضح بنوع صريح نصرانيتهم . وبنو خثعم كانوا ينتسبون الى خثعم بن اثار بن نزار بن معد بن عدنان . وكانوا يسكنون في البحرين وفي اليمن مع عبد القيس وجيمية وحاربوا سابور ملك الفرس مع اباد (C. de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 48-49)

(ص ١٣٢ س ١٣) والى طي ينسب دير سلسلة الذي كان في جهات الكوفة قبل الاسلام وهو سلسلة بن غم بطن من طي (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤٠٣) وهناك كان دير حرقه ودير ام عمرو

